تفسير القرآن الكريم

سلسلة دراسات إسلامية جامعة وحديثة

١٨- سورة (الكهف)

في رحاب

سورة الكهف

إعداد

عبد الباسط أحمد الحصري

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

الإهداء..... ٣

المقدمة..... ٥

سورة الكهف ٧

أهمية سورة الكهف..... ٣٧

المقطع الأول: الآيات من ١-٨

الموضوع: توحيد الله ٤١

المقطع الثاني: الآيات من ٩ - ٢٧

الموضوع: هجر القصور إلى الكهوف ٥٨

المقطع الثالث: الآيات من ٢٨-٣١

الموضوع: اصبر نفسك مع المؤمنين ٩٧

المقطع الرابع: الآيات من ٣٢ - ٤٦

الموضوع: الفارق الكبير بين المعتز بالله و المعتز بزينة الحياة الدنيا ..١٠٨

المقطع الخامس: الآيات من ٤٧ -٥٩

الموضوع: انذار وتخويف ١٢٢

المقطع السادس: الآيات من ٦٠-٨٢

الموضوع: دورة تربوية في علم الغيب ١٣٣

المقطع السابع: الآيات من ٨٣-٩٩

الموضوع: سيرة ملك عادل ١٥٩

المقطع الثامن والأخير: الآيات من ١٠٠-١١٠

الموضوع: عاقبة الأخسرين وثواب المحسنين ١٧٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

- إلى الفتية الذين (آمنوا بربهم) فعزفت نفوسهم عن شهوات الدنيا وزينتها المُحَرّمَة لا بل والمُحَللة، إلى أولائك الذين يحملون على كاهلهم- وهم الغضة عظامهم، اليافعة أجسامهم، الطرية نفوسهم، الصلبة عقيدتهم-عبء النهوض بالأمة وتحريرها من خرافة عبودية السلطان وتألية السلطان؛ إلى رحاب الحرية الفسيح؛ حرية العقيدة وحرية الكلمة البناءة وحرية التعبير...ومن ثم الى ساحات الهناء والسرور؛ حيث تسود هذه الساحات مبادئ العدل والمساواة، وتجول فيها وتصول مبادئ الحق والحرية والمحبة وحقوق الإنسان الربانية.
- إلى أولئك الشباب الذين يمضون زهرة عمرهم في طلب العلم ويرحلون إليه مهما تناءت المسافات وتطاولت الأحقاب مقتفين أثر موسى عليه السلام عندما قال لفتاه (لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أوأمضي حقبا) ومقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أمضى عمره طالباً المزيد من العلم (وقل رب زدني علما). إلى العاكفين في ميادين الشرف والإباء والعزة، في ميادين الإبداع والنهضة العلمية والخلقية؛ يصنعون مجد هذه الأمة، ويعيدون لها وجهها المشرق.
- إلى طلبة العلم ليستمروا في البحث عن الحقائق، وليتحملوا الصعاب وليهاجروا إلى منابع الضياء وليتأدبوا بأدب الأنبياء وبأدب الكليم مع الخضر عليهم وعلى سيدنا محمد أفضل الصلاة والسلام. إليهم وهم زهرة الحياة وشبابها النضر وأملها المشرق الباسم، إلى الذين لا يتسكعون على أبواب الحانات وفي دور الملاهي، إلى الذين لا يتاجرون بشرف الأمة، ولا يتخاذلون أمام سطوة الباطل واغراء الباطل وتزييف الباطل. إلى الذين يهجرون قصور البغي والطغيان فلا يسالمون خائنا ولا يذلّون لطاغ، يسعون ليلهم ونهارهم للنهوض بهذه الامة التي طال عليها ليل الطغاة والاستبداد والتخلف حتى بدا و كأنه سرمدي خالد إلى الأبد. إليهم وقد عرفوا طريقهم إلى الحق؛ فعكفوا على النور يغرفون من ضيائه، ويتطلعوا الى الأفق النوراني البعيد المترامي الأطراف إلى ظل عرش الرحمن الذي لايتحول ولايتبدد، فحلموا وعملوا لما حلموا، فكانوا فرسان نهار ورهبان ليل، سيماهم في وجوههم، ونورهم يسعى بين أيديهم. في الحياة الدنيا، وفي الآخرة يتفيئون ظلال العرش بفضل الله وكرمه مع السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.
- إلى السلسلة الذهبية الطاهرة الفتيّة من لدن فتية الكهف إلى فتاة العفة والطهارة مريم العذراء، إلى يحيى الحصور، وعليّ الكرارإلى الغلام عبدالله بن الثامر.....

إلى فتية القرن الحادي والعشرين المؤمنة، إلى فتية كل عصر وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. إلى كل شاب وشابة سواء عرف الطريق الى الله ليزداد معرفة وثباتا أم لم يعرف؛ ليعرف أين الطريق السوي؟ وليتعرف على من سبقه إلى طريق الخير والثبات؛ فيتبعه.

- إليهم جميعا، أقدم هذه الصورة النيرة الوضاءة السامية، صورة الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم الله هدى.
- إلى كل حاكم سواءً كان طاغية أم براً رحيماً؛ لعله يتخذ من سياسة ذي القرنين ورحمته وحزمه وعفته وحمايته للضعفاء نهجاً؛ يخلد ذكره طيباً في الدنيا والآخرة.

إلى الأحبة في الله أقدم هذه الرحلة الطيبة في رحاب سورة الكهف عسى الله أن يهدينا سواء السبيل.

إعداد: عبدالباسط الحصري

July 2010

LONDON - UK

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الذي سعدت باسمه القلوب، واستنارت الأسرار بوجوده، وطربت الأرواح والأفئدة لشهود جلاله. بسم الله خير الأسماء، بسم الله ربّ الأرض والسماء، بسم الله راحة القلوب وشفاء الصدور، بها يزول الكد والعناء، وبها يعذب العذاب، اللهم صل على عبدك ورسولك محمد واجزه عنا خير الجزاء.

- الأحبة الأعزاء والأخوات الفاضلات

١. نحن اليوم في رحاب سورة الكهف، في رحاب السورة التي تحكي لنا استعلاء الإيمان وبزوغ شمس اليقين في نفوس فتية أمثالهم يرتعون في الملذات، ويشربون كؤوس الهوى مترعة، هؤلاء(فتية) هجروا القصور وما فيها، هجروا الكفر لمَا رأوه بواحاً، هجروا ملذات الدنيا في أبهى صورها الدنيوية، ورحلوا إلى الكهف، إلى الأرض الخشنة حيث لا وطاءً وثيرا ولا غطاءً نفيسا، افترشوا الأرض والتحفوا السماء، حيث لا خدم ولا حشم، فقط كهف وكلب باسط ذراعيه بالوصيد. إلا أن غياهف الكهف وشظف العيش فيه كان أسمى عندهم من زينة القصور وطيب العطور مقرونة بالفجور.

رحب الفلاة مع الأعداء ضيقة سمّ الخياط مع الأحباب ميدان

وهكذا فإن فتية الكهف غدوا مثالا يحتذى لشباب كل عصر.

٢. في سورة الكهف نجد تصحيحاً للمفاهيم المغلوطة؛ كالإستعلاء بالمال بالعرض الزائل، وبالرجال، والتفاخر بالألوان، كما نجد سمات المؤمن وهو يتسم بالوقار والسكينة كما يتسم بنصح صاحبه وتذكيره بالنهج السليم، ذلك لتكون قصة هذين الرجلين مثلاً وعبرة لمن يستعلي بماله سواءً كان فردا أم مجتمعاً. ونجد ذلك مثالاً شاملاً لكل أنواع الإستعلاء سواء كان بالمال أم بالجاه أم بالسلطان أم بالجمال، فمن اعتز بغير الله ذل، ألم تكن الأنهار التي اعتز بها فرعون (وهذه الأنهار تجري من تحتي) وسيلة لهلاكه؟! فعلى متنها أوصلت له موسى صغيرا ليربيه في حضنه عدواً له، وبين طياتها أغرقته. ألم يعتز قارون بماله ألم يقل (إنما أوتيته على علم عندي)؟ فماذا كانت النتيجة؟ (فخسفنا به وبداره الأرض)، تلك سنة الله في الأرض، فلقد جاء في الحديث الشريف القدسي :الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني فيهما قصمته ولا أبالي.

٣. وتمضي السورة لتشهد استعلاء الكفر والضلال والتكبر، تمضي السورة لترينا ذاك الإبليس وهو يستعلي على الله، وهو يضرب على وتر الأنانيّة، وترالذات المدمرة (أنا خير منه)، فماذا كانت النتيجة؟

٤. وفي رحلة التعليم والتربية، ومن أجل كلمة قالها موسى عليه السلام لما سئل أتعلم في الأرض من هو أعلم منك؟ فقال:لا؛ فكانت الرحلة الطويلة الشاقة وكانت الدروس التطبيقية حول علم الغيب، وكان الربط والمقارنة بين ما فعله الخضر بأمر ربه، وما فعله موسى بأمر نفسه، إذ قتل واستغفر، وسقى ولم يأخذ أجرا، وجاع ولم يطعمه الرعاة، ورغم التشابه بين الحالتين، ففيهما ذكريات ودروس وعبر، وربط بين الماضي والحاضر وكلاهما تبيان لقدرة الله، فالماء لم يغرق موسى وهو في التابوت عندما كان رضيعا، كما لم يغرقه البحر كبيرا، فكيف خَرْق الخضرللسفينة يغرق !؟ وكذلك السكين لا تذبح، والنار لا تحرق إلا بأمره تعالى. هنا نجد مشاكلة بين المعلم والمتعلم في الظاهر واختلافا في الباطن، فالمعلم علْمُهُ لدُنّيّ وهو علم حقيقة، والمتعلم موسى عليه السلام وعلمه علم شريعة، فكيف يصبران؟! وما أهداف هذا اللقاء وهل تحقق الغرض منه؟ سنرى ذلك إن شاء الله.

٥. ولكن في الكهف درس آخر: درس ذو القرنين؛ درس البطولة والقيادة الحكيمة الرحيمة، درس البطولة الحقيقية والتضحية الحقيقية (ما مكني فيه ربي خير) موقف يذكر بموقف سليمان (أتمدونني بمال فما آتاني الله خير...). موقف يتطلب من كل راع وخاصة رعاة الأمة أن يقتفوا أثره (فكلكم راع ومسؤول عن رعيته) و (كفى المرء إثما أن يضيع من يعول).

٦. إلى الصالحين المؤمنين، إلى فريق الأبرار والمتقين، إلى كل محب لله ورسوله حتى يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، وحتى يصبر نفسه مع فقراء المسلمين وضعفاء المسلمين، و ليبذل جل اهتمامه في العناية بهم وخدمتهم واحترامهم.

إلى هؤلاء جميعاً أقدم سورة الكهف المباركة؛ علّها تهدينا سواء السبيل، وتصحح ما اعوجّ من أخلاقنا وتعيد ما ضيّعنا من قيمنا، وما ذلك على الله بعزيز.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١
قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ
يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ۝٢ مَّٰكِثِينَ
فِيهِ أَبَدٗا ۝٣ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ۝٤

مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ
أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ
عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا
جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ
أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾
إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً
وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى
ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ
أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّۚ
إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ
قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم
بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ
يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا
١٦ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ
ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ
مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن
يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا
وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم
بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ
فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ١٨ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ
لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا
يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ
أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ
طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ
بِكُمۡ أَحَدًا ٢٠ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ
أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ٢٠

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟
ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ
أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ
رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا
بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ
بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا
وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ
إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ
إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا
﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا
﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ
فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ
رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ
أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن
شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ
وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ
ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا ٢٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠ أُوْلَٰٓئِكَ
لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ
مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ
فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ٣١ ۞ وَٱضۡرِبۡ
لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا
بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ٣٢ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ
تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ٣٣ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ
لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ
أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى
لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ
أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا
﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ
دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠
أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن
جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا
زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾
وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ
عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ
فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ
لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ
فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ
خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى
ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟
عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ
أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ
لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟
حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ
أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ
بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا
﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ
فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ
ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ
ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟
إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ
ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ
إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ
لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ
إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ
وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ
ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ
ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾
وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم
مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ
أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا
مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا
هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ
ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ
فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا
قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ
عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ
عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ
مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ
سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ
فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا
﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا
لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ
لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا
تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ
قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ ۗ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾

۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن
سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا
﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا
أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ
قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي
وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا
ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا
وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ
فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا
﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا
﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ
تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ
أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ
عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ
عَن ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا
﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ
وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ
فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ
فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً
ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ
إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن
دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ
سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا
لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ
مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ
سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ
قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا
﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾

قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى
حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ
فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾
ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ
سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ
أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ
أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ
فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ
جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ
فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى
لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ
إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟
لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾

شخصيات السورة

١. (عبده) الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.
٢. (وينذرالذين قالوا اتخذ الله ولدا) وهم: النصارى- اليهود- العرب (مشركو مكة).
٣. فتية الكهف. ٤. (رجلين):غني وفقير

٥. المجرمون. ٦. موسى عليه السلام. ٧.(فتاه) يوشع. ٨. الخضر. ٩. أهل السفينة. ١٠. الغلام الشقي. ١١. (أهل قرية). ١٢.(الغلامين اليتيمين) وأبوهما. ١٣. (ذي القرنين). ١٤. يأجوج ومأجوج.

١٥. الأخسرون أعمالا.

١- محمد(رسول الله)

- أبوه عبد الله بن عبد المطلب من قريش وأمه آمنة بنت وهب الزهرية، ولد يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول في عام الفيل سنة ٥٧٠ وتوفي عليه الصلاة والسلام سنة -٦٣٢ ميلادية ، والذي يؤكد ذلك ما رواه مسلم بسنده: روى مسلم في صحيحه من حديث غيلان **عن** أبي قتادة**:** أن أعرابياً قال**:** يا رسول الله، ما تقول في صوم يوم الإثنين؟ فقال**: (**ذاك يوم ولدت فيه وأنزل علي فيه**)**

- أدّبه ربّه أحسن تأديب فقال صلى الله عليه وسلم (أدبني ربي فأحسن تأديبي). قالت عنه السيدة خديجة رضي الله عنها: والله إن الله لن يخزيك أبدا، فإنك لتقري الضيف، وتغيث الملهوف، وتعين على نوائب الدهر.

- أنقذ البشرية جمعاء بما جاء به من ربه من قيم سامية ،إذ أسس لمبادئ العدل والحرية والإنسانية ووضعها موضع التطبيق في عالم الحياة.

- أنصف المرأة ورفع من شأنها في وقت لم يكن أحد يدافع عنها ، فأكرمها وهي طفلة فقال: (عن أبي هريرة أن رسول الله قال من كان له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن وعلى ضرائهن دخل الجنة وفي رواية فقال رجل يا رسول الله واثنتين قال واثنتين قال يا رسول الله وواحدة قال وواحدة)، كما أكرمها وهي شابة فقال صلى الله عليه وسلم: هن الغاليات المؤنسات، وأكرمها وهي أم فقال عندما سأله أحدهم أي الناس أحق بحسن صحابتي يا رسول الله (قال:

أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال: أبوك) وأكرمها وهي أخت وأكرمها وهي زوجة فقال لا يكرمهن إلا كريم ولا يهينهن إلا لئيم.

وهكذا محال أن يوجد له نظير في العالم حتى يومنا هذا وإلى يوم الدين، وقد قال مايكل هارت العالم الفلكي الرياضي الأمريكي مؤلف كتاب (الخالدون مائة،أعظمهم محمد *)

لقد اخترت محمـــداً ﷺ فى أول هذه القائمة ، ولابد أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار . ومعهم حق فى ذلك . ولكن محمـداً عليه السلام هو الإنسان الوحيد فى التاريخ الذى نجح نجاحاً مطلقاً على المستوى الدينى والدنيوى .

وهو قد دعا إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات وأصبح قائداً سياسياً وعسكرياً ودينياً . وبعد ١٣ قرناً من وفاته . فإن أثر محمـــد عليه السلام ما يزال قوياً متجدداً .

وأكثر هؤلاء الذين اخترتهم قد ولدوا ونشأوا فى مراكز حضارية ومن شعوب متحضرة سياسياً وفكرياً . إلا محمـــداً ﷺ فهو قـــد ولد سنة ٥٧٠

ميلادية فى مدينة مكة جنوب شبه الجزيرة العربية فى منطقة متخلفة من العالم القديم . بعيدة عن مراكز التجارة والحضارة والثقافة والفن .

وقد مات أبوه وهو لم يخرج بعد إلى الوجود ، وأمه وهو فى السادسة من عمره . وكانت نشأته فى ظروف متواضعة وكان لا يقرأ ولا يكتب .

ولم يتحسن وضعه المادى إلا فى الخامسة والعشرين من عمره عندما تزوج أرملة غنية .

ولما قارب الأربعين من عمره . كانت هناك أدلة كثيرة على أنه ذو شخصية فذة بين الناس .

وكان أكثر العرب فى ذلك الوقت وثنيين . يعبدون الأصنام . وكان يسكن مكة عدد قليل من اليهود والنصارى . . وكان محمد ﷺ على علم بهاتين الديانتين .

وفى الأربعين من عمره امتلأ قلبه إيماناً بأن الله واحد أحد ، وأن وحياً ينزل عليه من السماء ، وأن الله قد اصطفاه ليحمل رسالة سامية إلى الناس .

وأمضى محمد ﷺ ثلاث سنوات يدعو لدينه الجديد بين أهله وعدد قليل من الناس .

وفى ٦١٣ ميلادية أذن الله لمحمد ﷺ بأن يجاهر بالدعوة إلى الدين الجديد فتحول قليلون إلى الإسلام .

وفى ٦٢٢ ميلادية هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة . وهى تقع على مدى ٢٠٠ كيلو متر من مكة المكرمة . وفى المدينة المنورة اكتسب الإسلام مزيداً من القوة . واكتسب رسوله عدداً كبيراً من الأنصار .

وكانت الهجرة إلى المدينة المنورة نقطة تحول فى حياة الرسول ﷺ . وإذا كان الذين تبعوه فى مكة قليلين . فإن الذين ناصروه فى المدينة كانوا كثيرين .

وبسرعة اكتسب الرسول والإسلام قوة ومنعة . وأصبح محمد ﷺ أقوى وأعمق أثراً فى قلوب الناس .

وفى السنوات التالية ، تزايد عدد المهاجرين والأنصار . واشتركوا فى معارك كثيرة بين أهل مكة من الكفار ، وأهل المدينة من المهاجرين والأنصار .

وانتهت كل هذه المعارك فى سنة ٦٣٠ بدخول الرسول منتصراً إلى مكة

وقبل وفاته بسنتين ونصف السنة شهد محمد ﷺ الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً . . ، ولما توفى الرسول ﷺ كان الإسلام قد انتشر فى جنوب شبه الجزيرة العربية .

وكان البدو من سكان شبه الجزيرة مشهورين بشراستهم فى القتال ، وكانوا ممزقين أيضاً . رغم أنهم قليلو العدد ، ولم تكن لهم قوة أو سطوة العرب فى الشمال الذين عاشوا على الأرض المزروعة .

ولكن الرسول استطاع لأول مرة فى التاريخ ، أن يوحد بينهم وأن يملأهم بالإيمان وأن يهديهم جميعاً بالدعوة إلى الإله الواحد . ولذلك استطاعت جيوش المسلمين الصغيرة المؤمنة أن تقوم بأعظم غزوات عرفتها البشرية فاتسعت الأرض تحت أقدام المسلمين من شمالى شبه الجزيرة العربية وشملت الإمبراطورية الفارسية على عهد الساسانيين وإلى الشمال الغربى واكتسحت بيزنطة والإمبراطورية الرومانية الشرقية .

وكان العرب أقل بكثير جداً من كل هذه الدول التى غزوها وانتصروا عليها .

وفى ٦٤٢ انتزع العرب مصر من الإمبراطورية البيزنطية ، كما أن العرب سحقوا القوات الفارسية فى موقعة القادسية فى ٦٣٧ وفى موقعة نينوى فى ٦٤٢ .

وهذه الانتصارات الساحقة فى عهد الخليفتين أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب . لم تكن نهاية الزحف العربى والمد الإسلامى فى العالم .

زوجاً وأباً . وكان يعمل فى التجارة ويرعى الغنم . وكان يحارب ويصاب فى الحروب ويمرض . . ثم مات . .

ولمـــا كان الرسول ﷺ قوة جبارة ، فيمكن أن يقال أيضاً إنه أعظم زعيم سياسى عرفه التاريخ .

وإذا استعرضنا التاريخ . . فإننا نجد أحداثاً كثيرة من الممكن أن تقع دون أبطالها المعروفين . . مثلا : كان من الممكن أن تستقل مستعمرات أمريكا الجنوبية عن أسبانيا دون أن يتزعم حركاتها الإستقلالية رجل مثل سيمون بوليفار . . هذا ممكن جـــداً . على أن يجىء بعد ذلك أى إنسان ويقوم بنفس العمل .

ولكن من المستحيل أن يقال ذلك عن البدو . . وعن العرب عموماً وعن إمبراطوريتهم الواسعـــة . دون أن يكون هناك محمـــد ﷺ . . فلم يعرف العالم كله رجلا بهذه العظمة قبل ذلك . وما كان من الممكن أن تتحقق كل هذه الإنتصارات الباهرة بغير زعامته وهدايته وإيمـــان الجميع به .

ربما ارتضى بعض المؤرخين أمثلة أخرى من الغزوات الساحقة . . كالتى قام بها المغول فى القرن الثالث عشر . والفضل فى ذلك يرجع إلى جنكيز خان . ورغم أن غزوات جنكيز خان كانت أوسع من غزوات المسلمين ، فإنها لم تدم طويلا . . ولذلك كان أثرها أقل خطراً وعمقاً .

فقد انكمش المغول وعادوا إلى احتلال نفس الرقعة التى كانوا يحتلونها قبل ظهور جنكيز خان .

وليست كذلك غزوات المسلمين . . فالعرب يمتدون من العراق إلى المغرب . وهذا الإمتداد يحتوى دولا عربية . لم يوحد بينها الإسلام فقط . ولكن وحدت بينها اللغة والتاريخ والحضارة . ومن المؤكد أن إيمان العرب بالقرآن . هذا الإيمان العميق . هو الذى حفظ لهم لغتهم العربية وأنقذها من عشرات اللهجات الغامضة . صحيح أن هناك خلافات بين الدول العربية . وهذا طبيعى . ولكن هذه الخلافات يجب ألا تنسينا الوحدة المتينة بينها .

زوجاً وأباً . وكان يعمل فى التجارة ويرعى الغنم . وكان يحارب ويصاب فى الحروب ويمرض . . ثم مات . .

ولمـــا كان الرسول ﷺ قوة جبارة ، فيمكن أن يقال أيضاً إنه أعظم زعيم سياسى عرفه التاريخ .

وإذا استعرضنا التاريخ . . فإننا نجد أحداثاً كثيرة من الممكن أن تقع دون أبطالها المعروفين . . مثلا : كان من الممكن أن تستقل مستعمرات أمريكا الجنوبية عن أسبانيا دون أن يتزعم حركاتها الإستقلالية رجل مثل سيمون بوليفار . . هذا ممكن جـــداً . على أن يجىء بعد ذلك أى إنسان ويقوم بنفس العمل .

ولكن من المستحيل أن يقال ذلك عن البدو . . وعن العرب عموماً وعن إمبراطوريتهم الواسعـــة . دون أن يكون هناك محمـــد ﷺ . . فلم يعرف العالم كله رجلا بهذه العظمة قبل ذلك . وما كان من الممكن أن تتحقق كل هذه الإنتصارات الباهرة بغير زعامته وهدايته وإيمـــان الجميع به .

ربما ارتضى بعض المؤرخين أمثلة أخرى من الغزوات الساحقة . . كالتى قام بها المغول فى القرن الثالث عشر . والفضل فى ذلك يرجع إلى جنكيز خان . ورغم أن غزوات جنكيز خان كانت أوسع من غزوات المسلمين ، فإنها لم تدم طويلا . . ولذلك كان أثرها أقل خطراً وعمقاً .

فقد انكمش المغول وعادوا إلى احتلال نفس الرقعة التى كانوا يحتلونها قبل ظهور جنكيز خان .

وليست كذلك غزوات المسلمين . . فالعرب يمتدون من العراق إلى المغرب . وهذا الإمتداد يحتوى دولا عربية . لم يوحد بينها الإسلام فقط . ولكن وحدت بينها اللغة والتاريخ والحضارة . ومن المؤكد أن إيمان العرب بالقرآن . هذا الإيمان العميق . هو الذى حفظ لهم لغتهم العربية وأنقذها من عشرات اللهجات الغامضة . صحيح أن هناك خلافات بين الدول العربية . وهذا طبيعى . ولكن هذه الخلافات يجب ألا تنسينا الوحدة المتينة بينها .

القائمة . رغم أن عدد المسيحيين ضعف عدد المسلمين ، وربما بدا غريباً أن يكون الرسول عليه السلام هو رقم واحد فى هذه القائمة ، بينما عيسى عليه السلام هو رقم ٣ وموسى عليه السلام رقم ١٦ .

ولكن لذلك أسباب : من بينها أن الرسول محمداً ﷺ قد كان دوره أخطر وأعظم فى نشر الإسلام وتدعيمه وإرساء قواعد شريعته أكثر مما كان لعيسى عليه السلام فى الديانة المسيحية . وعلى الرغم من أن عيسى عليه السلام هو المسئول عن مبادىء الأخلاق فى المسيحية ، غير أن القديس بولس هو الذى أرسى أصول الشريعة المسيحية ، وهو أيضاً المسئول عن كتابة الكثير مما جاء فى كتب « العهد الجديد » .

أما الرسول ﷺ فهو المسئول الأول والأوحد عن إرساء قواعد الإسلام وأصول الشريعة والسلوك الاجتماعى والأخلاق وأصول المعاملات بين الناس فى حياتهم الدينية والدنيوية . كما أن القرآن الكريم قد نزل عليه وحده . وفى القرآن الكريم وجد المسلمون كل ما يحتاجون إليه فى دنياهم وآخرتهم .

والقرآن الكريم نزل على الرسول ﷺ كاملا . وصلت آياته وهو ما يزال حياً . وكان تسجيلا فى منتهى الدقة ، فلم يتغير منه حرف واحد . . وليس فى المسيحية شىء مثل ذلك . فلا يوجد كتاب واحد محكم دقيق للتعاليم المسيحية يشبه القرآن الكريم . وكان أثر القرآن الكريم على الناس بالغ العمق . ولذلك كان أثر محمد ﷺ على الإسلام أكثر وأعمق من الأثر الذى تركه عيسى عليه السلام على الديانة المسيحية .

فعلى المستوى الدينى كان أثر محمد ﷺ قوياً فى تاريخ البشرية . وكذلك كان عيسى عليه السلام .

وكان الرسول عليه السلام على خلاف عيسى عليه السلام رجلا دنيوياً فكان

■ - كما قال أحد مفكري الغرب:

مثلا : لم تشترك إيران المسلمة وأندونيسيا المسلمة فى فرض حظر البترول على العالم الغربى فيما بين ١٩٧٣ و ١٩٧٤ . بينما نجد أن الدول العربية البترولية قد شاركت جميعاً فى هذا الحظر ! .

وهذا الموقف العربى الموحد يؤكد لنا . أن الغزوات العربية التى سادت القرن السابع . ما يزال دورها عميقاً وأثرها بليغاً فى تاريخ الإنسانية حتى يومنا هذا .

فهذا الامتزاج بين الدين والدنيا هو الذى جعلنى أومن بأن محمـــد ﷺ هـــو أعظم الشخصيات أثراً فى تاريخ الإنسانية كلها ! . .

ما أحوجنا إلى رجل مثل محمد يحل مشاكل العالم وهو يشرب فنجان قهوة.، وهذه شهادة للرسول من مفكر غيرمسلم.

- حقق المساواة بين الأفراد فقال: كلكم لآدم وآدم من تراب

- حقق العدل حتى مع الأعداء فقال تعالى (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى).

- حرر العبيد بل وحرر الإنسان من كل طغيان، ومنحه الحرية والكرامة الإنسانية فقال تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم) ومنحه حرية العقيدة فقال تعالى: (لا إكراه في الدين).

- ضرب مثلاً رائعاً في الرحمة حتى في الحروب التي كانت دفعا للشر و للعدوان. وكانت تحريرا لبني الإنسان من ظلم أخيه الإنسان، فقال وهو يودع جيش أسامة موصيا:

يا أيها الناس، قفوا أوصكم بعشر فاحفظوها عني : (لا تخونوا ولا تغلّوا، ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيرًا، ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له) " رواه مالك في الموطأ، والطبري .

هذه قيمنا ومبادئنا حتى ونحن في ميدان الحروب، فكيف هي ونحن في رحاب السلم؟ وليرني العالم كله مثل هذه المبادىء.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وقال آخر:

ملكنا فكان الحلم منا سجية فلما ملكتم سال بالدم الأبطح

هذه هي القيم الإسلامية الرائعة التي لم ولن تظفر بها البشرية أبدا إلا في ظل الإسلام.

- احترم الرسول صلى الله عليه وسلم الأديان السماوية وأكد على عدم إيذاء أهل الذمة تأكيداً شديدا فقال صلى الله عليه وسلم: (من آذى ذميا فقد آذاني)، فأي مسلم يريد إيذاء الرسول؟! ومن رحمته رفقه بالحيوان والحث على إطعامه والعناية به فقال صلى الله عليه وسلم: (في كل كبد رطبة أجر)، وأنكر على الذين يعذبون الحيوان ويحاصرونه أشد إنكار، فكيف بالذين يحاصرون البشر حتى الموت؟!! فقال صلى الله عليه وسلم :(دخلت امرأة النار في هرة حبستها فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من حشاش الأرض).

كما حث الرسول صلى الله عليه وسلم الناس على التخلق بالأخلاق السامية، كالعفو والتسامح وإصلاح ذات البين وفعل الخير، فكان أعظم إنسان على ظهر الوجود؛ إذ أسس لهذه المبادئ

السامية في عالم الواقع فاستظلت البشرية بنور هذه الرسالة قرونا طويلة تنعم بالعدل والحرية والمساواة والرفاهية ،فصلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله .

٢- الخضر

واسمه بليان بن ملكان وكنيته أبو العباس و كان نبيا على قول الأكثرين وقيل كان من أبناء الملوك (من تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن الآية ٦٠).

عن ابن عباس أنه تمارى هو والحر بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى، فقال ابن عباس: هو الخضر، فمر بهما أبيّ ابن كعب، فدعاه ابن عباس فقال: إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل السبيل إلى لقيه، فهل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر شأنه؟ قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " بينا موسى في ملأ من بني إسرائيل، إذ جاءه رجل، فقال: تعلم مكان رجل أعلم منك؟ قال: لا، فأوحى الله إلى موسى، بلى عبدنا خضر، فسأل موسى السبيل إلى لقيه، فجعل الله له الحوت آية، وقيل له: إذا فقدت الحوت فارجع، فإنك ستلقاه، فكان موسى يتبع أثر الحوت في البحر، فقال فتى موسى لموسى: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة، فإني نسيت الحوت، قال موسى:{ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا } فوجدا عبدنا خضراً، فكان من شأنهما ما قصّ الله في كتابه"

وقوله تعالى: { رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي } أي: هذا الذي فعلته في هذه الأحوال الثلاثة، إنما هو من رحمة الله بمن ذكرنا من أصحاب السفينة، ووالدي الغلام، ويتيمي الأب الصالح، وما فعلته عن أمري أي: لكني أُمِرْتُ به، ووقفت عليه، وفيه دلالة لمن قال بنبوة الخضر عليه السلام مع ما تقدم من قوله: { فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا } وقال آخرون: كان رسولاً. وقيل: بل كان ملكاً، نقله الماوردي في تفسيره، وذهب كثيرون إلى أنه لم يكن نبياً، بل كان ولياً، فالله أعلم.

وذكر ابن قتيبة في المعارف أن اسم الخضر بليا بن ملكان بن فالغ بن عامر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام، قالوا: وكان يكنى أبا العباس، ويلقب بالخضر، وكان من أبناء الملوك، ذكره النووي في " تهذيب الأسماء "

وحكى هو وغيره في كونه باقياً إلى الآن، ثم إلى يوم القيامة قولين، ومال هو وابن الصلاح إلى بقائه، وذكروا في ذلك حكايات وآثاراً عن السلف وغيرهم، وجاء ذكره في بعض الأحاديث، ولا يصح شيء من ذلك، وأشهرها حديث التعزية، وإسناده ضعيف، ورجح آخرون من المحدثين وغيرهم خلاف ذلك، واحتجوا بقوله تعالى: { وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ }

[الأنبياء: ٣٤] وبقول النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر: " اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض "وبأنه لم ينقل أنه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حضر عنده، ولا قاتل معه، ولو كان حياً، لكان من أتباع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ لأنه عليه السلام كان مبعوثاً إلى جميع الثقلين:الجن والإنس، وقد قال: "لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلا اتباعي "وأخبر قبل موته بقليل أنه لا يبقى ممن هو على وجه الأرض إلى مائة سنة من ليلته تلك عين تطرف إلى غير ذلك من الدلائل.

قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا ابن المبارك عن معمر عن همام ابن منبه، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في الخضر قال: " إنما سمي خضراً لأنه جلس على فروة بيضاء، فإذ هي تهتز من تحته خضراء " ورواه أيضاً عن عبد الرزاق، وقد ثبت أيضاً في صحيح البخاري عن همام عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة، فإذا هي تهتز من تحته خضراء" والمراد بالفروة ههنا الحشيش اليابس، وهو الهشيم من النبات، قاله عبد الرزاق. وقيل: المراد بذلك وجه الأرض (١)-المصدر تفسيرابن كثير ص١٣٥-١٣٦ نت٣-٢ اية ٦٦

وقيل اسمه إيليا بن ملكان بن...بن.... بن نوح عليه السلام، وقيل سمي خضراً لأنه كان إذا صلّى اخضر ما حوله. وروينا أن موسى رأى الخضر مسجى بثوب فسلم عليه، فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام قال أنا موسى أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً. ومعنى مسجى أي مغطى بثوب وقوله وأنى بأرضك السلام معناه من أين بأرضك التي أنت فيها الآن السلام. وروي أنه لقيه على طنفسة خضراء على جانب البحر فذلك قوله سبحانه وتعالى {فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة} أي نعمة {من عندنا وعلمناه من لدنا علماً } أي علم الباطن إلهاماً. (٢)المصدر:لباب التأويل للخازن- نت:١

٣- موسى عليه السلام

{ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لآ أَبْرَحُ } الجمهور من العلماء وأهل التاريخ أنه موسى بن عِمران المذكور في القرآن ليس فيه موسى غيره. وقالت فرقة منها نَوْف البِكَاليّ: إنه ليس ابن عمران وإنما هو موسى بن منشا بن يوسف بن يعقوب وكان نبياً قبل موسى بن عمران. وقد ردّ هذا القول ابن عباس في صحيح البخاري وغيره. وفتاه: هو يوشع بن نون. وقد مضى ذكره في «المائدة» وآخر «يوسف». ومن قال هو ابن منشا فليس الفتى يوشع بن نون. «لاَ أَبْرَحُ» أي لا أزال أسِير؛ قال الشاعر:

وأَبرحُ ما أدامَ اللَّهُ قَومِي بحمد الله مُنْتَطِقاً مُجِيدَا

وقيل: «لاَ أَبْرَحُ» لا أفارقك. { حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ } أي ملتقاهما. قال قتادة: وهو بحر فارس والروم؛ وقاله مجاهد. قال ابن عطية: وهو ذراع يخرج من البحر المحيط من شمال

إلى جنوب في أرض فارس من وراء أَذْرَبِيجان، فالركن الذي لاجتماع البحرين مما يلي بَرّ الشام هو مجمع البحرين على هذا القول. وقيل: هما بحر الأرْدُنّ وبحر القُلْزُم. وقيل: مجمع البحرين عند طنجة؛ قاله محمد بن كعب. وروي عن أبيّ بن كعب أنه بأفريقية. وقال السدي: الكُرّوالرَّسُّ بأرمينية. وقال بعض أهل العلم: هو بحر الأندلس من البحر المحيط؛ حكاه النقاش؛ وهذا مما يذكر كثيراً. وقالت فرقة: إنما هما موسى والخضر؛ وهذا قول ضعيف؛ وحكي عن ابن عباس، ولا يصح؛ فإن الأمر بيّن من الأحاديث أنه إنما وُسِم له بحر ماء. وسبب هذه القصة ما خرجه الصحيحان عن أبيّ بن كعب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن موسى عليه السلام قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم فقال: أنا فعتَب الله عليه إذ لم يردّ العلم إليه فأوحى الله إليه إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى: يا رب فكيف لي به قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في مِكتَل فحيثما فَقدتَ الحُوت فهو ثَمَّ " وذكر الحديث، واللفظ للبخاري. وقال ابن عباس: لما ظهر موسى وقومه على أرض مصر أنزل قومه مصر، فلما استقرت بهم الدار أمره الله أن ذكرّهم بأيام الله، فخطب قومه فذكّرهم ما آتاهم الله من الخير والنعمة إذ نجاهم من آل فرعون، وأهلك عدوّهم، واستخلفهم في الأرض، ثم قال: وكلم الله نبيكم تكليما، واصطفاه لنفسه، وألقى عليّ محبة منه، وآتاكم من كل ما سألتموه، فجعلكم أفضل أهل الأرض(أي في زمانكم)، ورزقكم العز بعد الذل، والغنى بعد الفقر، والتوراة بعد أن كنتم جهالا؛ فقال له رجل من بني إسرائيل: عَرَفنا الذي تقول، فهل على وجه الأرض أحد أعلم منك يا نبي الله؟ قال: لا؛ فعتب الله عليه حين لم يرد العلم إليه، فبعث إليه جبريل: أن يا موسى وما يدريك أين (أضع) علمي؟ بلىٰ إن لي عبداً بمجمع البحرين أعلم منك؛ وذكر الحديث.

قال علماؤنا: وقوله في الحديث " هو أعلم منك " أي بأحكام وقائع مفصَّلة، وحُكم نوازل معينة، لا مطلقاً، بدليل قول الخضر لموسى: إنك على علم علّمكه الله لا أعلمه أنا، وأنا على علم علّمنيه لا تعلمه أنت، وعلى هذا فيصدق على كل واحد منهما أنه أعلم من الآخر بالنسبة إلى ما يعلمه واحد منهما ولا يعلمه الآخر، فلما سمع موسى بالخضر هذا تشوقت نفسه الفاضلة؛ وهمته العالية، لتحصيل علم ما لم يعلم، وللقاء من قيل فيه: إنه أعلم منك؛ فعزم فسأل العليم الخبيرسؤال الذليل بكيف السبيل؟ فأمر بالارتحال على كل حال، وقيل له احمل معك حوتاً مالحا في مِكْتل ـ وهو الزنبيل ـ فحيث يحيا وتفقده فثَمَّ السبيل، فانطلق مع فتاه لما واتاه، مجتهداً طالباً قائلاً: { لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين }. { أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً } بضم الحاء والقاف وهو الدهر، والجمع أحقاب. وقد تسكن قافه فيقال: حُقْب. وهو ثمانون سنة. ويقال: أكثر من ذلك. والجمع حِقاب. والحِقْبة بكسر الحاء واحدة الحقُب وهي السنون.

الثانية: في هذا من الفقه رحلة العالم في طلب الازدياد من العلم، والاستعانة على ذلك بالخادم والصاحب، واغتنام لقاء الفضلاء والعلماء وإن بعدت أقطارهم، وذلك في دأب السلف الصالح، وبسبب ذلك وصل المرتحلون إلى الحظ الراجح، وحصلوا على السعي الناجح، فرسخت لهم

في العلوم أقدام، وصح لهم من الذكر والأجر والفضل أفضل الأقسام، قال البخاري: ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث.

٤-(لفتاه) واسمه يوشع بن نون

أما قوله تعالى: { وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ } فللعلماء فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان معه يخدمه، والفتى في كلام العرب الشاب، ولما كان الخدمة أكثر ما يكونون فتياناً قيل للخادم فتى على جهة حسن الأدب، وندبت الشريعة إلى ذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم: " لا يقل أحدكم عبدي ولا أمتي وليقل فَتايَ وفتاتي " فهذا ندبٌ إلى التواضع؛ وقد تقدم هذا في «يوسف». والفتى في الآية هو الخادم وهو يوشع بن نون بن إفراثيم بن يوسف عليه السلام. ويقال: هو ابن أخت موسى عليه السلام. وقيل: إنما سمي فتى موسى لأنه لزمه ليتعلم منه وإن كان حراً؛ وهذا معنى الأوّل. وقيل: إنما سماه فتى لأنه قام مقام الفتى وهو العبد، قال الله تعالى: { وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ } [يوسف: ٦٢] وقال: { تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ } [يوسف: ٣٠] قال ابن العربي: فظاهر القرآن يقتضي أنه عبد، وفي الحديث: أنه كان يوشع بن نون. وفي «التفسير» أنه ابن أخته، وهذا كله مما لا يُقطع به، والتوقف فيه أسلم. فإن قيل: فما بال فتى موسى ذكر في أول القصة، ثم لم يذكر بعد ذلك؟ فالجواب أن المقصود بالسياق إنما هو قصة موسى مع الخضر، وذكر ما كان بينهما، وفتى موسى معه تبع، وقد صرح في الأحاديث المتقدمة في الصحاح وغيرها أنه يوشع بن نون، وهو الذي كان يلي بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام.

٥- (رجلين)

أحدهما انخرط في اليقين، و الثاني انخرط في الطين، و شتان بينهما.

قال الشاعر :

تَبدّلْتُ و تَبدّلنا يا حَسْرةً لمنْ ابْتَغَى عوضاً لسلمى فلم يجد

قوله تعالى :(و اضْربْ لهم مَثَلاً رجلين)

أي اضرب مثلا لفريق المؤمنين و لفريق الكافرين برجلين، أحدهما كافر يتقلب في نعيم الدنيا، والآخر مؤمن أنفق ماله في طاعة الله و يكابد الفقر، اضرب مثلا لهؤلاء بهذين الرجلين و كيف انتهيا في الدنيا و الآخرة.

لقد اختلف في اسم الرجلين فقال الكلبي: نزلت في أخوين من أهل مكة أحدهما مؤمن وهو أبو سلمة و الآخر أخوه و اسمه الأسود ابن عبد الأسد و هما المذكوران في سورة الصافات. و قيل :نزلت في الرسول صلى الله عليه وسلم و أهل مكة. وقيل هي مثل لجميع المؤمنين و جميع الكافرين ،كما قيل هما شريكان اقتسما هذا المال و قدره ثمانية آلاف دينار.

وقيل: ورِثاه من أبيهما وكانا أخوين فٱقتسماها، فٱشترى أحدهما أرضا بألف دينار، فقال صاحبه: اللهم إن فلاناً قد اشترى أرضا بألف دينار وإني ٱشتريت منك أرضا في الجنة بألف دينار فتصدقَ بها، ثم إن صاحبه بنى داراً بألف دينار فقال: اللهم إن فلاناً بنى داراً بألف دينار وإني أشتري منك داراً في الجنة بألف دينار، فتصدَّق بألف دينار، ثم تزوج امرأة فأنفق عليها ألف دينار، فقال: اللهم إن فلاناً تزوج ٱمرأة بألف دينار وإني أخطب إليك من نساء الجنة بألف دينار، فتصدَّق بألف دينار. ثم اشترى خدماً ومتاعاً بألف دينار، وإني أشتري منك خَدَماً ومتاعاً من الجنة بألف دينار، فتصدَّق بألف دينار. ثم أصابته حاجة شديدة فقال: لعلّ صاحبي ينالُنِي معروفه فأتاه فقال: ما فعل مالُك؟ فأخبره قصته فقال: وإنك لمن المصدّقين بهذا الحديث! والله لا أعطيك شيئا ثم قال له: أنت تعبد إلٰه السماء، وأنا لا أعبد إلا صنماً؛ فقال صاحبه: والله لأعظَنّه، فوعظه وذكّره وخوّفه. فقال: سِرْ بنا نصطد السمك، فمن صاد أكثر فهو على حق؛ فقال له: يا أخي! إن الدنيا أحقر عند الله من أن يجعلها ثواباً لمحسن أو عقاباً لكافر. قال: فأكرهه على الخروج معه، فٱبتلاهما الله، فجعل الكافرُ يرمي شبكته ويسمِّي بٱسم صنمه، فتطلع متدفّقة سمكاً. وجعل المؤمن يرمي شبكته ويسمي باسم الله فلا يطلُع له فيها شيء؛ فقال له: كيف ترىٰ أنا أكثر منك في الدنيا نصيباً ومنزلة ونَفَراً، كذلك أكون أفضلَ منك في الآخرة إن كان ما تقول بزعمك حقًّا. قال: فضَجّ المَلَك الموَكَّل بهما، فأمر الله تعالى جبريلَ أن يأخذه فيذهب به إلى الجِنان فيرِيَه منازل المؤمن فيها، فلما رأى ما أعد الله له قال: وعزّتك لا يضرّه ما ناله من الدنيا بعد ما يكون مصيره إلى هذا؛ وأراه منازل الكافر في جهنم فقال: وعزّتك لا ينفعه ما أصابه من الدنيا بعد أن يكون مصيره إلى هذا. ثم إن الله تعالى تَوفّى المؤمن وأهلك الكافر بعذاب من عنده، فلما استقر المؤمن في الجنة ورأى ما أعد الله له أقبل هو وأصحابه يتساءلون، فقال: **قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ } * { يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ } * { أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَءِنَّا لَمَدِينُونَ } * { قَالَ هَلْ أَنتُمْ مُّطَّلِعُونَ } * { فَٱطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ } * { قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ } * { وَلَوْلاَ نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ } * { أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ } * { إِلاَّ مَوْتَتَنَا ٱلأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ } * { إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ } * { لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَامِلُونَ }**[الصافات: ٥١-٦١]؛ فنادى منادٍ: ياأهل الجنة! هل أنتم مطَّلِعون فٱطلع إلى جهنم فرآه في سواء الجحيم؛ فنزلت

{ وَٱضْرِبْ لهُمْ مَّثَلاً }. بيّن الله تعالى حال الأخوين في الدنيا في هذه السورة، وبين حالهما في الآخرة في سورة «الصافات» . قال ابن عطية: وذكر إبراهيم بن القاسم الكاتب في كتابه في عجائب البلاد أن بحيرة تِنّيس كانت هاتين الجنتين، وكانتا لأخوين فباع أحدهما نصيبه من

الآخر فأنفق في طاعة الله حتى عيّره الآخر، وجرت بينهما المحاورة فغرقها الله تعالى في ليلة، وإياها عنى بهذه الآية. (المصدر من تفسير القرطبي للآية من النت ص٢)

٦- ذو القرنين

فأما المذكور في القرآن، فكان في زمن الخليل، كما ذكره الأزرقي وغيره، وأنه طاف مع الخليل عليه السلام بالبيت العتيق لما بناه إبراهيم عليه السلام، وقرب إلى الله قرباناً، وقد ذكرابن كثير طرفاً صالحاً من أخباره في كتاب " البداية والنهاية " بما فيه كفاية، ولله الحمد. وقال وهب بن منبه: كان ملكاً، وإنما سمي ذا القرنين لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس، قال: وقال بعض أهل الكتاب: لأنه ملك الروم وفارس. وقال بعضهم: كان في رأسه شبه القرنين. وقال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل قال: سئل علي رضي الله عنه عن ذي القرنين. فقال: كان عبداً ناصحاً لله، فناصحه، دعا قومه إلى الله، فضربوه على قرنه، فمات، فأحياه الله، فدعا قومه إلى الله، فضربوه على قرنه فمات، فسمي ذا القرنين، وكذا رواه شعبة عن القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل سمع علياً يقول ذلك. ويقال: إنه إنما سمي ذا القرنين لأنه بلغ المشارق والمغارب من حيث يطلع قرن الشمس ويغرب.

ذو القرنين: هو الإسكندر الذي ملك الدنيا. قيل: ملكها مؤمنان: ذو القرنين، وسليمان. وكافران: نمروذ، وبختنصر، وكان بعد نمرود. واختلف فيه فقيل: كان عبداً صالحاً ملكه الله الأرض، وأعطاه العلم والحكمة، وألبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة، فإذا سرى يهديه النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه. وقيل: نبياً. وقيل: ملكاً من الملائكة. وعن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلاً يقول: يا ذا القرنين، فقال: اللَّهم غفراً ما رضيتم أن تتسموا بأسماء الأنبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة، وعن علي رضي الله عنه. سخر له السحاب، ومدّت له الأسباب، وبسط له النور وسئل عنه فقال: أحب الله فأحبه. وسأله ابن الكوّا: ما ذو القرنين أملك أم نبيّ؟ فقال: ليس بملك ولا نبيّ، ولكن كان عبداً صالحاً، ضرب على قرنه الأيمن في طاعة الله فمات، ثم بعثه الله فضرب على قرنه الأيسر فمات، فبعثه الله فسمي ذو القرنين وفيكم مثله. قيل: كان يدعوهم إلى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله تعالى. وعن النبي صلى الله عليه وسلم:

سمي ذا القرنين لأنه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها " وقيل: كان له قرنان، أي ضفيرتان. وقيل: انقرض في وقته قرنان من الناس. وعن وهب: لأنه ملك الروم وفارس. وروي: الروم والترك. وعنه كانت صفحتا رأسه من نحاس. وقيل: كان لتاجه قرنان. وقيل: كان على رأسه ما يشبه القرنين. ويجوز أن يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشاً لأنه ينطح أقرانه، وقيل كان هو من الروم لعجوز ليس لها ولد غيره.

٧- يأجوج ومأجوج

لا يموت رجل منهم حتى يولد لصلبه ألف رجل " يعني يأجوج ومأجوج. وقال أبو سعيد: هم خمس وعشرون قبيلة من وراء يأجوج ومأجوج لا يموت الرجل من هؤلاء ومن يأجوج ومأجوج حتى يخرج من صلبه ألف رجل، ذكره القشيري. وقال عبد الله بن مسعود: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن يأجوج ومأجوج، فقال عليه الصلاة والسلام: " يأجوج ومأجوج أمتان كل أمة أربعمائة ألف (أمة) كل أمة لا يعلم عددها إلا الله لا يموت الرجل منهم حتى يولد له ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح» قيل: يا رسول الله صفهم لنا. قال: «هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأَرْز ـ شجر بالشام طول الشجرة عشرون ومائة ذراع ـ وصنف عرضه وطوله سواء نحواً من الذراع وصنف يفترش أذنه ويلتحف بالأخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه ويأكلون من مات منهم مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار الشرق وبحيرة طبرية فيمنعهم الله من مكة والمدينة وبيت المقدس " وقال علي رضي الله تعالى عنه: وصنف منهم في طول شبر، لهم مخالب وأنياب السباع، وتداعي الحمام، وتسافد البهائم، وعواء الذئاب، وشعور تقيهم الحرّ والبرد، وآذان عظام إحداها وبرة يشتون فيها، والأخرى جلدة يصيفون فيها، يحفرون السدّ حتى كادوا ينقبونه فيعيده الله كما كان، حتى يقولوا: ننقبه غداً إن شاء الله تعالى فينقبونه ويخرجون، ويتحصن الناس بالحصون، فيرمون إلى السماء فيرد السهم عليهم ملطخاً بالدم، ثم يهلكهم الله تعالى بالنغف في رقابهم. ذكره الغزنوي. وقال عليّ عن النبي صلى الله عليه وسلم: " يأجوج أمة لها أربعمائة أمير وكذا مأجوج لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف فارس من ولده ". قلت: وقد جاء مرفوعاً من حديث أبي هريرة، خرجه ابن ماجه في السنن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن يأجوج ومأجوج يحفران كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غداً فيعيده الله أشدّ ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله تعالى أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال: ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله تعالى فاستثنوا فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فيَنْشِفون الماء ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فيرجع عليها الدمُ الذي أحفظ فيقولون قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء فيبعث الله تعالى عليهم نغَفَاً في أقفائهم فيقتلهم بها» قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده إن دواب الأرض لتسمن وتَشْكَر شَكراً من لحومهم " قال الجوهري: شَكِرت الناقةُ تَشكَر شَكَراً فهي شكِرة؛ وأشكر الضرع امتلأ لبناً.

٨- فتية الكهف

سبعة وأسماؤهم هي: تمليخا – و ملسلمينا – و محسلمينا – فمرطليوس – كسطونس – و سادنيوس – وقالوش - و اسم كلبهم قطمير والله أعلم.

سورة الكهف

١. عدد آياتها: ١١٠

٢. ترتيبها في المصحف: ١٨

٣.مكان نزولها: مكة إلا الآيات(٨٣ إلى ١٠١) فمدنية قال ذلك (القشيري)، ونزلت بعد الغاشية.

٤. أسباب نزولها:

- ذكر ابن إسحاق: " أن قريشاً بعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود وقالوا لهما: سَلاهم عن محمد وصِفَا لهم صفته وأخبراهم بقوله؛ فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علمٌ ليس عندنا من علم الأنبياء؛ فخرجا حتى قدما المدينة، فسألا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووصفا لهم أمره، وأخبراهم ببعض قوله، وقالا لهم: إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا. فقالت لهما أحبار يهود: سَلُوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبيّ مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقوّل، فروا فيه رأيكم؛ سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ما كان أمرهم؛ فإنه قد كان لهم حديثٌ عَجَب. وسلوه عن رجل طوّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه. وسلوه عن الروح، ما هي؛ فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبيّ، وإن لم يفعل فهو رجل متقوّل فاصنعوا في أمره ما بدا لكم. فأقبل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط حتى قدما مكة على قريش فقالا: يا معشر قريش! قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها، فإن أخبركم عنها فهو نبيّ، وإن لم يفعل فالرجل متقوّل، فروا فيه رأيكم. فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد، أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، قد كانت لهم قصة عجب، وعن رجل كان طوّافاً قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وأخبرنا عن الروح ما هي؟ قال فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أخبركم بما سألتم عنه غداً» ولم يستثن. فانصرفوا عنه، فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يزعمون خمس عشرة ليلة، لا يحدث الله إليه في ذلك وَحْياً ولا يأتيه جبريل، حتى أرجف أهل مكة وقالوا: وَعَدَنا محمد غداً، واليوم خمس عشرة ليلة، وقد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه؛ وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مُكْثُ الوحي عنه، وشقّ عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل عليه السلام من عند الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية، والرجل الطواف والروح. قال ابن إسحاق: فذُكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل: «لقد احتبست عني يا جبريل حتى سُؤت ظنًّا» فقال له جبريل: { وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً } [مريم: ٦٤]

- عن سلمانَ الفارسيَ، قال: جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: عُيَيْنَة بن حِصْن، والأقرَع بن حابِس، وذَوُوهم، فقالوا: يا رسول الله، إنك لو جلست في صدر المجلس ونحيّت عنا هؤلاء وأرْوَاحَ جِبَابِهم - يعنون سَلْمَان، وأبا ذَرْ، وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جِبَاب الصوف ولم يكن عليهم غيرها - جَلَسْنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك! فأنزل الله تعالى: {وَٱتْلُ مَآ أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ

وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً * وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} حتى بلغ، {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً} يتهددهم بالنار، فقام النبي صلى الله عليه وسلم، يلتمسهم حتى إذا أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله تعالى قال: الحمد لله الذي لم يُمِتْنِي حتى أمرني أن أَصْبِرَ نفسي مع رجال من أمتي، معكم المحيا، ومعكم الممات.

قوله تعالى: {وَلاَتُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا.....}الآية.[28 .
أخبرنا أبو بكر الحارثي، قال: أخبرنا أبو الشيخ الحافظ، قال: حدثنا أبو يحيى الرازي، قال: حدثنا سهل بن عثمان، قال: حدثنا أبو مالك، عن جويبر عن الضحاك، عن ابن عباس في قوله تعالى: {وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا} قال: نزلت في أمية بن خلف الجُمَحِي، وذلك أنه دعا النبي صلى الله عليه وسلم لأمر كَرِهَهُ: من طرد الفقراء عنه، وتقريب صَنَادِيدِ أهل مكة، فأنزل الله تعالى: {وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا} يعني مَن خَتَمْنَا على قلبه عن التوحيد، {وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ} يعني الشركَ.

{ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً }

قوله تعالى:{وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ} الآية. (٨٣) قال قتادة: إن اليهود سألوا النبي

صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين، فأنزل الله تعالى هذه الآيات.

-{ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً }

قوله تعالى: {قُل لّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي}. [١٠٩.[
قال ابن عباس: قالت اليهود لما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: {وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً} قالوا:كيف وقد أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتِيَ خيراً كثيراً؟ فنزلت: {قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا)

٥. فضائلها:

- وحدثنا يحيى بن يحيى: أخبرنا أبو خيثمة عن أبي إسحق، عن البراء. قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط بشطنين فتغشته سحابة فجعلت تدور وتدنو

وجعل فرسه ينفر منها، فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له فقال "تلك السكينة تنزَّلت للقرآن"].

[وحدثنا ابن المثنى وابن بشار (واللفظ لابن المثنى) قالا: حدثنا محمد بن جعفر. حدثنا شعبة عن أبي إسحق. قال: سمعت البراء يقول: قرأ رجل الكهف. وفي الدار دابة، فجعلت تنفر، فنظر فإذا ضبابة أو سحابة قد غشيته. قال فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم. فقال "اقْرأ فُلاَنُ! فإنها السكينة تنزَّلت عند القرآن. أو تنزلت للقرآن"].
[وحدثنا ابن المثنى. حدثنا عبد الرحمن بن مهدي وأبو داود قالا: حدثنا شعبة عن أبي إسحق. قال: سمعت البراء يقول، فذكرا نحوه غير أنهما قالا: تنفر].
[وحدثنا محمد بن المثنى. حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة، عن سالم بن أبي الجعد الغطفاني، عن معدان بن أبي طلحة اليعمري، عن أبي الدرداء؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "مَن حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عُصِمَ من الدجال"].
[وحدثنا محمد بن المثنى وابن بشار. قالا: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة وحدثني زهير بن حرب حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا همام جميعاً عن قتادة، بهذا الإسناد. قال شعبة: من آخر الكهف. وقال همام: من أول الكهف. كما قال هشام].
- وقال عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم: " أوحي إلي أنه من قرأ { فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً } رفع له نور ما بين عدن إلى مكة حشوه الملائكة يصلون عليه ويستغفرون له " وقال معاذ بن جبل قال النبي صلى الله عليه وسلم: " من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نوراً من قرنه إلى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نوراً من الأرض إلى السماء " وعن ابن عباس أنه قال له رجل: إني أضمر أن أقوم ساعة من الليل فيغلبني النوم، فقال: إذا أردت أن تقوم أي ساعة شئت من الليل فاقرأ إذا أخذت مضجعك { قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي } إلى آخر السورة فإن الله تعالى يوقظك متى شئت من الليل؛ ذكر هذه الفضائل الثعلبي رضي الله تعالى عنه.
وفي مسند الدارمي أبي محمد أخبرنا محمد بن كثير عن الأوزاعي عن عبدة عن زرّ بن حبيش قال: من قرأ آخر سورة الكهف لساعة يريد أن يقوم من الليل قامها؛ قال عبدة فجربناه فوجدناه كذلك. قال ابن العربي: كان شيخنا الطُّرْطُوشيّ الأكبر يقول: لا تذهب بكم الأزمان في مصاولة الأقران، ومواصلة الإخوان؛ وقد ختم سبحانه وتعالى البيان بقوله: { فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَا }

- فيها منبه قرآني بدون ازعاج: آخر آيتين من السورة

قال تعالى: (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر، القمر-آية ١٧)

آيتان من كتاب الله تنير بهما قلبك وتبعث فيك النشاط والحيوية تستغني بهما عن المنبه الآلي المزعج (موبايل :جوال - منبه الساعة)، آيتان توقظانك وأنت في تمام الراحة دون ازعاج لمن يجاورك من أهل أو ولد ودون احساس بالكسل أو الرغبة في النوم ثانية ودون أن يغالبك النعاس وتغالبه.

اقرأهما مرة واحدة قبل النوم وسترى فعلهما وأثرهما، اقرأهما على سبيل اليقين وليس على سبيل التجربة وكما قال سيدنا عيسى عليه السلام (فإن الله لا يحب أن يجرب).

المقطع الأول: الآيات ١-٨

الموضوع: توحيد الله

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾
قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ
يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ
فِيهِ أَبَدٗا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ﴿٤﴾
مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ
أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ
عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا
جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا

١. شرح المفردات:

-**عبده:** محمد رسول الله وهذا تشريف للرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الإضافة اللفظية.

- **الكتاب**: القرآن

- **عوجاً**: اختلاف وتناقض والمراد نفي التناقض من معانيه

- **قيما**: مستقيما عدلا

- **من لدنه**: من عنده

- **بلوناهم**: اختبرناهم وجربناهم

- **بأسا**: شدة في الألم وهو تهديد للمشركين بالعذاب

- **على آثارهم**: أي من بعدهم

- **ماكثين**: مقيمين

- **أسفا:** حزنا وغيظا

- **الكهف**: النقب المتسع في الجبل فإن لم يكن واسعاً فهو غار

- **كبرت كلمة:** عظمت كلمة الشرك

- **باخع**: قاتل نفسك غيظا قاله الليث

- **على آثارهم:** أي لأجلهم

- **صعيدا**: ترابا

- **جرزا**: ملساء لا نبات فيها

- **الرقيم**: قيل اسم كلبهم وهذا عن أنس ،وقيل لوح كتب فيه أسماؤهم أو قصتهم، وعن ابن عباس أنه واد دون فلسطين قريب من أيلة والله أعلم

- **أن يقولون:** أي ما يقولون إلا كذبا

- **الصالحات**: الأعمال التي يراد بها وجه الله خالصة له

- **لآبائهم**: لأسلافهم

- **اتخذ الله ولدا:** لفظة (اتخذ) توحي بأن ذا العظمة تكلف اتخاذ الولد كما تكلف غيره (المرجع من نظم الدرر للبقاعي) و حاشا لله ذلك.

٢. الأسئلة التمهيدية:

١س- بم بشر الله المؤمنين؟

٢س- من هم الذين أنذروا بالقرآن؟

٣س- مامعنى صعيدا جرزا؟

٤س- علل لم ورد الإنذار مرتين؟

٥س- إنزال الكتاب على الرسول صلى الله عليه و سلم نعمة عليه ونعمة علينا أوضح ذلك

.٦س- لم قدم الإنذار على التبشير؟

ج٦. لإظهار عناية الله بزجر الكفار عما هم عليه رحمة بهم ،و لأن التخلية مقدمة على التحلية ،و لغلظة قريش و عنادهم و نكرانهم لنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم

٧س. لم وصف البأس بالشديد؟

ج٧. لإرعاب المشركين و تخويفهم و حثهم على العودة إلى الصواب فهذا التخويف إنما قصده الرحمة بالكافر.

٣. التفسير:

١. ((ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا))

حمد الله ذاته على أجلّ وأجزل النعم التي أنعم بها على عباده ألا وهي نعمة انزال القرآن على رسوله وعبده محمد صلى الله عليه وسلم. إذ أطلعه الله على أسرار التوحيد ونعوت الجلال وأحوال الملائكة والعالم العلوي والسفلي، ومدى ارتباطهما ببعضهما ،كما أطلعه على شئ من الغيب.

ولذلك يعتبر إنزاله نعمة على الناس؛ لأن فيه صلاح حياتهم وسعادتهم دنيا واخرى، فالحمد لله على كمال فضله على عبده، وفي اضافة لفظ عبد إلى لفظ الجلالة فيه مزيد من الاكرام لرسول الله ودلالة على إخلاصه لله وأنه من خاصة الله تعالى، وإذا ناداك الله ياعبدي فأنت من

خاصة الخاصة ،وأي تكريم أفضل من أن يناديك الله ياعبدي، أو تُخَصّ بقوله عبده، والشاعر يقول:

ومما زادني شرفاً وتيهاً وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبيا

قوله تعالى:(ولم يجعل له عوجا: أي هذا القرآن لا اختلاف في أحكامه ومعانيه، والعوج في المعاني كالعوج في الأشياء قال تعالى (قرآناً عربياً غير ذي عوج).

والحمد على أربعة أنواع وهي:

١- حمد قديم لقديم :كحمد الله لذاته وهو أجلها قال تعالى :(الحمد لله رب العالمين) و(الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا)
٢- حمد قديم لمحدث: كحمد الله لأنبيائه وعباده الصالحين كقوله تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم) و (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه).
٣- حمد محدث لقديم: كحمد العباد لله (رب قد آتيتني من الملك....فاطر السموات والأرض ...).
٤- حمد محدث لمحدث كحمد الناس بعضهم بعضا.

(ولم يجعل له عوجا): إشارة إلى أنه كامل في ذاته مبرأ عن الاختلاف والتناقض، وكأن في الآية تعليم للعباد أن يحمدوا الله لأنه أنزل على عبده محمد الكلام الأزلي وهو القرآن الكريم، والعبد لا يقدر على حمد الله لذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقول: سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

٢. ((قَيِّماً لِّيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً))

(قيما أي عدلا مستقيماً وقيماً على الكتب كلها ومصدقاً لها وناسخا لشرائعها، وقيل معنى قيما أي قياما بأمر الله على العالم، وهذا يؤيده ما بعده من الإنذار والتبشير): من كتاب الجواهر الحسان للثعالبي في شرح الآية. وفائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الإستقامة هي التوكيد.

لينذر: أي لينذر الذين كفروا بالعذاب الأليم من عند الله تعالى، وهنا حذف المُنذَرَ (وهو الذين كفروا) للعلم به ولتطهير اللسان عن ذكره، وفي مقابل الإنذار بالعذاب الأليم للكفار هناك تبشير المؤمنين العاملين للصالحات أي الأعمال الخيرة الخالصة لوجه الله، فهذا القرآن يبشرهم بأجر يفوق ما قدموا من أعمال وهو الأجر الحسن وهو الجنة (من غرائب القرآن للنيسابوري)،

وقيل الأجر الحسن هو لقاء الله جل وعلا، قال القشيري: الأجر الحسن ما يزيد على مقدار العمل وما لا يذكر صاحبه بتقصيره كما يستر عنه عيوب عمله.

٣. ((مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً))

أي أن الإقامة في الجنة دائمة أبدية غير ممنوعة ولا مقطوعة

٤. ((وَيُنْذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَداً))

ذكر الله الإنذارالشديد للذين كفروا فحذف في الآية الأولى المُنذَرَ وأبقى المُنْذَرَ به)، أما هنا فقد حذف المنذَر به وهو البأس الشديد لتقدمه في الذكر، وهكذا ذكر الله الإنذار في الآيتين، ففي السابقة ذكر الكل وفي التالية ذكر الجزء من الكل دلالة على أقبح أنواع الكفر والمعصية (وهو اثبات الولد لله)، فقد زعمت العرب أن الملائكة بنات الله، وزعمت النصارى أن المسيح ابن الله، وزعمت اليهود أن العزيرابن الله.

٥.((مَّا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلاَ لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً))

فليس لديهم أي علم بأن لله ولد أو أنه اتخذ ولداً، فقولهم هذا لم يصدر عن علم ،وإنما لجهل مفرط ولتقليد أعمى للآباء والأسلاف الجاهلين أيضاً.

وانتفاء العلم بالشيء ناجم إما عن الجهل بالطريق الموصل إليه أو لأنه محال، فلا يتعلق به العلم.

(كبرت كلمة): أي ما أقبح وما أكبر وأفحش ما قالوا حين قالوا (اتخذ الله ولدا) وما ذلك إلا لجهلهم بوحدانية الله. هذا الجهل الذي توارثوه عن أبائهم (فالعصا من العصية ولا تلد الحية إلا حوية) لذا كبرت كلمتهم في الإثم والفحش. لأن كثيرا من وساوس الشيطان ما لا يتفوه به العاقل خجلا وحياء إلا أنهم في هذه الفرية لم يستحوا في اظهارها وهي في غاية البطلان لأن العاقل لا يقبلها، وإنما جروا في ذلك على مجرى التقليد لآبائهم الجهلاء ثم زاد القرآن في تقبيح الذين يفترون على الله الكذب لقوله *(إن يقولون إلا كذبا)* أي ما يقولون في هذا الشأن إلا قولاً كذباً.

٦ . ((فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفاً))

كان صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على أن يؤمن الكفار وكان مشفقاً عليهم، ولغيرته على المقام الالهي الذي ملأ قلبه تعظيماً له، فإن المحب لإنسانٍ يحزن إذا نال الآخرون من هذا الإنسان وحقّروه أو افتروا عليه ولله المثل الأعلى. فإن حب الرسول صلى الله عليه وسلم لله جل وعلا وتعظيمه له؛ جعله يتألم من أولئك الذين يصدون عن سبيل الله ويفترون على الله الكذب؛ لذا جاءت الآية تسلّي الرسول وترشده إلى عدم الحزن والغضب لعدم إيمانهم وأن لا يكترث بدعواهم.

وهكذا جاءت الآية وكأنها تمثل حالة حرص الرسول على ايمان قومه وحزنه على اعراضهم ومدى نفورهم، بحال الذي فارقه أهله وأحبته، فهو يرى آثارهم ويحزن على بعدهم، وكأن الآية تشير الى ما سيلقاه الرسول من عنتهم في المستقبل، فتهيء نفسه ليتحمل ما سيلقاه من عنادهم، وهذا من لطف الله جل وعلا برسوله.

وكلمة باخع معناها قاتل نفسه، كما فسره ابن عباس، والكلمة توحي بمدى حزن الرسول عليهم، فهناك البخع على قوم نفروا وابتعدوا عن الرسول رغم قرب الرسول منهم وقرب الحديث منهم، أوقرب القرآن منهم بالإشارة إليه.(بهذا الحديث).

٧.((إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُم أَحْسَنُ عَمَلاً))

(تفسير الآية مأخوذ من كتاب التحرير والتنوير لابن عاشور.)
مناسبة موقع هذه الآية هنا خفية جداً أعوز المفسرين بيانُها، فمنهم ساكت عنها، ومنهم محاول بيانها بما لا يزيد على السكوت.

والذي يبدو: أنها تسلية للنبيء صلى الله عليه وسلم على إعراض المشركين بأن الله أمهلهم وأعطاهم زينة الدنيا لعلهم يشكرونه، وأنهم بطروا النعمة، فإن الله يسلب عنهم النعمة فتصير بلادهم قاحلة. وهذا تعريض بأنه سيحل بهم قحط السنين السبع التي سأل رسولُ الله ربه أن يجعلها على المشركين كسنين يوسف ـــ عليه السلام ـــ ولهذا اتصال بقوله:
{ لينذر بأساً شديداً من لدنه } [الكهف: ٢]. وموقع (إن) في صدر هذه الجملة موقع التعليل للتسلية التي تضمنها قوله تعالى: { فلعلك باخع نفسك على آثارهم }[الكهف:٦].

ويحصل من ذلك تذكير بعضهم قدرة الله تعالى، وخاصة ما كان منها إيجاداً للأشياء وأضدادها من حياة الأرض وموتها المماثل لحياة الناس وموتهم، والمماثل للحياة المعنوية والموت المعنوي من إيمان وكفر، ونعمة ونقمة، كلها عِبَر لمن يعتبر بالتغير ويأخذ الأهبة إلى الانتقال من حال إلى حال فلا يثق بقوته وبطشه، ليقيس الأشياء بأشباهها ويعرض نفسه على معيار الفضائل وحسنى العواقب.

وأوثر الاستدلال بحال الأرض التي عليها الناس لأنها أقرب إلى حسهم وتعقلهم، كما قال تعالى:
{ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت } [الغاشية: ١٧ ٢٠]، وقال: { وفي الأرض آيات للموقنين }[الذاريات:٢٠].

وقد جاء نظم هذا الكلام على أسلوب الإعجاز في جمع معانٍ كثيرة يصلح اللفظ لها من مختلف الأغراض المقصودة، فإن الإخبار عن خلق ما على الأرض زينةً يجمع الامتنان على الناس والتذكير ببديع صنع الله إذ وضع هذا العالم على أتقن مثال ملائم لما تحبه النفوس من الزينة والزخرف. والامتنان بمثل هذا كثير، مثل قوله:
{ ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون } [النحل: ٦]، وقال:
{ زين للناس حبُّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث } [آل عمران: ١٤].
ولا تكون الأشياء زينة إلا وهي مبثوثة فيها الحياة التي بها نماؤها وازدهارها. وهذه الزينة مستمرة على وجه الأرض منذ رآها الإنسان، واستمرارها باستمرار أنواعها وإن كان الزوال يَعرض لأشخاصها فتخلفها أشخاص أخرى من نوعها. فيتضمن هذا امتناناً ببث الحياة في الموجودات الأرضية.

ومن لوازم هذه الزينة أنها توقظ العقول إلى النظر في وجود منشئها وتسبُر غورَ النفوس في مقدار الشكر لخالقها وجاعلها لهم، فمِن موفٍ بحق الشكر، ومقصر فيه وجاحد كافرٍ بنعمة هذا المنعم ناسبٍ إياها إلى غير موجدها. ومن لوازمها أيضاً أنها تثير الشهوات لاقتطافها وتناولها فتستثار من ذلك مختلِف الكيفيات في تناولها وتعَارُض الشهوات في الاستيثار بها مما يفضي إلى تغالب الناس بعضهم بعضاً واعتداء بعضهم على بعض.

وذلك الذي أوجد حاجتهم إلى الشرائع لتضبط لهم أحوال معاملاتهم، ولذلك عُلل جعل ما على الأرض زينة بقوله: { لنبلوهم أيهم أحسن عملاً }، أي أقْوَتَ في حسن العمل مِن عمل القلب الراجع إلى الإيمان والكفر، وعلم الجسد المتبدي في الامتثال للحق والحَيدة عنه. فمجموع الناس متفاوتون في حسن العمل. ومن درجات التفاوت في هذا الحسن تُعلم بطريق الفحوى درجةُ انعدام الحُسن من أصله وهي حالة الكفر وسوء العمل، كما جاء في صحيح البخاري قال صلى الله عليه وسلم: مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة لا ريح لها وطعمها مر).

والبَلْو: الاختبار والتجربة. وقد تقدم عند قوله تعالى: { هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت } في سورة يونس (٣٠). وهو هنا مستعار لتعلق علم الله التنجيزي بالمعلوم عند حصوله بقرينة

الأدلة العقلية والسمعية الدالة على إحاطة علم الله بكل شيء قبل وقوعه فهو مستغنٍ عن الاختبار والتجربة. وفائدة هذه الاستعارة الانتقال منها إلى الكناية عن ظهور ذلك لكل الناس حتى لا يلتبس عليهم الصالح بضده. وهو كقول قيس بن الخطيم:

وأقبلت والخطي يخطر بيننا لأعْلَم مَن جَبَانُها من شُجاعها

وقوله: { وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً } تكميل للعبرة وتحقيق لفناء العالم. فقوله: { جاعلون } اسم فاعل مراد به المستقبل، أي سنجعل ما على الأرض كله معدوماً فلا يكون على الأرض إلا تراب جاف أجرد لا يصلح للحياة فوقه وذلك هو فناء العالم، قال تعالى: { يوم تبدل الأرض غير الأرض } [إبراهيم:٤٨].

والصعيد: التراب. والجُرز: القاحل الأجرد. وسيأتي بيان معنى الصعيد عند قوله: { فتصبح صعيداً زلقا }

٤. الأسئلة التقويمية

س١. ما أنواع الحمد؟هات مثالا عن كل منها.

س٢. لم حمد الله ذاته؟

س٣. لم قدم الجار و المجرور على المفعول به في الآية الأولى؟

س٤. لم بخع الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه؟

س٥. بم توحي لك كلمة (زينة)؟

س٦. بم توحي لك (صعيدا جرزا)؟

س٧. ما الزينة في العقارب و الأفاعي و الشياطين؟

ج٧. (زينتها) تدل على وحدانية الله تعالى و جماله و كمال قدرته فما من شيء إلا و له حكمة و لم يخلق عبثا. الزينة و الجمال موجودان في كل المخلوقات حتى في وحيدات الخلية، فتحت المجهر تجد لها جمالا في الشكل و الحركة.... و هناك حكم لا نعلمها، الله أعلم بها، فلابدمن البحث عنها و التأمل فيها.

س٨. لم جمع الله بين (قيماً) و (عوجاً) في الآيتين؟

ج٨. "رُبّ مستقيمٍ في الظاهر يكون معوجاً في الحقيقة" قال ذلك ابن عباس و لمزيد التوضيح يرجى مراجعة تفسير الآية في غرائب القرآن للنيسابوري

٥. ماذا نأخذ من الآيات لواقعنا المعاصر

١.(الحمد لله): إن الأمة التي ينعدم فيها الخير ينعدم فيها الحمد، وإذا كان ثمة خير ولاحمد فذاك دليل على اللؤم، وقديما قيل: إذا أردت أن تصنع عدواً فأحسن إلى لئيمٍ ،والشاعر العربي يقول:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإذا أنت أكرمت اللئيم تمردا

وإن الأمة التي ينعدم فيها الخير لا خير فيها، وإن من دواعي استمرار الخير الحمد عليه والثناء على فاعله، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله.
وقد ساد في غالب أمتنا الشر وكثرت فرسانه وعم بلاؤه، وغابت الكلمة الطيبة عن الأفواه، والرسول يقول من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تستطيعوا فادعوا له. أو كما جاء في الحديث الشريف.

إن حمد فاعل الخير ليعزز فعل الخير، ويوسع رقعته وينوع ضروبه، لذا علمنا رسول الله أن نحمد فاعلي الخير ،وأن نعزز الظواهر الخيرة الحميدة بالتشجيع والمكافأة والدعوة الصالحة. وإن النفس البشرية لتحتاج إلى الحمد لتقوى على فعل الخير ولتبتعد عن الإحباط ولتضيق على الشيطان طريقه وحبائله ووساوسه. فالطفل والمرأة والموظف والجندي بحاجة إلى أن نعزز أفعالهم الطيبة وننميها ونرقى بها، وكثيرا ما فقدت هذه الصفة في مدارسنا وبيوتنا ودوائرنا الحكومية ،وحل عوضا عنها الشتم والحسد والغيبة والنميمة والهمز واللمز.

- أيهاالأخوةوالأخوات : إننا بحاجة ماسة إلى العودة إلى المبدأ الإنساني السامي وهو قوله تعالى:(هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) وقوله جلّ من قائل (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيبا)

فحتى التحية على بساطتها أوجب الإسلام ردها بأحسن منها أو على الأقل بردها، ولقد بخل أكثر الناس بالتحية؛ فسادت ثقافة عدم الإحترام والإزدراء والتطنيش، وأصبح الجار لا يسلم على جاره فقطعت أوصال المجتمع. هذا وقد يكون من أهداف الثناء والحمد توريط المحمود بالمحامد والأفعال الجليلة، فعلينا الإقتداء بنهج الرسول صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح في حمد الناس وشكرهم والإحسان إليهم ،فالإقتداء بالصالحين فلاح، قال الشاعر:

بأبيه اقتدى عدي في الكرم ومن شابه أباه فما ظلم

هذا وإن التنكر لفاعل الخير يورث القطيعة ويقطع الخير والإحسان، ويروى قديما أن أميرا من أمراء الأندلس كان له جواد سبّاق، تنافس التجار في شرائه فرفض الأمير، إلى أن جاء أحد اللصوص المحترفين فقال أنا آتيكم به على أن تدفعوا لي أعلى ثمن، فوافق التجار على ذلك فذهب اللص؛ فجلس على طريق عودة الأمير من الصيد، وتزيا بزي الفقراء والمرضى مضمدا يده لتبدو مكسورة، فلما مرّ به الأمير ناداه: أيها الأمير هل لك في خير ساقه الله إليك؟ قال الأمير ما هو؟ قال: اللص تحملني معك؛ فإني عليل كسير. فقال الأمير مدّ يدك فقال اللص:

لو كنت أستطيع الحراك لمشيت، فهل تساعدني على النهوض أيها الأمير؟ فنزل الأمير وحمل اللصّ على ظهر الجواد ،فلما تمكن اللّصّ من الجواد أرخى له العنان وطار به تاركا الأمير في الصحراء، فناداه الأمير أيها الرجل ناشدتك الله إلا وقفت، فوقف اللص غير بعيد، فقال له الأمير: خذ الحصان ،ولكن أسألك بالله ألا تحدث أحدا بذلك، قال ولم أيها الأمير؟، قال حتى لا ينقطع الخير، فإذا مرَّ مثلي بمثلك حقيقة لا يحمله ولا يعينه. وهكذا سادت الثقافة الخاطئة في مجتمعنا والتي تقول :خيرا لا تفعل شرا لا تلقى.

وهكذا بما أن الإنسان عليه أن يشكر ويمدح المحسن إليه ؛فلا أحد أشد من الله إحسانا وتفضلا على عباده؛ ولذا فهو المستحق لتمام الحمد وكماله والذي لا يقدر على الوفاء به بشر مهما حمدوا، لذا حمد الله ذاته لكمال ذاته وفعاله وصفاته.

وفي الختام لو أحصينا كلمات الشكر المتداولة في حياتنا الواقعية لوجدناها أشبه بالأيتام على مائدة اللئام، فقد مزقت قواميس الحمد والشكر والعرفان في كثير من تعاملاتنا الفردية والحكومية ليحل محلها كلمات مقتبسة من قاموس البذاءة والنكران ،وأيا كان الأمر فلا نعدم ألسنة رطبة بذكر الله والثناء عليه شاكرة الجميل لعباده.

٢.(ولم يجعل له عوجا): ما من شرع يضعه بنو البشر لتدبير أمور حياتهم الدنيوية إلا ويعتريه النقصان ويشوبه الاختلاف والاختلال وتُغلَّب مصلحة الفرد على الجماعة أو العكس إلا ما كان من شرع الله الذي لا عوج فيه ،فشرعه جل وعلا لا يخدم طبقةً أو حزباً أوجنساً ،وإنما يخدم البشرية جمعاء ،أبيضهم وأسودهم فقيرهم وغنيهم ضعيفهم وقويهم، ويسير مع الجميع على وتيرة العدل والمساواة.

وعلى وتيرة (ألا يعلم من خلق) فالخالق هو أعلم بمن خلق وبما يحتاجه المخلوق وينسجم مع عضويته ونفسيته وتطلعاته، لذا فإن حل مشاكل العصر يكمن في الإسلام ،صُنْعَ الله الذي أتقن كل شيء خلقه، ولكن أنى لمعوج الخلق والسلوك أن يكون داعيا لمنهج الله الذي لا عوج فيه. فالمطلوب أولا تقييم السلوك وتوجيهه نحو الصراط المستقيم ،وهذا لا يتم بالجهد الفردي فقط، إذ لا بد من أن تتضافر جهود الأفراد والجماعات في هذا المنحنى، وأجل من ذلك تضافر جهود حكام المسلمين في اتاحة الفرصة لشعوبهم حتى يختاروا نهج الله وشرع الله عبر صناديق الإقتراع ،اذالابد من اطلاق حريات الشعوب المسلمة حتى لا تكون مقهورة على قبول المعوج من المبادئ والأفكار، وحتى لا تقهر للإدانة للحاكم عوضاً عن الإدانة لله ،ولكن أنى للحكام أن يطلقوا الحريات للشعوب والفصام النكد قائم بين الأمة وكثيرٍمن حكامها ،والعداوة قد استحكمت فيما بينهم إلا من رحم ربي. فكيف تستطيع الشعوب أن تختار؟ وقيد الحديد يوهن عزمها ،وبطش الجبارين يجعلها تخلد للأرض ،إذن لابد من مصلحين صابرين واعين حكماء؛ ليصلحوا ما أفسدالجبارون ؛ويقاربوا ما تشتت ، ويسددوا ويبشروا وينذروا، ويوضحوا للناس حقائق ماتنطوي عليه آيات الله (إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذن شططا).

ورحم الله عمر الفاروق إذ قال:كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما طلبنا العزة بدونه أذلنا الله.

وخلاصة ما مضى:

إن إصلاح المعوج من حياة أمتنا لا يتم إلا بتضافر جهود فتيتها (أمثال فتية الكهف) مع جهود أهل العلم والذكر أهل الحقيقة والشريعة (موسى والخضر عليهما السلام) تضاف إلى ذلك قيادة حكيمة واعية محنكة تجمع بين الحزم والرحمة (كقيادة ذي القرنين).

٣.(فلعلك باخع نفسك): إن على الداعي إلى الله أن لايسأم أو يحزن من عدم استجابة الناس لدعوته (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ)، (قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ)،(وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ)، (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ)، إنما على الداعي أن يقدم المعذرة إلى الله {وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون، سورة الأعراف١٦٤). إن ما مضى من الحقائق الدعوية تجعل الداعي إلى الله واثق الخطا، مترقباً الأجر من الله قاصداً وجهه (يريدون وجهه) غير مستعجل لقطف الثمار قبل أوانها، فقلوب العباد ليست بيد الداعي وإنما بيد الله يقلبها كيف يشاء، إذاً لا حزن ولا غضب ولا قلق وإنما ثبات واتزان وحلم وأناة وحسن تدبير وتخطيط ومن ثم توكل على الله حق التوكل.

٤.على المسلمين أن يتركوا الجدال والمراء فيما لا طائل منه ،وأن يلتفتوا إلى المستقبل وإلى ما يصلح حالهم، لذا لم يطل أهل الكهف حوارهم عن زمن مكوثهم في الكهف إذ لا فائدة من إطالة الحوار حول ذلك ،فأرجعوا الأمر لله قائلين:(رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ).

٥.ساد في مجتمعات المسلمين في أواخر القرن العشرين الجهل والافتراء والكذب على الله وعلى شرعه وعلى عباده المؤمنين، فكثرت التقولات والإشاعات التي تفت في عضد الأمة، وتكدر صفو تاريخها العريق. إن التقول بغير علم- كحالة المفترين على الله - طامة كبرى تحيق بحاضر الأمة ومستقبلها وتزعزع الثقة بين أفراد الأمة. إن اعتماد الصدق والتبيّن في القول والعمل أساس نجاح أمتنا في الماضي، كما أن الإفتراءات على أبناء الأمة في هذا القرن أودت بنخبها إلى السجون أو القبورأوخارج الحدود، وجعلت الأمة شعوبا واحزابا متناحرين متدابرين، لايجمعهم فرحٌ ولاحزنٌ ولالغةٌ ولادين ،وبينما تجتمع دول الإتحاد الأوربي على عامل المصلحة رغم كثرة الدماء التي سفكت بينها في الحروب،نجد أن غالب ساسة الأمة لايجمعهم أي جامع .

وما هذه الإفتراءات إلا نتيجة أضغانٍ دفينة وأحقاد متلهبةٍ كامنةٍ في صدور قومٍ لا يعقلون، يتجاهلون أو يجهلون مغبة أفعالهم ويكونون أداة طَيّعةً في يد الطاغي.

إن رجل الأمن يجب أن يمتاز بالحرص على حماية الأمة (ولايشعرنّ بكم أحدا)، لا أن يكون جسراً يعبر أعداء الأمة عليه ،أو مطية لمآربهم الشريرة، لقد أجاد فتية الكهف اختيار من يكون وسيلة أمنية لتحقيق أهدافهم فشرحوا له المهمة الموكلة إليه، وزودوه بالنصائح الموجهة، وبينوا له هدف كل خطوة وعاقبة عدم الالتزام بالتوجيهات، قال تعالى: (فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ

هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا) نلاحظ من الآية:

١. إن هناك إجماعاً على اختيار رجل الأمن الذي سيخوض بحراً متلاطماً من الشرك والكفر دون أن يَعْلُقَ به شيء،والذي عليه حماية الأمة قال تعالى: (فابعثوا أحدكم بورقكم) فواو الجماعة، وكاف الخطاب المكرر ضمائر دالة على الإجماع.

٢. قوة النظر والقدرة على البحث والاستقصاء سمات بارزة يجب أن يتحلى بها رجل الأمن المسلم.

٣. اللطف بالتعامل والحرص على عدم إثارة أي من الشبهات وتجنب أحداث أي صدام أو أية إعاقة تمنعه من الوصول إلى هدفه ،فاللطف سمةٌ بارزة للدعاة المسلمين، كما يجب أن تكون سمةً بارزة لرجل الأمن المسلم، ففي الحديث الشريف: كما في البخاري، يقول صلى الله عليه وسلم " إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه"

بالرفق واللطف يصل رجل الأمن بل كل إنسان إلى مبتغاه بسهولة ويسر، وإنّ ما يحصل عليه رجل الأمن من خلال اللطف والرفق بمن يتابعهم أو يحقق معهم لهو أكثر بكثير مما يحصل عليه بالعنف والقهر والتعذيب، ولقد أثبتت البحوث الأمنية ذلك.

إن كثيراً من أفراد الأمن ممن يبطش بالأمة، ويستعلي على أفراد الشعب، بل ينصب نفسه فرعوناً أكبر ويغدو ملكاً أكثر من الملك ،يستمد سلطانه من سلطات الحاكم الظالم، ويستعلي به، بل ويفاخر بجرائمه ويجاهر بكونه أجيراً للمستبد. هؤلاء وأمثالهم هل يحققون الأمن للأمة ؟ لا بل هل يحققون الأمن لأنفسهم؟ وإن طالت بهم سلامة فلا بد أن يجنوا الجراح من الأشواك التي زرعوها ومن زرع حصد وكما تدين تدان، وبشر الظالمين وأعوانهم بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة. فلا بد من إقامة العدل وإحترام القانون، وإن أول من يجب عليه ذلك هم رجال الأمن.

والخلاصة:

إننا بحاجة إلى رجال أمن نزهاء أبرياء أنقياء شرفاء، ولذا يجب اختيارهم من النخبة التقية الورعة الذكية، الذين يحرصون على نصح الأمة وحماية عرضها وأرضها ،كما يحرصون على نصح الحاكم وتعزيزه إن أصاب وتبصيره إن أخطأ، فمن خطب الصدّيق رضي الله عنه قوله:

أما بعد "أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن

شاء الله، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ."

٤. (زينة لها) قال تعالى: (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها) فكل ما على الأرض زينة للأرض، فالأرض أمناً (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (٥٥)طه) والتزيين والجمال ليس عرضاً وإنما قُصِدَ قَصْداً، فما على الأرض زينة، وفي السماء زينة: (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦)الصافات) (مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ، الملك) (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) المؤمنون).

مما مضى ندرك أن الزينة نجدها في الطيور والحدائق، في الأشجار الباسقة والأنهار الجارية في البحر الهادئ وفي البحر الثائر، في تغريدة الطيور وتحليق الصقور وافترار الثغور، في بسمة الأطفال، في طيب عبق الزهور في جمال الشروق والغروب في الخيل العاديات، بل وحتى في وحيدات الخلية وتحت عدسة المجهر نجد زينة وأي زينة؟! فماذا نأخذ من ذاك لواقعنا الحياتي؟ لابد أن نأخذ بعامل الزينة وأن نُزَيّنَ قلوبنا بالإخلاص وأن نرطب ألسنتنا بالذكر وأن نزين أعمالنا بالعفو والصفح والإتقان والإحسان، وأن نزين أصواتنا بالقرآن وصدورنا وقلوبنا بخشية الرحمن، علينا أن ننعم النظر بجدٍ في هذه الزينة المبدعة؛ فأينما التفت تجد بديع صنع الله ،تجد جمال صنع الله ،من العرش إلى ما تحت الثرى جمال وبهاء وزينة وجلال ؛فتأخذنا الروعة ونحن نتأمل جمال الربيع في ألوانه الزاهية، في عطره الندي في تدفق الخير والعطاء والبهاء، إن هذه الزينة وهذا الجمال إنما هما لأجل محدد، فإذا جاء الخريف عصف بكل ذلك؛ ليأتينا بجمال آخر بتراقص أوراق الشجر ،بحبات المطر الندي، بالثلج الأبيض ببساط أبيض هنا وبساط أخضر هناك، نعم إن كل مافي الوجود يشهد بأن لا إله إلا الله، إن كل ما في الوجود يردد تبارك الله أحسن الخالقين، وما كانت هذه الزينة إلالتشهد بعظيم إبداع الخالق، وما كانت هذه الزينة إلا امتحاناً لبني البشر، فهل ينشغلون بالنعمة عن المنعم أو بالهدية عن الهادي؟ أم يحسنون كما أحسن الله إليهم؟ الآية تدعونا إلى أن لا تبهرنا المظاهر عن الحقائق ولا ننشغل بالزينة عمن زينها.

٤. (ويبشر): البشرى للذين آمنوا وعملوا الصالحات، البشرى أساس في الدعوة إلى الله ولكنها تخص أولئك الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فدائماً نجد القرن بين الإيمان والعمل الصالح فليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل. فالبشرى لمن قرن الإيمان بالعمل الصالح، والخسارة لكل من تنكب عن هذا الطريق. (والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات). وهنا إشارة واضحة إلى الصالحات، إلى الأعمال الخيرة التي فيها صلاح الدين والدنيا، فالدنيا مزرعة الآخرة، وهي مطية الرجل الصالح للجنة، وقد حدث الفصام النكد

بين الإيمان والعمل الصالح عندما ظن كثيرون أن التظاهر بالايمان أو إدعائه يغني عن العمل الصالح، أو ربما قرنوا مظاهر الإيمان بمفاسد الأعمال ؛لتكون المظاهر ستاراً لحقيقتهم، وأنى لهم ذلك والله يعلم مافي الصدور، و كما قال الفاروق : لاتظهروا لنا أعمالاً سيئة وتضمروا نوايا حسنة فإن الله وحده هو الذي يعلم السرائر وإنما نأخذكم على الظواهر.

٥. أسئلة وأجوبة

س١. ما الغرض من نفي العوج و اثبات الاستقامة؟

ج١. الغرض هو التوكيد بأنه كامل و مبرؤ من الاختلاف.

س٢. ما الغرض من عطف الإنذار المخصوص على الإنذار المطلق؟

ج٢. الإنذارالمطلق هو انذار للكفار، أما المخصوص فهو انذار لمن زعم أن لله ولداً؛ و ليدل على أنه من أقبح درجات الكفر والمعصية ، فقد زعم كفار قريش بأن الملائكة بنات الله ،وزعمت النصارى بأن عيسى ابن الله، و زعمت اليهود أن العزير ابن الله.

س٣. علام يدل استخدام صيغة الماضى في (قالوا)؟

ج٣. ليدل على وقوع تلك الكلمة القبيحة و تحقق صدورها منهم.

س٤. من خلال مطلع سورتي الإسراء و الكهف ناقش هذا القول (إن مقام التسبيح مبدأ و مقام التحميد نهاية).

س٥. قد تذكر قضية كلية ثم يعطف عليها ببعض جزئياتها. أوضح ذلك.

س٦. هات من الآيات طباقاً و بين غرضه.

س٧. لم آثر صيغة الاستقبال في الصلة في قوله تعالى (الذين يعملون الصالحات)؟

ج٧. للإشعار بتجدد العمل و استمراريته.

س٨. ما الغرض من قوله (من علم) و لم جاءت نكرة؟

ج٨. غرضها تأكيد النفي و استغراقه و أنه ليس لديهم شيء من العلم.

س٩. قال تعالى (عبده) ولم يقل عليك فما الغرض من ذلك؟

ج٩. الغرض: هو وصفه عليه السلام بالعبودية لله فقط وليس عبدا لأحد، وهذا مقام عظيم، وكذلك تشريفه صلى الله عليه وسلم بإضافة عبد إلى ضميرلفظ الجلالة(الله) سبحانه وتعالى. ولبيان العلة في تخصيصه صلى الله عليه وسلم بالإنزال ولتحقيق مقام العبودية.

س١٠. لم عبر بالإنزال (أنزل) دون التنزيل؟

ج١٠. لأن المراد وصف جملة الكتاب بالإعجاز من غير تفريق أو تدرج (من نظم الدرر للبقاعي)

س١١. بم توحي لفظة الكتاب؟

ج١١. توحي بأنه الجامع لمعاني الكتب السابقة كالتوراة والزبور و...

س١٢. بم وصف الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ؟ وبم وصف كتابه؟

س١٢. القرآن رسالة فَمِنْ مَنْ؟ ولمن؟ ولماذا؟ وما سمات هذه الرسالة؟

يرجى استخلاص الجواب من مطلع الآيات في المقطع مع ذكر النص القرآني

٧. <u>ملحق</u>

الصلة بين سورتي(الإسراء والكهف)

١. نزه الله ذاته في أول سورة الإسراء إشارة إلى كونه كاملاً في ذاته، وهنا في أول سورة الكهف حمد ذاته وهو إشارة إلى كونه مكملاً لغيره جل وعلا.

٢. مقام التسبيح مبدأ، ومقام التحميد نهاية للذكر (سبحان الله والحمد لله)

٣. بالإسراء بالرسول نال صلى الله عليه وسلم أول درجات كماله ،وبإنزال الكتاب عليه نال غاية درجات الكمال لأن فيه نقلة النفس البشرية من الحضيض إلى الأوج.

٤.في الخبر: من تعلّم وعلّم وعمل فذلك يدعى عظيماً في السموات.(من غرائب القرآن للنيسابوري)

٥.إن إنزال الكتاب على الرسول نعمة عليه وعلينا (للمزيد راجع تفسير الآية في الغرائب للنيسابوري)

٦.العوج بالكسر هوماكان في الدين والطريق،والعوج بالفتح ما كان في الخشبة والقناة.(للماوردي في النكت والعيون)

٧.(الحمد لله): أي المستحق الحمد لذاته .

٨. (الذي أنزل على عبده الكتاب) أي الذي يستحق الحمد لصفاته وأفعاله وإنزال القرآن الكريم.

٩. (وقالوا اتخذ الله ولدا) كلمة (اتخذ) توحي – حسب زعمهم- أنه طلب الولد ليستخدمه وليعينه.

١٠. (فلعلك باخع) توحي بشدة حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على ايمانهم شفقة عليهم وغيرة على المقام الإلهي الذي ملأ قلبه تعظيماً له.

١١. (على آثارهم) اشارة إلى شدة نفرتهم وسرعة مفارقتهم ومباعدتهم للحق؛ فكانوا كمن قوضوا خيامهم، وأذهبوا أعلامهم (ص:١٠+١١ من نظم الدرر للبقاعي)

١٢. السورة تمضي من أولها إلى آخرها معلنة توحيد الله ومنكرة للشرك ومثبة للرسالة الإسلامية وللنبوة المحمدية: نجد ذلك في قصة أصحاب الكهف (رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) الكهف) وفي قصة الرجلين (لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) الكهف) وفي القيامة (وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا (٥٢) الكهف) مقتبس من الظلال في تفسير الآيات الأولى

١٣. { ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا قَيِّماً } ذكر ابن إسحاق: " أن قريشاً بعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود وقالوا لهما: سَلاهم عن محمد وصِفَا لهم صفته وأخبراهم بقوله؛ فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علمٌ ليس عندنا من علم الأنبياء؛ فخرجا حتى قدما المدينة، فسألا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووصفا لهم أمره، وأخبراهم ببعض قوله، وقالا لهم: إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، فقالت لهما أحبار يهود: سَلُوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبيّ مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقوّل، فروا فيه رأيكم؛ سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ما كان أمرهم؛ فإنه قد كان لهم حديثٌ عَجَب. وسلوه عن رجل طوّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه. وسلوه عن الروح، ما هي؛ فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبيّ، وإن لم يفعل فهو رجل متقوّل فاصنعوا في أمره ما بدا لكم. فأقبل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط حتى قدما مكة على قريش فقالا: يا معشر قريش! قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها، فإن أخبركم عنها فهو نبيّ، وإن لم يفعل فالرجل متقوّل، فروا فيه رأيكم. فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد، أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، قد كانت لهم قصة عجب، وعن رجل كان طوّافاً قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وأخبرنا عن الروح ما هي؟ قال فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أخبركم بما سألتم عنه غداً» ولم يستثن.

فانصرفوا عنه، فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يزعمون خمس عشرة ليلة، لا يحدث الله إليه في ذلك وَحْياً ولا يأتيه جبريل، حتى أرجف أهل مكة وقالوا: وَعَدَنا محمد غداً، واليوم خمس عشرة ليلة، وقد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه؛ وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مُكْثُ الوحي عنه، وشقّ عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل عليه السلام من عند الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية، والرجل الطواف والروح. قال ابن إسحاق: فذُكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل: «لقد احتبست عني يا جبريل حتى سُؤت ظنًّا» فقال له جبريل: { وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً } [مريم: ٦٤] "

المقطع الثاني: الآيات ٩-٢٧

الموضوع: هجرالفتية قصور الكفر إلى كهوف الرحمة لاجئين إلى الله

{ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً } * { إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّىءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً } * { فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً } * { ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُواْ أَمَداً } { نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى } * { وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوٰتِ وَٱلأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِ إِلـٰهاً لَّقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً } * { هَـٰؤُلآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلاَ يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً } * { وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ ٱللَّهَ فَأْوُوا إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مِّرْفَقاً } { وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذٰلِكَ مِنْ آيَاتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً } * { وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱليَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً } { وَكَذٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَم لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُواْ أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَـٰذِهِ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلاَ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً } * { إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذاً أَبَداً } { وَكَذٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لاَ رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْجِداً } * { سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَآءً ظَاهِراً وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِّنْهُمْ أَحَداً } * { وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَاْىءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذٰلِكَ غَداً } * { إِلاَّ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَداً }

{ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعاً } * { قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوٰتِ وَٱلأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً } *

١.شرح المفردات: (مقتبس من تفسير ابن كثير)

- أم: بمعنى بل وقيل :هي بمعنى ألف الإستفهام على الإنكار، أي لا يعظم عليك كما عظمه السائلون لك من الكفارعن أصحاب الكهف، فإن سائرآياتنا أعظم انتشارا، وقيل:إنهم ليسوا بأعجب آياتنا.

- الفتية : جمع قلة لفتى، وهو الطري من الشبان.

- شططا: باطلاً وبهتاناً

- سلطان بين: دليلاً واضحاً

- افترى: كذب

- اعتزلتموهم: فارقتموهم

- فأووا: التجئوا واسكنوا وهذا ما طلبه أحد الفتية من جماعته

- مرفقا: أمراً ترفقون به

- تزاور: تميل

- الرقيم: لوح من رصاص أو من ذهب كتب فيه تاريخ الفتية وسيرتهم، ووضع على باب الكهف، وقال ابن عباس :ما أدري ما الرقيم كتاب أم بنيان؟.

- تقرضهم: تنصرف عنهم ولا تطلع في كهفهم.

- فضربنا: ألقينا عليهم النوم.

- فجوة: المتسع داخل الكهف.

-وتحسبهم: تظنهم.

- الوصيد: الفناء وقال ابن عباس: بالباب.

- بورقكم: فضتكم

- المدينة: واسمها أفسوس وهذا اسمها في الجاهلية ،وقيل سميت في الإسلام بطرسوس.

- ينظر:يبحث وينتقي

- أزكى: أطيب وحلال.

- يظهروا: أي إن علموا بمكانكم.

- يرجموكم: يقتلوكم.

- ملتهم: عقيدتهم التي هم عليها.

- يتنازعون: أي في أمر القيامة فمن مثبت ومن منكر

- بنيانا: اي سدوا باب الكهف

- غلبوا: هم أصحاب السلطة والنقود.

- رجما بالغيب: قولا بلا علم.

- عدتهم: عددهم

- فلا تمار: فلاتجادل إلابلطف ولين.

- واتل: اتبع القرآن.

- لا مبدل: لا مغير ولا محرف.

- ملتحدا: ملجأ ووليا ومهربا.

- مراء ظاهرا: سهلا هينا.

- ولا تستفت: لا تسأل.

- أبصر به: ما أبصره أي لا أحد أبصر من الله .

- وأسمع: ما أسمعه أي لا أحد أسمع من الله.

٢. الأسئلة التمهيدية:

س١. بم وصف الله أولئك الذين هجروا القصور إلى الكهوف؟

س٢. لم هجر الفتية القصور؟ وهل انتقلوا إلى مكان أفضل؟

س٣. بم يوحي تتالي الفعلين (إذ قاموا فقالوا)؟

س٤. بم أخبروا عن قومهم؟ وهل صعب عليهم نصحهم؟أم خافوا على أنفسهم من الفتنة؟

س٥. ما معنى بسلطان بيّن؟

س٦. بم توحي لفظة اعتزلتموهم؟

س٧. ماذا وجدوا في الكهف وماذا تحقق لهم من الرحمة؟

س٨. يشرف المرء بمرافقة الصالحين ،كما يكرم الحيوان لكرامة أصحابه، أوضح ذلك على ضوء الآيات؟

س٩. لم تكرر ذكر الكلب ولم نسب إليهم؟ وما الدور الذي قام به؟

س١٠. ماذا يحدث لو اطلعت عليهم؟

س١١. روح الجماعة بدت بكلمة (ورقكم)

س١٢. لم الحذر؟

س١٣. ما معنى يتنازعون؟

س١٤. ما معنى أبصر به؟

س١٥. جاء في الحديث الشريف المؤمن كيّس فطن حذر، فماذا تجد في الآيات موافقاً لذلك؟

س١٦.هل هناك أعجب من قصة أصحاب الكهف؟

س١٧. ما الكهف؟ وما الرقيم؟

س١٨. أيهما أوقع من لدنك ؟أم من عندك؟

س١٩. ما المقصود بقوله تعالى (فضربنا على آذانهم)؟

س٢٠. أوجز الله قصتهم بداية ثم فصلّها جل وعلا، لخص الموجز؟

س٢١. أعظم القصص تلك التي يحكيها الحبيب الأعظم لحبيبه عن أحبائه، أوضح ذلك؟

٣. التفسير:

٩.((أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً))

أحسبت يا محمد أن أصحاب الكهف كانوا هم فقط عجباً من بين آياتنا، أوأنها أعجبها، فإن إحياء الموتى أعجب وإماتة الأحياء كذلك، وهي أعجب من إحياء النيام لأن النيام ما تزال فيهم حياة، وهنا تعريض باليهود وبمشركي العرب الذين ظنوا أن هذا أعجب شيء، وتغافلوا عما هو أعجب بل كفرواعندما قالوا بفناء العالم لأنهم كانوا دهريين يقولون: ماهي إلا حياتنا الدنيا

نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر .(من التحرير والتنوير لابن عاشور).
وهناك من آيات الله ما هو أعجب نجد ذلك في خلق السماوات والأرض، في اختلاف الليل والنهار، في الإحياء والإماتة، في حركة الكواكب والنجوم، في النبات و في اخضرار الأرض ويبسها، في تساقط الأمطار وإحياء الأموات.

فآيات الله كثيرة كثيرة، ولكن الكفرة من اليهود والنصارى يهولون السؤال، فلماذا يتعامون عنها؟.

(أصحاب الكهف): الكهف قيل: هو ثقب كبير في جبال بمدينة طرسوس وهو المشهور وقيل في الشام.

أصحاب الكهف :هم السبعة الذين ذكرهم الله – والرقيم لوح كتب فيه أسماؤهم وسيرتهم ووضع على باب الكهف وقيل عرّف الله لنا أصحاب الكهف ولم يعرّف لنا الرقيم والله أعلم.

١٠.((إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّىءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً))

لخّص الله قصتهم: لقد أوى هؤلاء الشباب إلى الكهف فراراً بدينهم كما أويت يا محمد إلى الغار فراراً من الكفار، لقد تركوا القصور بمن فيها وما فيها من نعيم ومتاع ورفاه ،فما قيمةالدنيا إذا لم تكن مقرونة بالدين! وما قيمة النعيم إذا كان فيه خسارة للدين! إنهم شباب غضة أصلابهم، طرية نفوسهم، عظيمة عقيدتهم، لذلك آثروا الغار؛ لأن فيه نجاتهم من النار. آثروا رضى الله على سخط آبائهم وملوكهم، وماذا في الغار؟أليس فيه الديدان والحشرات؟! أليس هو مركز الهوام والوحوش؟! ومأوى اللصوص وقطاع الطرق؟! ثم ماذا فيه؟ لقد آثروا التراب على الفراش الوثير، آثروا الخلوة مع الله على الخلوة مع الملذات والأصحاب، لقد حرسهم كلبهم، وكانوا في الماضي تحرسهم الجنود والخدم والحشم . الله أكبر أيها الشباب كم أنتم عظماء! كيف تعاليتم على شهوات الدنيا! ومن هو في مثل سنكم يتماوت على شهواتها، أيها الشباب المؤمنون: يا زينة الشباب، يا قدوة الشباب بل والشيوخ في كل زمان ومكان؛ لقد آثرتم حب الله على حب الدنيا، لقد سألتم الله الرحمة وسألتموه الرفق فماذا أعطاكم؟ أعطاكم فوق ما سألتم وجعل ذكركم خالداً على مر السنين ،يقرأ الصغار والكبار قوله تعالى فيكم ومدحه لكم: (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) لقد سألتم الله الرحمة ؛فتولى الله بذاته جل وعلا رحمتكم ورفع مقامكم وأعلى ذكركم، لقد توكلتم على الله فكفاكم الله، لقد سألتم الرحمة فأكرمكم الله أيما إكرام بالرحمة اللّدنّيّة فهي من أسمى العطاءات ؛ فالموجودات على ثلاثة أقسام:

١.موجودات جارية على حكم العادة.

٢. موجودات خارقة للعادة.

٣. موجودات لَدُنّيَّات مستغرقة في الأمور الخارقة. ولقد طلب فتية الكهف أعلاها أي اللدنيات لقوله تعالى: (قالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا). وأرشدنا يا رب إلى ما فيه النجاح والخلاص والرشد في الداريين ،فلما أجابهم الله إلى ما دعوه عبر عن ذلك بقوله:

١١. ((فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً))

(فضربنا على آذانهم) أي أنامهم الله نوماً ثقيلاً وأمسك عنهم السمع فلا تزعجهم الأصوات، فلا رعد ولا رياح ولا صراخ ولا أصوات حيوانات، ناموا بهناء مستغرقين مرتاحين، لأن النائم نوماً خفيفاً وسمعه صحيح قد تزعجه الأصوات ،وربما أيقظته وأفسدت عليه غفلته. لقد أنامهم الله في الكهف سنين كثيرة وشتان بين كهف فيه رحمة الله وبين قصور عليها غضب الله، وبعد النوم كان البعث من النوم.

١٢.((ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُواْ أَمَداً))

بعد النوم الهني في رحاب رحمة الله أيقظهم جل وعلا من نومهم ؛ليظهر للناس علماً عَلِمَه علام الغيوب من قبل. هذا العلم هو ليعلم الناس أي الفريقين أدرى بمدة إقامتهم ونومهم، ففريق المؤمنين من أهل المدينة الذين عثروا على فتية الكهف علموا المدة تقريباً وذلك من خلال دراستهم للورِق أي للعملة الفضية التي كانت منتشرة أيام الملوك القدامى.

(أي الفريقين) أي فريق أصحاب الكهف أم الفريق الذي عثر عليهم، أيهم كان أشد ضبطاً وحساباً للمدة؟ أما فريق أصحاب الكهف فقالوا: (لبثنا يوماً أو بعض يوم) ثم تبرؤا من ذلك وردوا لُبثهم إلى علام الغيوب ،وأياً كانت موافقة أحدهم للواقع فإنما هي على سبيل التقريب والتوقع والظن، والله جل وعلا هو المختص بالعلم، فهو العليم المحيط بكل شيء وعلمه بمدة إقامتهم في الكهف لا يعتريه شك قال تعالى: (قل الله أعلم بما لبثوا).

١٣. ((نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى))

إذا كان الحزبان ومن حالفهم، واليهود الذين أمروا قريشاً بالسؤال عنهم يشككوهم في الدين وبمحمدٍ؛ إذا كان كل هؤلاء لا يعلمونهم على سبيل الحقيقة والجزم؛ فإن الله يعلمهم ويعلم دقائق أمورهم، وهو بجلاله وعظمته يوضح قصتهم لحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم، وما أجمل أن يقص الحبيب الأعظم لحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم قصة أحبابه من فتية أهل الكهف؛ ليسلو بها الرسول ويتأسى بها لما سيلقى من عنت المشركين وما سيصلون إليه من

أذى، كمحاولة قتله عليه السلام أو حبسه أو طرده، فالفتية أووا إلى الغار فراراً بدينهم، وأنت يا محمد يا حبيب الله ستأوي إلى الغار غار ثور، وإذا كان الله جل وعلا قد أفاض على فتية الكهف من رحمته ورفقه ورعايته، فإنه سيفيض عليك بأكثر من ذلك، وقد أفاض جل وعلا على رسوله بذلك، إذ أخرجه الذين كفروا فقال جل من قائل: (إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) التوبة : ٤٠

فللفتية كهف ،وللرسول غار، ورحمة الله تغشاهم جميعاً في الكهف وفي الغار، فسبحانه على عميم فضله على رسله وعلى عباده الصالحين.

(نحن نقص عليك نبأهم بالحق). وكلمة (عليك) توحي بتخصيص الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا النبأ العظيم الذي احتار به السابقون؛ فلا أحد يقص عليك أنباءهم العظيمة كمثل قصص الله عليك والتي لا يعتريها باطل ولا زيادة ولا نقصان، فنحن نقص(بالحق) فما هي قصتهم؟ ،

أما نبؤهم و قصتهم فقد جاء في روح المعاني للألوسي "حسبما ذكره ابن إسحاق وغيره أنه مرج أهل الإنجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم فعبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح عليه السلام متمسكين بعبادة الله تعالى وتوحيده وكان ممن فعل ذلك من ملوكهم وعتا عتواً كبيراً دقيانوس وفي رواية دقيوس فإنه غلا غلواً شديداً فجاس خلال الديار والبلاد وأكثر فيها الفساد وقتل من خالفه من المتمسكين بدين المسيح عليه السلام وكان يتتبع الناس فيخيرهم بين القتل وعبادة الأوثان فمن رغب في الحياة الدنيا انقاد لأمره وامتثله ومن آثر عليها الحياة الأبدية لم يبال بأي قتلة قتله فكان يقتل أهل الإيمان ويقطع أجسادهم ويجعلها على سور المدينة وأبوابها فلما رأى الفتية ذلك وكانوا عظماء مدينتهم واسمها على ما في بعض الروايات أفسوس وفي بعضها طرسوس، وقيل كانوا من خواص الملك قاموا فتضرعوا إلى الله عز وجل واشتغلوا بالصلاة والدعاء فبينما هم كذلك دخل عليهم الشرط فأخذوهم وأعينهم تفيض من الدمع ووجوههم معفرة بالتراب وأحضروهم بين يدي الجبار فقالوا لهم: ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا وخيرهم بين القتل وعبادة الأوثان فقالوا: إن لنا إلٰهاً ملأ السمٰوات والأرض عظمته وجبروته لن ندعو من دونه أحداً ولن نقر بما تدعونا إليه أبداً فاقض ما أنت قاض وأول من قال ذلك أكبرهم مكسلمينا فأمر الجبار فنزع ما عليهم من الثياب الفاخرة وأخرجهم من عنده وخرج هو إلى مدينة أخرى قيل هي نينوى لبعض شأنه وأمهلهم إلى رجوعه وقال: ما يمنعني أن أعجل عقوبتكم إلا أني أراكم شباناً فلا أحب أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلاً تتأملون فيه وترجعون إلى عقولكم فإن فعلتم فبها وإلا أهلكتكم فلما رأوا خروجه اشتوروا فيما بينهم واتفقوا على أن يأخذ كل منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدق

ببعضها ويتزود بالباقي وينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة يقال له بنجلوس ففعلوا ما فعلوا وأووا إلى الكهف فلبثوا فيه ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتحميد وفوضوا أمر نفقتهم إلى فتى منهم اسمه يمليخا فكان إذا أصبح يتنكر ويدخل المدينة ويشتري ما يهمهم ويتجسس ما فيها من الأخبار ويعود إليهم فلبثوا على ذلك إلى أن قدم الجبار مدينتهم فتطلبهم وأحضر آباءهم فاعتذروا بأنهم عصوهم ونهبوا أموالهم وبذروها في الأسواق وفروا إلى الجبل ،وكان يمليخا إذ ذاك في المدينة فرجع إلى أصحابه وهو يبكي ومعه قليل طعام فأخبرهم بما شاهد من الهول ؛ففزعوا إلى الله تعالى وخروا له سجداً ثم رفعوا رؤوسهم وجلسوا يتحدثون في أمرهم، فبينما هم كذلك إذ ضرب الله عز وجل على آذانهم فناموا ونفقتهم عند رؤسهم، وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد فأصابه ما أصابهم ،فخرج الجبار في طلبهم بخيله ورجله فوجدوهم قد دخلوا الكهف ،فأمر بإخراجهم فلم يطق أحد أن يدخله فلما ضاق بهم ذرعاً قال قائل منهم: أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم؟ قال: بلى قال: فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعاً وعطشاً وليكن كهفهم قبراً لهم ففعل ثم كان من شأنهم ما قص الله تعالى عز وجل".

لقد أكرمهم وأثنى عليهم الجليل بوصفه لهم:

١.بالفتية.

٢. كما وصفهم بالمؤمنين (آمنوا بربهم) أي آمنوا بالذي خلقهم وأطعمهم وسقاهم ورباهم على نعمه وفضله.

٣.(وزدناهم هدى) لما ساروا في طريقهم إلى الله زادهم الله هدى ونوراً ومن رفع على سطح الأرض لله قدماً رفع الله له مقاماً ،ومن غبر في سبيل الله قدماً رفع الله له قدراً.

(ومَنْ وقَعَتْ عليه غَبَرَةٌ في طريقنا لم تَقَعَ عليه قَتَرَةُ فراقنا، ومَنْ خطا خطوةً إلينا وَجَدَ حظوةً لدينا، ومَنْ نَقَلَ قَدَمَه نحونا غفرنا له ما قَدَّمَه، ومَنْ رَفَعَ إلينا يَدَاً أَجْزَلْنا له رَغَداً، ومَنْ التجأ إلى سُدَّةِ كَرَمِنا آويناه في ظِلِّ نِعَمِنا، ومن شكا فينا غليلاً مَهَّدْنا له - في دار فضلنا – مقيلا) المرجع :من تفسير القشيري-ج٣.ص٦٤-

ومن جاء الله مشياً جاءه هرولة فسبحان الكريم العفو الرحيم.

١٤. ((وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِ إِلَـٰهاً لَّقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً))

والربط هو التثبيت على الإيمان ،وإذا كان الله هو المُثَبِّتُ ،وإذا كان الإيمان هو المُثَبَّتُ، وإذا كان القلب هو وعاء التثبيت ؛فهل من الممكن أن تزيغ هذه القلوب، أوأن تنصرف عن خالقها! حاشا وكلا. لقد فاض الإيمان في قلوبهم ،واستشعروا عظمة الله في قلوبهم فما نظروا إلى غيره

ولا اعتمدوا على سواه، نظروا في الوجود فرأوه أكبر دليل على وحدانية الله وعظمة الله وقدرته، نظروا إلى قومهم فوجدوهم عاكفين على أصنام صنعوها لا تضر ولا تنفع ،فما كان منهم إلا أن قالوا وبملء أفواههم وأعلنوها صريحة لا لبس فيها ولا التواء ولا خجل ولا خوف ولا تمويه قالوا: (ربنا) فقط هو الله، هو الذي ربانا على نعمه وأفضاله كما ربى العالمين على ذلك، ربنا أيضاً هو رب السماوات على عظمها واتساعها ورب الأرض ومن فيها وما فيها من إنسان ونبات وحيوان وجماد، إنه رب كل شيء، فأين ما تعبدون أيها المشركون مما نعبد؟!

(ربنا رب السموات والأرض) قالوها وقد فاض الإيمان من قلوبهم ؛فرأوا كل مافي الكون يشهد لله بالربوبية، فكيف يدعون غير ذلك، أو كيف يتخذون غيره إلهاً، ولئن قلنا ذلك نكون قد قلنا كذباً وزوراً ومبالغة في الافتراء و(شططاً). هذه القوة في الكلمة والتصريح الإيماني والاعتراف بالربوبية تبطل ما جاء في مطلع السورة من قول أولئك الذين قالوا بملء أفواههم (اتخذ الله ولداً) ،فهناك افترى العرب وأهل الكتاب على الله جل وعلا بقولهم: (اتخذ الله ولداً)

وهنا نجد فتية الكهف تملأ الوحدانية قلوبهم ؛فيرفضون الافتراء على الله كما افترى كفار العرب والنصارى واليهود ،وبكل الاصرار والثبات والنفي يرفض الفتية أن يعبدوا غير الله، وإنه لمن الشطط والافتراء والكذب أن يعبد غير الله، وهنا جاءت صفتهم الخامسة بأنهم موحدون لقوله تعالى: (لن ندعو من دونه إلها) ،وهكذا اجتمعت لهم تلك الصفات الجليلة وألخصها فيما يلي:

١.إنهم فتية.

٢. آمنوا بربهم.

٣. زادهم الله هدى.

٤. ربط الله على قلوبهم وثبتهم.

٥. أقروا بربوبية الله.

٦. رفضوا أية عبودية لغيره.

وفي قصتهم جاء في تفسير ابن كثير مايلي:

من ههنا شرع في بسط القصة وشرحها، فذكر تعالى أنهم فتية، وهم الشباب، وهم أقبل للحق، وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا في دين الباطل، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم شباباً، وأما المشايخ من قريش، فعامتهم بقوا على دينهم، ولم يسلم منهم إلا القليل. وهكذا أخبر تعالى عن أصحاب الكهف أنهم كانوا فتية شباباً، وقال مجاهد: بلغني أنه كان في آذان بعضهم القرطة، يعني: الحلق، فألهمهم الله

رشدهم، وآتاهم تقواهم، فآمنوا بربهم، أي: اعترفوا له بالوحدانية، وشهدوا أنه لا إله إلا هو { وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى } استدل بهذه الآية وأمثالها غير واحد من الأئمة كالبخاري وغيره ممن ذهب إلى زيادة الإيمان وتفاضله، وأنه يزيد وينقص، ولهذا قال تعالى: { وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى } كما قال:{ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَـٰهُمْ تَقْوَاهُمْ }[محمد: ١٧] وقال:
{ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ }[التوبة: ١٢٤] وقال:
{ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ } [الفتح: ٤] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك. وقد ذكر أنهم كانوا على دين المسيح عيسى بن مريم، فالله أعلم، والظاهر أنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية، فإنهم لو كانوا على دين النصرانية، لما اعتنى أحبار اليهود بحفظ خبرهم وأمرهم؛ لمباينتهم لهم، وقد تقدم عن ابن عباس: أن قريشاً بعثوا إلى أحبار اليهود بالمدينة يطلبون منهم أشياء يمتحنون بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا إليهم أن يسألوه عن خبر هؤلاء، وعن خبر ذي القرنين، وعن الروح، فدل هذا على أن هذا أمر محفوظ في كتب أهل الكتاب، وأنه متقدم على دين النصرانية، والله أعلم.

وقوله: { وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ } يقول تعالى: وصبرناهم على مخالفة قومهم ومدينتهم، ومفارقة ما كانوا فيه من العيش الرغيد والسعادة والنعمة، فإنه قد ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف: أنهم كانوا من أبناء ملوك الروم وسادتهم، وأنهم خرجوا يوماً في بعض أعياد قومهم، وكان لهم مجتمع في السنة يجتمعون فيه في ظاهر البلد، وكانوا يعبدون الأصنام والطواغيت، ويذبحون لها، وكان لهم ملك جبار عنيد يقال له: دقيانوس، وكان يأمر الناس بذلك، ويحثهم عليه، ويدعوهم إليه، فلما خرج الناس لمجتمعهم ذلك، وخرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم، ونظروا إلى ما يصنع قومهم بعين بصيرتهم، عرفوا أن هذا الذي يصنعه قومهم من السجود لأصنامهم والذبح لها لا ينبغي إلا لله الذي خلق السموات والأرض، فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه، وينحاز منهم، ويتبرز عنهم ناحية، فكان أول من جلس منهم وحده أحدهم، جلس تحت ظل شجرة، فجاء الآخر فجلس إليها عنده، وجاء الآخر فجلس إليهما، وجاء الآخر فجلس إليهم، وجاء الآخر، وجاء الآخر، وجاء الآخر، ولا يعرف واحد منهم الآخر، وإنما جمعهم هناك الذي جمع قلوبهم على الإيمان.

١٥. ((هَـٰؤُلآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلاَ يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً))

لم جاء اسم الإشارة(هؤلاء)هنا؟ لم أضيف القوم إلى ضمير الفتية (نا)؟ ولم أضيف ضمير الجلالة إلى لفظة (دون)؟ وبم توحي لفظة (اتخذوا)؟ وعلام توحي لفظة (آلهة)؟

لولا: حرف امتناع لوجود ولكنها هنا معناها غير ذلك فما معناها؟ ولم جاءت كلمة (بين) بعد كلمة (سلطان) إذ أن الأولى كافية. اسم الإشارة (هؤلاء) يوحي بالتحقير لقومهم، (اتخذوا) إخبار غرضه الإنكار.

لولا: هنا (لولا) بمعنى هلَّا، (بسلطان بين) أي بحجة ظاهرة.

قال الفتية للملك ناصحين له انقاذاً له من الشرك مشيرين إلى قومهم الذين كانوا أشد منهم وأقوى في الدنيا (اتخذوا) فقومهم خالفوا العقول والفطرة واتخذوا آلهة من دون الله (لولا يأتون) أي هلا يأتون بدليل على صحة عبادتهم للأصنام ،ولما لم يكن لديهم دليل ولن يكون ،عندها ظهر عجزهم وأنهم أظلم الظالمين فلذلك قالوا (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) أي أنهم أظلم الظالمين لتعمدهم الافتراء، والآية تدلنا على أن من الواجب على الدعاة مطالبة المشركين أو الكافرين بالدليل على صحة ما يعتقدون ليظهر بذلك عجزهم وختل تفكيرهم وسوء سبيلهم.

١٦. ((وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ ٱللَّهَ فَأْوُوا إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مِّرْفَقاً))

استدل الفتية على صواب عقيدتهم وفساد عقيدة قومهم، ولما كان الفتية لا يملكون القوة ولا القدرة على مقاومة قومهم أو الصبر على فتنتهم لذا قرر الفتية الهجرة فراراً بدينهم ،فاعتزلوا قومهم واعتزلوا ما يعبدون من دون الله ،(فأووا) أي اسكنوا وهلموا إلى جوار كرم الله ولطفه (ينشر لكم من رحمته) أي يبسط لكم من رحمته ويسهل لكم ما يسركم ويرفق بكم، ولفظة الإعتزال توحي بالتباعد وترك المخالطة لما فيها من فتنة، (يهيء لكم) لفظة توحي باعتناء الله بهم وهي استعارة تشبيهاً بتهيئة الضيافة للضيف ،وهذا الكلام مبني على ثقة الفتية بالله وأنه مجيب لدعائهم، وهذا اليقين بالاجابة أثر من آثار الإيمان، فجاء في السياق كأنه حاصل لشدة لطف الله بالمؤمنين ؛لذا ربط الله على قلوبهم لأنهم علموا بأن الله قادر على كل شيء وأنه يحمي من يلجأ إليه ويتوكل عليه فأنامهم في أحسن رفق ومرفق ثم أيقظهم بعد قرون ،فكانوا سبباً لهداية من بعدهم من الذين عثروا عليهم ،وهكذا كان الكهف على ضيقه أرحب من الفلاة الشاسعة وكانت صحبة الخلان المؤمنين في الكهف خير عندهم من صحبة الضلال في القصور الفارهة. وكما قال أحد الشعراء:

رحب الفلاة مع الأعداء ضيقة سم الخياط مع الأحباب ميدان

وقيل:

أحبب فيغدو الكوخ كونا نيراً وابغض فيمسي الكون سجناً مظلما

وهكذا خدمت الدنيا فتية الكهف، فلم يؤثر فيهم برد ولا حر ولم تنزل بهم الأمراض، بل لم تؤثر فيهم عوامل الطبيعة وأثر الفناء، بل لم يجرؤ أحد من البشر لا ولا من الوحوش على الاعتداء عليهم قروناً، خاصة وهم نيام، فسبحان من يتولى الصالحين برفقه ورحمته ،وسبحان من في كل شيء له آية. جاء في الحديث الشريف القدسي قول الله تعالى مخاطباً الدنيا: (يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه).

١٧. ((وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً))

هكذا ترى الشمس رؤية قلبية، تراها لو أمكنك رؤيتها لرأيتها كذلك تتمايل وتنحرف عنهم عند طلوعها فيصيبهم من حرها ما يمنع عنهم التعفن، وكذلك عند ميلها إلى الغروب فيظل الكهف مهوى بنسيم عليل يصونهم عن التعفن والفساد، وهم في فجوة منه أي في متسع من الكهف حيث أنعشهم الله بالهواء العليل بعد أن حماهم من حر الشمس، فهم في أهنىء وأرفق حال ،وهذا من آيات الله ومن فضله ودليل عنايته بأوليائه. و(ذلك) اسم إشارة غرضه تعظيم آيات الله حيث جعل الشمس في خدمتهم وسخر الهواء لحماية أجسامهم من التلف وحماهم من الشرور ظاهرها وباطنها فما أثرت فيهم بكتيريا الجو أو جراثيمه ،كما حماهم من الهوام واللصوص وقطاع الطرق ومن أهلهم رغم قربهم من المدينة، فحفظ الله بذلك أجسامهم وأرواحهم في أحسن حال ،ذلك من آيات الله جزاء لأولئك الذين ساروا في طريق الهدى وزادهم الله هدى فلطف بهم وأعانهم وسلك بهم طريق المهتدين وجعلهم هادين لغيرهم، أما من سلك طريق الضالين وأمعن فيه فلن تجد له هادياً ولا مرشداً فإذا خذله الله فمن ينصره؟ فالضال يرى الآيات بعينه ويحسها بجميع حواسه ولا يعلم أنها آيات تهدي إلى الرشد فضلاً عن أن يتدبرها.

(مقتبس من تفسير نظم الدرر للبقاعي في تفسير الآية). نت ص٣.

وما مضى من الآية يدل على تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ووعده بحمايته والرفق به ،وحثه على أن لا يبخع نفسه حزناً على الكافرين لعدم إيمانهم (من يهد الله فهو المهتد) قال صاحب الظلال: للهدى والضلال ناموس فمن اهتدى بآيات الله فقد هداه الله وهو المهتد حقاً ،ومن لم يأخذ بأسباب الهدى ضل وجاء ضلاله وفق الناموس الإلهي فقد أضله الله إذاً ولن تجد له من دون الله هادياً (مقتبس من: في ظلال القرآن في شرح الآية).

١٨. ((وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً))

أي تظنهم أيقاظاً لكون عيونهم مفتحة ولأن الله يقلبهم يمنة ويسرة لتبقى أجسامهم نابضة بالحياة عاصية على عوامل البيئة فلا تؤثر فيهم قوانين الحياة والفناء وبذلك كانوا آية، (وكلبهم باسط) أي بسط الكلب ذراعيه للحراسة، (في الوصيد) أي في فناء الكهف وبابه يحرسهم متأدباً معهم منافحاً عنهم ،فسبحان من سخر الشمس والبيئة والطقس والحيوان والكلب بخدمة عباده المؤمنين ولأن الكلب سار مع المؤمنين وخدم المؤمنين ظل يذكر في كتاب الله على طول الآباد ويتلى ذكره في الصلاة وغيرها إكراماً له لأنه صاحب الكرام المؤمنين، وهناك أمثلة لما ينال المؤمن من خير لمصاحبتة للكرام أولياء الله.

الرابعة: قال ابن عطية: وحدّثني أبي رضي الله عنه قال سمعت أبا الفضل الجوهري في جامع مصر يقول على منبر وعظة سنة تسع وستين وأربعمائة: إن مَن أحبَّ أهل الخير نال من بركتهم؛ كلبٌ أحبّ أهل فضلٍ وصحبهم فذكره الله في محكم تنزيله.

قلت: إذا كان بعض الكلاب قد نال هذه الدرجة العليا بصحبته ومخالطته الصلحاء والأولياء حتى أخبر الله تعالى بذلك في كتابه جل وعلا ،فما ظنك بالمؤمنين الموحدين المخالطين المحبين للأولياء والصالحين! بل في هذا تسلية وأنس للمؤمنين المقصّرين عن درجات الكمال، المحبين للنبيّ صلى الله عليه وسلم، وآله خير آل. روى الصحيح " عن أنس بن مالك قال: بينا أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم خارجان من المسجد فلقينا رجل عند سدّة المسجد فقال: يا رسول الله، متى الساعة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أعددتَ لها» قال: فكأنّ الرجل استكان، ثم قال: يا رسول الله، ما أعددتُ لها كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكني أحبّ الله ورسوله. قال: «فأنت مع من أحببت» " في رواية قال أنس بن مالك: " فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشدّ من قول النبيّ صلى الله عليه وسلم: «فأنت مع من أحببت» " قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر، فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم.

قلت: وهذا الذي تمسّك به أنس يشمل من المسلمين كلّ ذي نفس، فكذلك تعلقت أطماعنا بذلك وإن كنا مقصرين، ورجونا رحمة الرحمن وإن كنا غير مستأهلين، كلبٌ أحب قوماً فذكره الله معهم! فكيف بنا وعندنا عقد الإيمان وكلمة الإسلام، وحبّ النبيّ صلى الله عليه وسلم، { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ ٱلطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً }.

قوله تعالى: { لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ } قرأ الجمهور بكسر الواو. والأعمش ويحيى بن وثّاب بضمها. { لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً } أي لو أشرفت عليهم لهربت منهم. { وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً } أي لما حفهم الله تعالى من الرُّعب واكتنفهم من الهيبة. وقيل: لوحشة مكانهم؛ وكأنهم آواهم الله إلى هذا المكان الموحش في الظاهر لينفر الناس عنهم. وقيل: كان الناس محجوبين عنهم بالرعب، لا يجسر أحد منهم على الدنوّ إليهم. وقيل: الفرار منهم لطول شعورهم وأظفارهم؛ وذكره المهدويّ والنحاس والزجاج والقشيري. وهذا بعيد؛ لأنهم لما استيقظوا قال بعضهم لبعض: لبثنا يوما أو بعض يوم. ودلّ هذا على أن شعورهم وأظفارهم كانت بحالها؛ إلا أن يقال: إنما قالوا ذلك قبل أن ينظروا إلى أظفارهم وشعورهم. قال ابن عطية: والصحيح في أمرهم أن الله عز وجل حفظ لهم الحالة التي ناموا عليها لتكون لهم ولغيرهم فيهم آية، فلم يبل لهم ثوب ولم تغيَّر صفة، ولم ينكر الناهض إلى المدينة إلا معالم الأرض والبناء، ولو كانت في نفسه حالة ينكرها لكانت عليه أهم.

كما ذَكَرَهُم ذَكَرَ كلبَهم، ومَنْ صَدَقَ في محبة أحدٍ أحبَّ مَنْ انتسب إليه وما يُنْسَبُ إليه.

ويقال كلبٌ خَطَا مع أحبائه خطواتٍ فإلى القيامة يقول الصبيان - بل الحق يقول بقوله العزيز -: { وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ } فهل ترى أنَّ مُسْلِماً يصحب أولياءَه من وقت شبابه إلى وقت مشيبه يردُّه يوم القيامة خائباً؟ إنه لا يفعل ذلك.

ويقال في التفاسير إنهم قالوا للراعي الذي تبعهم والكلب معه: اصرف هذا الكلب عنَّا.. فقال الراعي: لا يمكنني، فإني أنا ديته.

ويقال أنطق الله سبحانه - الكلبَ فقال لهم: لِمَ تضربونني؟

فقالوا: لِتَنْصَرِفَ عنَّا.

فقال: لا يمكنني أن أنصرف.. لأنه ربَّاني.

ويقال كلبٌ بَسَطَ يده على وصيد الأولياء فإلى القيامة يقال: { وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ }...فهل إذا رَفَعَها مسلمٌ إليه خمسين سنة ترى يردُّها خائبةً؟! هذا لا يكون.

ويقال لما صَحِبهَم الكلبُ لم تضره نجاسةُ صِفتِهِ، ولا خساسةُ قيمته. ويقال قال في صفة أصحاب الكهف إن كانوا { سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ } [الكهف: ٢٢]، أو { خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ } [الكهف: ٢٢] فقد قال في صفة هذه الأمة: { مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ

رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ }[المجادلة: ٧].وشتَّان ما هما!

ويقال كُلٌّ يُعامَلُ بما يليق به من حالته ورتبته؛ فالأولياء قال في صفتهم: { وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ } ، والكلب قال في صفته: { وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ } .

ويقال كما كرَّر ذكرَهم، كرر ذِكْرَ كلبِهم.

وجاء في القصة أن الكلبَ لما لم ينصرفْ عنهم قالوا: سبيلنا إذا لم ينصرف عنَّا أَنْ نَحْمِلَه حتى لا يُسْتَدَّلَ علينا بأثر قَدَمِه فحملوه، فكانوا في الابتداء (بلا ياه) وصاروا في الانتهاء مطاياه.. كذا مَنْ اقتفى أَثَرَ الأحباب

ويقال في القصة إن الله أنطق الكلب معهم، وبِنُطْقِه رَبَطَ على قلوبهم بأَنْ أزدادوا يقيناً بسماع نطقه، فقال: لِمَ تضربوني؟ فقالوا: لتنصرف، فقال: أنتم تخَافون بلاءً يصيبكم في المستقبل وأنتم بلائي في الحال.

ثم إنَّ بلاَءَكم الذي تخافون أنْ يصيبكم من الأعداء،وبلائي منكم وأنتم الأولياء.

ويقال لما لزم الكلبُ محلَّه ولم يجاوزْ حَدَّه فوضع يديه على الوصيد بقي مع الأولياء... كذا أدب الخدمة يوجب بقاءَ الوُصلة.

قلت: إذا كان بعض الكلاب قد نال هذه الدرجة العليا بصحبته ومخالطته الصلحاء والأولياء حتى أخبر الله تعالى بذلك في كتابه جل وعلا فما ظنك بالمؤمنين الموحدين المخالطين المحبين للأولياء والصالحين! بل في هذا تسلية وأنس للمؤمنين المقصّرين عن درجات الكمال، المحبين للنبيّ صلى الله عليه وسلم . روى الصحيح " عن أنس بن مالك قال: بينا أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم خارجان من المسجد فلقينا رجل عند سدّة المسجد فقال: يا رسول الله، متى الساعة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أعددتَ لها» قال: فكأنّ الرجل استكان، ثم قال: يا رسول الله، ما أعددتُ لها كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكني أحبّ الله ورسوله. قال: «فأنت مع من أحببت» " في رواية قال أنس بن مالك: " فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشدّ من قول النبيّ صلى الله عليه وسلم: «فأنت مع من أحببت» " قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر، فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم.

قلت: وهذا الذي تمسّك به أنس يشمل من المسلمين كلّ ذي نفس، فكذلك تعلقت أطماعنا بذلك وإن كنا مقصرين، ورجونا رحمة الرحمن وإن كنا غير مستأهلين، كلبٌ أحب قوماً فذكره الله

معهم! فكيف بنا وعندنا عقد الإيمان وكلمة الإسلام، وحبّ النبيّ صلى الله عليه وسلم، { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ ٱلطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً }.

(لو اطلعت عليهم) أي لو اطلعت عليهم وشاهدتهم لوليت منهم فراراً والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد منه غيره، وقيل الخطاب لغير معين كما قاله ابن عاشور في تفسيره أن لو أشرفت عليهم (لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً) فليس المراد من أنفسهم أي الخوف من فتية الكهف فليس منهم ما يخالف طبع وخلق البشر وليس الخوف من كونهم أمواتاً إذ تقدم قوله تعالى: (وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود)، وإنما لما حفهم الله بالرعب والهيبة حجب الناس عنهم. قال ابن عطية والصحيح في أمرهم أن الله عزوجل حفظ لهم الحالة التي ناموا عليها لتكون لهم ولغيرهم فيهم آية فلم يبل لهم ثوب ولم تتغير لهم صفة (من تفسير القرطبي للآية).

١٩. ((وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَم لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُواْ أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلاَ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً))

(كذلك) أي كما ضربنا على آذانهم فأنمناهم وقلبناهم هانئين وكما زدناهم هدى مثل ذلك فإنا قد بعثناهم وأيقظناهم من قومهم على نفس الهيئة وحال الثياب التي كانوا عليها عند بدء نومهم.

ليتساءلوا: اللام هنا لام الصيرورة وهي لام العاقبة وهذا حال فبعثهم لم يكن لأجل تساؤلهم (تفسير القرطبي). وهذا حال النائم المستغرق بالنوم عندما يفيق يسأل عن المدة التي قضاها نائماً.

(قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم...) أقمنا في الكهف نائمين يوماً أو جزءاً من يوم لأنهم دخلوا الكهف صباحاً وبعثهم الله عصراً فظنوا بقصر فترة النوم ولم يطيلوا الحديث فيما لا طائل منهم وتجنبوا الجدال في وقت مضى وانقضى ليرجعوا الأمر كله لله (الله أعلم بما لبثتم) أي الله وحده هو يعلم بالدقة مدة لبثكم وهكذا لا ينفق المؤمن عمره في جدال لا طائل منه عمّا مضى وإنما يستيقظ ويخطط لحاضره ومستقبله؛ لذا لما ردوا إلى البعث من النوم عادوا إلى طبيعتهم البشرية طلبوا الطعام ،ولما كانوا في عناية الله ورعايته ٣٠٩ سنوات لم يحسوا بالجوع ولا الظمأ ولم يطلبوا شيئاً من متاع الدنيا ،لأنهم كانوا في رعاية الله وجواره وما إن استيقظوا حتى أحسوا بالجوع فقالوا: (ابعثوا أحدكم) أي أرسلوا تمليخا (اسم الفتى) وكان أصغرهم (بورقكم) أي نقوداً من الفضة كان عليها صورة ملك زمانهم، وكلمة (ورقكم) تدل على حسن تدبيرهم لأمورهم فقد أخذوا معهم بعض النقود لما اعتزلوا أهلهم ولم يكونوا متواكلين أو سيبيين يعتمدون على الصدف، وكلمة (ورقكم) توحي بروح الجماعة التي عاشوها سواءً في العقيدة

أو المأكل والمشرب ،وهكذا تتناغم العقيدة الواحدة مع الحياة الواحدة، فهم موحدون في العقيدة بل متشاركون متوحدون في شؤون الحياة الروحية والمادية؟ وهذا ما يجب أن يكون عليه المسلمون اليوم فالمسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يخذله ولا يحقره ؟وكما قال صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد.....).

(إلى المدينة) قيل كان اسمها أفسوس في الجاهلية ،وقيل سميت طرسوس في الاسلام. (فلينظر أيها أزكى طعاماً) فليبحث عن أطيب الطعام وأزكاه وأحله. (فليأتكم برزق منه) فليتأكم بطعام منه وعليه أن يتلطف في الطلب والبحث ويلين للناس القول والسلوك، (فليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً) أي إن عثر عليه فلا يدل عليكم أحداً، وهذا ما يجب أن يكون عليه المسلم بين أعدائه والذين يترقبون أن ينزلوا به الدوائر. إذا من سمات رجل المهمات أن يكون لديه حس أمني يتميز بما يلي:

١.أن يزود بما يكفيه من مال لأداء المهمة.

٢. كلما كان الوسط حاشداً كلما استطاع أن يغفل نفسه عن الرقباء حتى لا يكشف أمره، وحتى يتم مهمته في المدينة.

٣. (فلينظر أيها أزكى طعاماً) عليه أن يمتاز بدقة النظر والقدرة على البحث والاستقراء والتمحيص بالنظر العيني والقلبي والقدرة على الانتقاء واصطفاء أزكى الطعام ؛مما يساهم بشكل فعال بالوصول إلى الهدف وبأسرع وقت.

٥. (وليتلطف) إن لين رجل الأمن مهم جداً في حفظ الأمن لنفسه ولذويه ولمجتمعه وباللين يصل المرء إلى مبتغاه ويخلص لما يريد بأبسط السبل، فما دخل اللين في شيء إلا زانه وإنه ليستخلص بالرفق ما لا يستخلص بالسيف ،علماً بأن المؤمن من طبعه اللطف فكيف إذا كان مأموراً به ليحقق أمن فتية أهل الكهف وسلامتهم وخاصة أنه ليس لديهم من القوة والعتاد وهم فتية أن يجابهوا هذا السيل العرم من الطغيان.

باللطف تستطيع أن تحقق السلامة وباللطف يصل المرء إلى مبتغاه دون أن يثير المصاعب والشكوك أمامه.

٦. (ولا يشعرن بكم أحداً) إن رجل الأمن الناجح هو ذاك الذي لا يفشي الأسرار مهما كانت الضغوط والأكدار، رجل ا لأمن هو الذي يحرص على أمن الأمة أكثر من حرصه على أمن نفسه، قال تعالى: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة). رجل الأمن هو الذي يضحي بنفسه لتحيا أمته ويتحمل المشاق والعذاب حماية لها. (ولا يشعرن) أي إن ظهر الأعداء على رجل الأمن وخادم المسلمين فلا يجوز له أن يدل على إخوانه. وهكذا أخذ فتية الكهف بالاحتياط والحذر وخططوا للوصول إلى أهدافهم بدقة بالغة حتى أنهم لم يغفلوا التخطيط لجلب طعامهم.

(فليأتكم برزق منه) أي للحصول على ما يقيتكم، أما وسائل تحقيق هذا الهدف فهو رجل الأمن الحصيف لقوله تعالى: (ابعثوا أحدكم بورقكم) فاختاروا أحدهم كمنفذ للخطة وزودوه بالنقود لتحقيق الهدف ،وحددوا له المكان وهو المدينة، أما الأساليب والوسائل التي زودوه بها فهي:

١.اللطف.

٢. الاستقصاء ودقة النظر (فلينظر).

٣. القدرة على اختيار الأفضل (أزكى طعاماً).

٤. (لا يشعرن بكم أحداً) أي الحرص على عدم إثارة الشكوك وعلى سرية مكانهم وحالهم ،ثم الصمود أمام الضغوط والتعذيب فلا يدل على إخوانه.

كما بينوا لمن يقوم بهذه المهمة أخطار الخروج عن تلك الأساليب وبينوا مدى هذا الخطر عليهم وعلى من يقوم بالمهمة خاصة ووضحوا له أن أي خلل في تنفيذ الخطة سيودي بهم إلى أن يقتلوا جميعاً أو يفتنوا عن دينهم.

٢٠.((إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذاً أَبَداً))

كان خوفهم على الدين ولم يخافوا إن كشف أمرهم على شيء من دنياهم ،فهم قد تركوا الدنيا وما فيها ومن فيها وآووا إلى كنف الله فكيف يخافون على الدنيا؟!، إنما كان خوفهم إن كشف أمرهم على دينهم أن يفتنوا فيه، خوفهم على دينهم من قومهم الكفار الذين هددوهم سابقاً قبل دخولهم الكهف، هددوهم بالقتل وهم مازالوا يظنون أن شيئاً في قومهم الكفار لم يتغير؛ فخافوا على أنفسهم من القتل أو من أن يفتنهم قومهم الكفار فيعيدوهم إلى الكفر وقد هربوا منه، وعندها لن يكون لهم فلاح في الدنيا ولا في الآخرة. والرجم أخبث القتل ويكون بالحجارة وفيه تعبير عن غيظ قلوب الكافرين على المؤمنين وشهوتهم الجماعية للإنتقام منهم والتشفي بهم، إذ يشترك الكافرون جميعاً في هذا العمل الإنتقامي ضد المؤمنين.

٢١. ((وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لاَ رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْجِداً))

قوله تعالى: { وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ } أي أطلعنا عليهم وأظهرناهم. و «أعثر» تعدية عثر بالهمزة، وأصل العثار في القدم. { لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ } يعني الأمة المسلمة الذين بعث

أهل الكهف على عهدهم. وذلك أن دقيانوس مات ومضت قرون وملك أهل تلك الدار رجلٌ صالح، فاختلف أهل بلده في الحشر وبعث الأجساد من القبور، فشك في ذلك بعض الناس واستبعدوه وقالوا: إنما تحشر الأرواح والجسد تأكله الأرض. وقال بعضهم: تبعث الروح والجسد جميعاً؛ فكبر ذلك على الملك وبقي حيران لا يدري كيف يتبيّن أمره لهم، حتى لبس المسوح وقعد على الرّماد وتضرّع إلى الله تعالى في حجة وبيان، فأعثر الله على أهل الكهف؛ فيقال: إنهم لما بعثوا أحدهم بورقهم إلى المدينة ليأتيهم برزق منها استنكر شخصه واستنكرت دراهمه لبعد العهد، فحمل إلى الملك وكان صالحاً قد آمن وآمن من معه، فلما نظر إليه قال: لعل هذا من الفتية الذين خرجوا على عهد دقيانوس الملك، فقد كنت أدعو الله أن يرينيهم، وسأل الفتى فأخبره؛ فسرّ الملك بذلك قال: لعل الله قد بعث لكم آية، فلنسر إلى الكهف معه، فركب مع أهل المدينة إليهم، فلما دنوا إلى الكهف قال تمليخا: أنا أدخل عليهم لئلا يرعبوا فدخل عليهم فأعلمهم الأمر وأن الأمة أمة إسلام، فروي أنهم سرّوا بذلك وخرجوا إلى الملك وعظّموه وعظّمهم ثم رجعوا إلى كهفهم. وأكثر الروايات على أنهم ماتوا حين حدّثهم تمليخا ميتة الحق، على ما يأتي. ورجع من كان شكّ في بعث الأجساد إلى اليقين. فهذا معنى «أعثرنا عليهم». «ليعلموا أن وعد الله حق» أي ليعلم الملك ورعيته أن القيامة حق والبعث حق «إذ يتنازعون بينهم أمرهم». وإنما استدلوا بذلك الواحد على خبرهم، وهابوا الدخول عليهم فقال الملك: ابنوا عليهم بنيانا؛ فقال الذين هم على دين الفتية: اتخذوا عليهم مسجداً. وروي أن طائفة كافرة قالت: نبني بيعة أو مضيفاً، فمانعهم المسلمون وقالوا لنتخذن عليهم مسجداً. وروي أن بعض القوم ذهب إلى طمس الكهف عليهم وتركهم فيه مغيّبين. وروي عن عبد لله بن عمر أن الله تعالى أعمى على الناس حينئذٍ أثرهم وحجبهم عنهم، فلذلك دعا الملك إلى بناء البنيان ليكون مَعْلَماً لهم. وقيل: إن الملك أراد أن يدفنهم في صندوق من ذهب فأتاه آتٍ منهم في المنام فقال: أردت أن تجعلنا في صندوق من ذهب فلا تفعل؛ فإنا من التراب خلقنا وإليه نعود، فدعنا.

٢٢. ((سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَآءً ظَاهِراً وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِّنْهُمْ أَحَداً))

سيقولون: المقصود أن أصحاب التوراة ومعاصري الرسول صلى الله عليه وسلم اختلفوا في عدد أصحاب الكهف وقيل: هم نصارى نجران، اختلفوا في عددهم فإن قوماً منهم حضروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من نجران وجرى ذكر أصحاب الكهف فاختلف نصارى نجران في عددهم فقالت اليعقوبية: كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم، وقالت النسطورية: كانوا خمسة سادسهم كلبهم، وقال المسلمون: كانوا سبعة وثامنهم كلبهم. والواو هنا جاءت أخيراً لتدل على أنها (واو الثمانية) كما قال ابن خالويه (ارجع إلى القرطبي). وحكى الثعلبي: أن قريشاً كانت تقول في

عددها ستة سبعة وثمانية فتدخل الواو في الثمانية (من تفسير القرطبي)، ودخولها الواو على الثمانية دليل صحة القول بأن عددهم كانوا سبعة وثامنهم كلبهم، ولما ذكرت أبواب جهنم (حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها) بلا واو. أما لما ذكرت أبواب الجنة الثمانية قال تعالى: (وفتحت أبوابها)، ولما جاءت عبارة (رجماً بالغيب) دل على أن ما مضى من العدد كان ضرباً من الغيب لم يطلعوا عليه وإن أصابوه فما ذاك عن طريق اليقين وإنما عن طريق التخمين. والحقيقة قل لهم يا محمد إن ربي أعلم بعدتهم، فالعلم اليقيني بهم هو عند ربي ثم أخبره تعالى بأنه لا يعلم ذلك العدد من البشر إلا قليل منهم، وكان ابن عباس يقول: أنا من ذلك القليل كانوا سبعة وثامنهم كلبهم.

(فلا تمار فيهم إلا مراءا ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا)

أي لا تجادل في عددهم من اليهود والنصارى أحداً إلا بما أوحيناه إليك وهو (أن الله أعلم بعدتهم) والمراء الظاهر معناه أن تقول لهم إن الأمر ليس كما تقولون ولم يبح الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية بأن يماري إلا مراءً ظاهراً، أي سميت مراجعته لهم مراءً ثم قيد بأنه ظاهر ففارق المراء الحقيقي المذموم. و(فيهم) ضمير عائد على أهل الكهف، و(منهم) ضمير عائدعلى أهل الكتاب.

(ولا تستفت فيهم منهم أحداً): روي أن الرسول صلى الله عليه وسلم سأل نصارى نجران عنهم فنهي عن السؤال وفي هذا دليل على منع المسلمين من مراجعة أهل الكتاب في شيء من العلم (تفسير الآية مقتبس من تفسير القرطبي).

٢٣. ((وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَاْىءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذٰلِكَ غَداً))

قال القرطبي في تفسير الآية- قال العلماء: عاتب الله تعالى نبيّه عليه السلام على قوله للكفار حين سألوه عن الروح والفتية وذي القرنين: غداً أخبركم بجواب أسئلتكم؛ ولم يستثن في ذلك. فاحتبس الوحي عنه خمسة عشر يوماً حتى شقّ ذلك عليه وأرجف الكفار به، فنزلت عليه هذه السورة مفرّجة. وأمر في هذه الآية ألا يقول في أمر من الأمور إني أفعل غدا كذا وكذا، إلاّ أن يعلق ذلك بمشيئة الله عز وجل حتى لا يكون محقّقاً لحكم الخبر؛ فإنه إذا قال: لأفعلن ذلك ولم يفعل كان كاذباً، وإذا قال لأفعلن ذلك إن شاء الله خرج عن أن يكون محقّقاً للمخبر عنه.واللام في قوله «لشيء» بمنزلة في، أو كأنه قال لأجل شيء.

وقيل: إذا عزمت عزماً صادقاً على فعل شيء كبير أم صغير في المستقبل وإن كنت قادراً على فعله (فافعل) إلا أن يشاء الله فلا يقطع بشيء دون الله.

واذكر ربك إذا نسيت، أمر الله نبيه وأمته بذكره بعد النسيان. بقولهم: (وقل عسى ان يهديني ربي لأقرب من هذا رشداً)، وقيل يذكر ربه بقوله تعالى: (إن شاء الله). وقيل المعنى: اذكره متى ما نسيته. وقيل إذا نسيت شيئاً فاذكره يُذَكّرْكَهُ. وقيل: لما كان النسيان من طبع الإنسان أمر رسول الله ب (واذكر ربك) أي اذكر المحسن إليك الذي رباك على نعمه ولا يؤاخذك على النسيان. إذا (نسيت) الاستثناء بالاستعانة به والتوكل عليه فقل إن شاء الله في أي وقت تذكرت فلا حول ولا قوة إلا بالله ولا مشيئة لأحد معه.

٢٤. ((إِلاَّ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَـهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَداً))

وقل لعل الله الذي رباني على إحسانه أن يؤتيني من البينات ما هو أعظم من نبأ أهل الكهف وقيل إذا نسيت شيئاً فاذكرربك.

٢٥. ((وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعاً))

أخبر الله عن مدة إقامة أهل الكهف في كهفهم بأنها ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً، وهنا نجد تكرار الإضافة حيث أضافهم من قبل إلى الكهف ولما أطالوا الاقامة فيه غدا كأن الكهف كهفهم وخاصتهم فشرف المكان بشرف نزلائه وسكانه، هذه الفترة كانت خارقة لعادة الناس في النوم في ذلك العصر وخاصة أن نومهم كان طويلاً وحمايتهم ورعايتهم كانت أكيده.

٢٦. ((قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً))

ولبثوا الأولى في الآية السابقة تعني مدة لبثهم في الكهف نياماً، أما لبثوا الثانية في هذه الآية فتعني الزمن الممتد من فترة بعثهم إلى زمن البعثة النبوية ،فقل يا محمد لهم إن الله أعلم منهم بمدة الزمن الممتد من الاستيقاظ إلى عصر محمد صلى الله عليه وسلم. والله أعلم.

(له غيب السموات والأرض) إن أحداً لا يعلم الغيب إلا الله فما غاب في السماوات والأرض إنما يختص الله بعلمه دون سواه ولا يطلع على بعض هذا العلم إلا من ارتضى من رسول

وروي عن قتادة قوله (أبصر به وأسمع) أي لا أحد أبصر من الله ولا أسمع. فسبحان من لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار سبحان من يعلم السر وأخفى سبحان من سمع نداء يونس في بطن الحوت (مالهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحداً ....).

ليس للخلق من يتولاهم حق التولي إلا الله الذي له الخلق والأمر والله غالب على أمره وليس لله شريك يرتجي أو وزير يرتشى أو مستشار يشير سبحانه وتعالى لا إله إلا هو وحده لا شريك له.

٢٧. ((وَٱتْلُ مَآ أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً))

قال القشيري: هذه الآية آخر قصة أصحاب الكهف :(من تفسير القرطبي في شرح الآية).

اتبع القرآن الذي أوحى الله إليك فلا أحد يستطيع تبديل كلمات الله ووعيده للعصاة. (ولن تجد) يا محمد إن خالفت القرآن (ملتحداً) ملجأً ووليا من دون الله أو مكاناً تهرب إليه من الله.

٤.الأسئلة التقويمية:

س١. آيات الله بدت في توقف تأثيرفعل الزمن والبيئة والطبيعة البشريةعلى فتيةالكهف، أوضح ذلك؟

س٢. متى عادوا إلى متطلبات طبيعتهم البشرية؟ ولمَ لمْ يقدروا الزمن تقديرا حقيقيا؟

س٣. المُرْسَلُ كان يحمل شيئا ليجلب شيئاً وعليه أن يحذر أشياء، أوضح ذلك؟ وهل نجح في مسعاه؟

س٤. كان الحس الأمني واضحا لديهم اشرح ذلك؟

س٥. هل أغنى عنهم حذرهم؟ ولم؟

س٦. ما الغرض من العثور عليهم؟

س٧. ما الظن الغالب على عددهم؟ وما دليلك؟

س٨. لم جاءت الواو قبل ثامنهم فقط؟

س٩. لم هذا الاضطراب بالعدد؟

س١٠. بم يوحي تكرار لا في الآية (فلا تمار فيهم...)؟

س١١. تكرر النهي كما تكرر الأمر، أوضح ذلك؟

س١٢. تكرر فعل الأمر في الآيات فهل تجد هناك صلة بين موضوع القصة والأوامر والنواهي، إن كان الجواب بالإيجاب فما هي هذه الصلة؟

س١٣. لا يغني حذر من قدر أوضح ذلك على ضوء قصة أصحاب الكهف ،وصل ذلك بحذر يعقوب على أبنائه عند دخولهم مصر؟

س١٤. وقعت الأمة في خطأ جسيم، عواقبه وخيمة، عندما لم تدرك حقيقة التوكل ،وأنها تأتي بعد الأخذ بالأسباب. ناقش ذلك على ضوء واقع الأمة المسلمة المعاصر؟

س١٥. ميز بين التوكّل والتواكُل والحذر، وبين موقع كل منهما في الإسلام على ضوء ما يلي؟

- يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم، التغابن-آية ١٤)

- أأعقل ناقتي أم أتوكل، قال: إعقل وتوكل. (حديث شريف)

- في هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم دروس في التوكل والحذر وحسن التدبير.

- حديث شريف: (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين)

- التواكل ترك الأخذ بالأسباب، كرجل في المسجد يدعو بالرزق وعمر يقول له إن السماء لا تمطر ذهباً ولافضة.

- حديث: ما أقل حياء من يطلب جنتي من غير عمل، كيف أجود برحمتي على من بخل بطاعتي.

- نحن ندعو متواكلين:(اللهم انصرنا)، ونحن قاعدون .فكيف يكون ذلك؟

- (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ...)

- (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدته ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم" سورة التوبة -٤٦)

- (فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ، المائدة -٢٤)

٥. ملحق

١- الرقيم: مأخوذ من الرقم، ومنه كتاب مرقوم، ومنه الأرقم المحنط (ما معنى دار بني الأرقم)؟ قال ابن عباس: أن الفتية فقدوا فطلبهم أهلهم فلم يجدوهم فقال الملك ليكونن لهم نبأ

فكتب أسماءهم على لوح من رصاص فذلك اللوح هو الرقيم(القرطبي). ولقد كان القوم مؤرخين للحوادث وقيل إن أصحاب الكهف كانوا في الشام وقيل غير ذلك.

٢- أوى الفتية إلى الكهف فراراً بدينهم لعدم قدرتهم على الإستمرار في نصح قومهم الذين هددوهم بالحبس أوالقتل كما أويت يا محمد إلى غار ثور بعد أن توعدك المشركون بالقتل والحبس والطرد قال تعالى (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ..).

٣- أصحاب الكهف كانوا على بعد فرسخين من المدينة ولم يعثر عليهم أهلهم، فقد حماهم الله من الشر كما أن يوسف ألقي في الجب على مقربة من بيت المقدس، ولم يعلم به أبوه لأن الله أراد أن يرفعه على سرير الملك ليصلح العباد والبلاد، ولله في خلقه شؤون (والله غالب على أمره).

٤- إنهم فتية آمنوا (بربهم): بربهم توحي بالإحسان إليهم، فهو جل وعلا الذي رعى مصالحهم ورزقهم وتفضل بخلقهم وهدايتهم وطعامهم وشرابهم وحمايتهم.

النبأ: هو الخبر العظيم المهم ذو الشأن

٥- وزدناهم: تستعار الزيادة لقوة الوصف.

٦- الربط على القلب: استعارة غرضها اظهار ثبات الإيمان وعدم التردد فيه.

٧- تتالي الفعلين (إذ قاموا فقالوا) توحي بالمقارنة بين الفعلين إذ كان قيامهم بالتوحيد كان مقارناً لربط الله على قلوبهم؛لذا صدعوا بالحق

٨- قيل اسم المدينة أفسوس وقيل طرسوس

٩- إنهم فتية وصفهم الله بالفتية لأنهم انفردوا بمحبة الله عن محبة سواه، لم تغرهم النساء وهم فتيان، ولم يميلوا إلى طيب العيش في القصور رغم ميل أمثالهم إلى ذلك .هم حسان الوجوه حسان الفعال، قلوبهم عامرة بنور محبة الله ، عرفوا الله واستأنسوا به؛ فزادهم الله نوراً وهدى وآواهم إلى كنف رعايته ولطفه وإن كانوا في الظاهر آووا إلى الكهف. ومن يستأنس بالله يستوحش من سواه، لقد زادهم الله نوراً، ومن يستطع من البشر أن يعرف قدر هذه الزيادة؟ فنور حبهم لله سطع حتى أخجل الشمس. سماهم فتية لأنهم قاموا ونشطوا في حق الله وصدعوا بالحق وصرحوا بالحقيقة غير هيابين ولا وجلين صرّحوا قائلين (ربنا رب السموات والأرض). فلما قاموا لله ونهضوا بأمر الله صدعوا بما ملأ قلوبهم من الإيمان ؛فأكرمهم الله وآواهم إلى رحاب رحمته، وتولى جل وعلا رعاية شؤونهم مما جعل خيار البشر يتعجبون من حالهم. ولا تحدث الوصلة بالله إلا بعد العزلة عن غيره.

١٠- جعل الله الكهف عالَماً خاصاً بأهل الكهف ،فيه الرعاية والحفظ وهو القادر على أن يخلق ألف جنة في عين نملة، فقد رفع عنهم تأثير الزمان والمكان وحجبهم عن غيره غيرة عليهم، وحماهم من الشرور حتى الشمس الطالعة في كبد السماء حجبها عنهم، فهي تزاور تارة وتقرضهم تارة أخرى ؛فسبحان الذي يغار على أوليائه.

١١. لوليت منهم فرارً: حقيقة الفرار منا (أي من الله لا منهم، مَا بدا عليهم من هيبة وعظمة . كما هرب موسى من عظمتنا وقدرتنا ؛فلم يعلم من أي شيء فرّ) من تفسير غرائب القرآن للبقلي؟

١٢.أسماء أهل الكهف: تمليخا – و ملسلمينا – و محسلمينا – فمرطليوس – كشطوس – و سادنيوس – قالوش - واسم كلبهم قطمير ، لونه ابلق بسواد

١٣.أن بعض الناس يسمون أبناءهم بكلب عليّ كرّم الله وجهه؛ يؤملون بذلك النجاة قياسا على كلب فتية أهل الكهف. يقول الألوسي: إن قبله عليّ كرم الله وجهه كلبا له نجا ولكن لاأظنه يقبله (تفسير الألوسي للآية نت٣)

١٤. (فابعثوا أحدكم بورقكم) في هذه البعثة بالورق دليل على الوكالة وصحتها. وقد وكّل عليّ بن أبي طالب أخاه عقيلاً عند عثمان رضي الله عنهما؛ ولا خلاف فيها في الجملة. والوكالة معروفة في الجاهلية والإسلام؛ ألا ترى إلى عبد الرحمن بن عوف كيف وكّل أميّة بن خلف بأهله وحاشيته بمكة؛ أي يحفظهم، وأمية مشرك، والتزم عبد الرحمن لأمية من حفظ حاشيته بالمدينة مثل ذلك مجازاةً لصنعه.

روى البخاريّ عن عبد الرحمن بن عوف قال: كاتبت أمية بن خلف كتاباً بأن يحفظني في صاغيتي بمكة وأحفظه في صاغيته بالمدينة؛ فلما ذكرت الرحمن؛ قال: لا أعرف الرحمن! كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية، فكاتبته عبد عمرو... وذكر الحديث. قال الأصمعي: صاغية الرجل الذين يميلون إليه ويأتونه؛ وهو مأخوذ من صغا يصغو ويصغَى إذا مال، وكلّ مائلٍ إلى الشيء أو معه فقد صغا إليه وأصغى؛ (من تفسير القرطبي، من كتاب الأفعال،ص٢)

١٥. (إذ أوى الفتية إلى الكهف) الأولى: قوله تعالى: { إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ } رُوي أنهم قوم من أبناء أشراف مدينة دقيوس الملك الكافر، [يقال فيه: دقليوس] ويقال فيه دقينوس. وروي أنهم كانوا مطوّقين مسوّرين بالذهب ذوي ذوائب، وهم من الروم واتبعوا دين عيسى. وقيل: كانوا قبل عيسى، والله أعلم. وقال ابن عباس: إن ملكا من الملوك يقال له دقيانوس ظهر على مدينة من مدائن الروم يقال لها أفْسُوس. وقيل هي طرسوس وكان بعد زمن عيسى عليه السلام فأمر بعبادة الأصنام فدعا أهلها إلى عبادة الأصنام، وكان بها سبعة أحداث يعبدون الله سرًّا، فرفع خبرهم إلى الملك وخافوه فهربوا ليلاً، ومرُّوا براع معه كلب فتبعهم فآووا إلى الكهف فتبعهم الملك إلى فم الغار، فوجد أثر دخولهم ولم يجد أثر خروجهم، فدخلوا فأعمى الله أبصارهم

فلم يروا شيئاً؛ فقال الملك: سُدُّوا عليهم باب الغار حتى يموتوا فيه جوعاً وعطشاً. وروى مجاهد عن ابن عباس أيضاً أن هؤلاء الفتية كانوا في دين ملك يعبد الأصنام ويذبح لها ويكفر بالله، وقد تابعه على ذلك أهل المدينة، فوقع للفتية علم من بعض الحواريين ـ حسبما ذكر النقاش أو من مؤمني الأمم قبلهم ـ فآمنوا بالله ورأوا ببصائرهم قبيح فعل الناس، فأخذوا نفوسهم بالتزام الدين وعبادة الله؛ فرفع أمرهم إلى الملك وقيل له: إنهم قد فارقوا دينك واستخفّوا آلهتك وكفروا بها، فاستحضرهم الملك إلى مجلسه وأمرهم باتباع دينه والذبح لآلهته، وتوعّدهم على فراق ذلك بالقتل؛ فقالوا له فيما روي: { رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ } إلى قوله: { وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ }. وروي أنهم قالوا نحو هذا الكلام وليس به، فقال لهم الملك: إنكم شبان أغمار لا عقول لكم، وأنا لا أعجل بكم بل أستأني فاذهبوا إلى منازلكم ودبّروا رأيكم وارجعوا إلى أمري، وضرب لهم في ذلك أجلاً، ثم إنه سافر خلال الأجل فتشاور الفتية في الهروب بأديانهم، فقال لهم أحدهم: إني أعرف كهفاً في جبل كذا، كان أبي يدخل فيه غنمه فلنذهب فلنختف فيه حتى يفتح الله لنا؛ فخرجوا فيما روي يلعبون بالصَّولجان والكرة، وهم يدحرجونها إلى نحو طريقهم لئلا يشعر الناس بهم. وروي أنهم كانوا مثقفين فحضر عيد خرجوا إليه فركبوا في جملة الناس، ثم أخذوا باللّعب بالصولجان حتى خلصوا بذلك. وروى وهب بن منبّه :أن أول أمرهم إنما كان حواريّ لعيسى بن مريم جاء إلى مدينة أصحاب الكهف يريد دخولها، فأجّر نفسه من صاحب الحمام وكان يعمل فيه، فرأى صاحب الحمام في أعماله بركة عظيمة، فألقى إليه بكل أمره، وعرف ذلك الرجل فتيان من أهل المدينة فعرفهم الله تعالى فآمنوا به واتبعوه على دينه، واشتهرت خلطتهم به؛ فأتى يوماً إلى ذلك الحمام ولد الملك بامرأة أراد الخلوة بها، فنهاه ذلك الحواري فانتهى، ثم جاء مرة أخرى فنهاه فشتمه، وأمضى عزمه في دخول الحمام مع البغيّ، فدخل فماتا فيه جميعاً، فاتهم ذلك الحواريّ وأصحابه بقتلهما، ففروا جميعاً حتى دخلوا الكهف. وقيل في خروجهم غير هذا.

وأما الكلب فروي أنه كان كلبَ صيد لهم، وروي أنهم وجدوا في طريقهم راعياً له كلب فاتبعهم الراعي على رأيهم وذهب الكلب معهم؛ قاله ابن عباس. واسم الكلب حمران وقيل قطمير.

وأما أسماء أهل الكهف فأعجمية، والسند في معرفتها واه. والذي ذكره الطبري هي هذه: مكسلمينا وهو أكبرهم والمتكلم عنهم، ومحسيميلنينا ويمليخا، وهو الذي مضى بالورق إلى المدينة عند بعثهم من رقدتهم، ومرطوس وكشوطوش ودينموس ويطونس وبيرونس. قال مقاتل: وكان الكلب لمكسلمينا، وكان أسنّهم وصاحب غنم.

الثانية: هذه الآية صريحة في الفرار بالدين وهجرة الأهل والبنين والقرابات والأصدقاء والأوطان والأموال خوف الفتنة وما يلقاه الإنسان من المحنة. وقد خرج النبيّ صلى الله عليه

وسلم فاراً بدينه، وكذلك أصحابه، وجلس في الغار حسبما تقدم في سورة «النحل». وقد نص الله تعالى على ذلك في «براءة» وقد تقدم. وهجروا أوطانهم وتركوا أرضهم وديارهم وأهاليهم وأولادهم وقراباتهم وإخوانهم، رجاء السلامة بالدين والنجاة من فتنة الكافرين. فسكنَى الجبال ودخول الغيران، والعزلة عن الخلق والانفراد بالخالق، وجواز الفرار من الظالم هي سنة الأنبياء صلوات الله عليهم والأولياء. وقد فضّل رسول الله صلى الله عليه وسلم العزلة، وفضّلها جماعة العلماء لا سيما عند ظهور الفتن وفساد الناس، وقد نص الله تعالى عليها في كتابه فقال: { فَأْوُوا إِلَى ٱلْكَهْفِ }.

قال العلماء: الاعتزال عن الناس يكون مرّة في الجبال والشّعاب، ومرة في السواحل والرِّباط، ومرة في البيوت؛ وقد جاء في الخبر: «إذا كانت الفتنة فأخف مكانك وكفّ لسانك». ولم يخصّ موضعاً من موضع. وقد جعلت طائفة من العلماء العزلة اعتزال الشر وأهله بقلبك وعملك، إن كنت بين أظهرهم. وقال ابن المبارك في تفسير العزلة: أن تكون مع القوم فإذا خاضوا في ذكر الله فخض معهم، وإن خاضوا في غير ذلك فاسكت. وروى البغويّ عن ابن عمر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم: " المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم " وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " نعم صوامع المؤمنين بيوتهم " من مراسيل الحسن وغيره. وقال عقبة بن عامر لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ما النجاة يا رسول الله؟ فقال: " يا عقبة أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك " وقال صلى الله عليه وسلم: " يأتي على الناس زمان خير مال الرجل المسلم الغنمُ يتبع بها شَعَفَ الجبال ومواقع القطر يَفِرّ بدينه من الفتن " خرّجه البخاري.

وذكر عليّ بن سعد عن الحسن بن واقد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا كانت سنة ثمانين ومائة فقد حلّت لأمتي العزبة والعزلة والترهّب في رؤوس الجبال " وذكر أيضاً علي بن سعد عن عبد الله بن المبارك عن مبارك بن فضالة عن الحسن يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " يأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من فرّ بدينه من شاهق إلى شاهق أو حجر إلى حجر، فإذا كان ذلك لم تنل المعيشة إلا بمعصية الله ،فإذا كان ذلك حلّت العُزْبة. قالوا: يا رسول الله، كيف تحلّ العزبة وأنت تأمرنا بالتزويج؟ قال: إذا كان ذلك كان فساد الرجل على يدي أبويه ،فإن لم يكن له أبوان كان هلاكه على يدي زوجته، فإن لم تكن له زوجة كان هلاكه على يدي ولده ،فإن لم يكن له ولد كان هلاكه على يدي القرابات والجيران. قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: يعيّرونه بضيق المعيشة ويكلّفونه ما لا يطيق فعند ذلك يورد نفسه الموارد التي يهلك فيها ".

قلت: أحوال الناس في هذا الباب تختلف، فربّ رجلٍ تكون له قوّة على سكنى الكهوف والغيران في الجبال، وهي أرفع الأحوال لأنها الحالة التي اختارها الله لنبيّه صلى الله عليه وسلم في بداية أمره، ونص عليها في كتابه مخبراً عن الفتية، فقال: { وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا

يَعْبُدُونَ إِلاَّ ٱللَّهَ فَأْوُوا إِلَى ٱلْكَهْفِ }. وربّ رجل تكون العزلة له في بيته أخف عليه وأسهل؛ وقد اعتزل رجال من أهل بدر فلزموا بيوتهم بعد قتل عثمان فلم يخرجوا إلّا إلى قبورهم. وربَّ رجلٍ متوسّط بينهما فيكون له من القوّة ما يصبر بها على مخالطة الناس وأذاهم، فهو معهم في الظاهر ومخالف لهم في الباطن. وذكر ابن المبارك حدّثنا وهيب بن الورد قال: جاء رجل إلى وهب بن منبّه فقال: إن الناس وقعوا فيما فيه وقعوا وقد حدّثت نفسي ألا أخالطهم. فقال: لا تفعل! إنه لا بدّ لك من الناس، ولا بدّ لهم منك، ولك إليهم حوائج، ولهم إليك حوائج، ولكن كن فيهم أصمَّ سميعاً، أعمى بصيراً، سَكوتاً نَطُوقاً. وقد قيل: إن كل موضع يبعد عن الناس فهو داخل في معنى الجبال والشِّعاب؛ مثل الاعتكاف في المساجد، ولزوم السواحل للرّباط والذكر، ولزوم البيوت فراراً عن شرور الناس. وإنما جاءت الأحاديث بذكر الشعاب والجبال واتباع الغنم ـ والله أعلم ـ لأن ذلك هو الأغلب في المواضع التي يعتزل فيها؛ فكل موضع يبعد عن الناس فهو داخل في معناه؛ كما ذكرنا، والله الموفق وبه العصمة.

وروى عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " يعجب ربُّك من راعي غنم في رأس شظيّة الجبل يؤذِّن بالصلاة ويصلي فيقول الله عز وجل انظروا إلى عبدي يؤذن ويقيم الصلاة يخاف مني قد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة " خرجه النسائيّ.

١٦. مالهم من دونه من ولي: أكرم الله فتية الكهف الذين آووا إلى كنف رعايته فكان ولياً لهم، الله ولي الذين آمنوا وأكرمهم بفضله وكرمه وكذا يعامل جل وعلا أوليائه كما عامل مريم برزق من السماء كما جاء في القرآن(وكفلها **زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب**) ومن أمثلة إكرام الله لأوليائه ماجاء في تفسيرغرائب القرآن ورغائب الفرقان للقمي النيسابوري:

أخرج في الصحاح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى ابن مريم وصبي في زمان جريج وصبي آخر. أما عيسى فقد عرفتموه، وأما جريج فكان رجلاً عابداً في بني إسرائيل وكانت له أم وكان يوماً يصلي إذ اشتاقت إليه أمه فقالت: يا جريج فقال: يا رب الصلاة خير أم رؤيتها ثم صلى. فدعته ثانياً مثل ذلك حتى كان ذلك ثلاث مرار. وكان يصلي ويدعها فاشتد ذلك على أمة فقالت: اللَّهم لا تمته حتى تريه المومسات. وكانت في بني إسرائيل زانية فقالت لهم: أنا أفتن جريجاً حتى يزني فأتته فلم تقدر عليه شيئاً وكان هناك راع يأوى بالليل إلى أصل صومعته فأرادت الراعي على نفسها فأتاها فولدت غلاماً وقالت: ولدي هذا من جريج. فأتاه بنو إسرائيل وكسروا صومعته وشتموه فصلى ودعا ثم نخس الغلام. قال أبو هريرة: كأنى أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين قال بيده يا غلام من أبوك؟ فقال: فلان الراعي فندم القوم على ما كان منهم واعتذروا إليه وقالوا نبني

صومعتك من ذهب وفضة فأبى عليهم وبناها كما كانت. وأما الصبي الآخر فإن امرأة كانت معها صبي ترضعه إذ مر بها شاب جميل ذو شارة فقالت: اللَّهم اجعل ابني مثل هذا فقال الصبي: اللَّهم لا تجعلني مثله. ثم مر بها امرأة ذكروا أنها سرقت وزنت وعوقبت فقالت: اللَّهم لا تجعل ابني مثل هذه. فقال: اللَّهم اجعلني مثلها. فقالت له أمه في ذلك فقال: إن الراكب جبار من الجبابرة ،وإنّ هذه قيل لها سرقت ولم تسرق وزنيت ولم تزن ،وهي تقول حسبي الله " ومنها ما روي عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم فأواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدّت عليهم الغار فقالوا إنه والله لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم فقال رجل منهم كان لي أبوان شيخان كبيران فكنت لا أغبق قبلهما فناما في ظل شجرة يوماً فلم أبرح عنهما وحلبت لهما غبوقهما فجئتهما به فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أغبق قبلهما فقمت والقدح في يدي أنتظر استيقاظهما حتى ظهر الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللَّهم إن كنت فعلت هذا ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت انفراجاً لا يستطيعون الخروج منه. ثم قال الآخر اللَّهم إنه كانت لي ابنة عم وكانت أحب الناس إليّ فأردتها عن نفسها فامتنعت حتى ألمت سنة من السنين فجاءتني وأعطيتها مالاً عظيماً على أن تخلي بيني وبين نفسها ،فلما قدرت عليها قالت لا آذن لك أن تفك الخاتم إلا بحقه ؛فتحرجت من ذلك العمل وتركتها وتركت المال معها .اللَّهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه؛ فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثم قال الثالث اللَّهم إني استأجرت أجراء أعطيتهم أجورهم غير رجل واحد منهم ترك الذي له وذهب فثمرت أجرته حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أدّ إليّ أجرتي فقلت له كل ما ترى من الإبل والغنم والرقيق من أجرتك، فقال يا عبد الله لاتستهزىء بي فقلت :إني لا أستهزىء بأحد فأخذ ذلك كله اللَّهم إن كنت فعلته ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة عن الغار فخرجوا يمشون "

وهذا حديث صحيح متفق عليه.

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: " رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره " ولم يفرق بين شيء وشيء فيما يقسم به على الله. ومنها رواية سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " بينا رجل يسوق بقرة قد حمل عليها إذا التفتت البقرة وقالت إني لم أخلق لهذا وإنما خلقت للحرث فقال الناس: سبحان الله! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر " ومنها رواية أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: " بينا رجل سمع رعداً أو صوتاً في السحاب أن اسق حديقة فلان قال فغدوت إلى تلك الحديقة فإذا رجل قائم فيها فقلت له: ما اسمك؟ قال: فلان ابن فلان. فقلت: فما تصنع بحديقتك هذه إذا صرمتها؟ قال: ولم تسأل عن ذلك؟ قلت: لأني سمعت صوتاً في السحاب أن

اسق حديقة فلان. قال: أما إذ قلت فإني أجعلها أثلاثاً فأجعل لنفسي ولأهلي ثلثاً وأجعل للمساكين وأبناء السبيل ثلثاً وأنفق عليها ثلثاً.

ومن كرامات عمر ما روي أنه بعث جيشاً وأمر عليهم رجلاً يدعى سارية بن حصين. فبينا عمر يوم الجمعة يخطب جعل يصيح في خطبته يا سارية الجبل الجبل. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: وكتبت تاريخ هذه الكلمة. فقدم رسول ذلك الجيش. فقال: يا أمير المؤمنين غدونا يوم الجمعة في وقت الخطبة فدهمونا فإذا بإنسان يصيح يا سارية الجبل فأسندنا ظهورنا إلى الجدبل فهزم الله الكفار وظفرنا بالغنائم العظيمة. قال بعض العلماء: كان ذلك بالحقيقة معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه قال لأبي بكر وعمر: أنتما مني بمنزلة السمع والبصر. فلما كان عمر بمنزلة البصر لا جرم قدر على رؤية الجيش من بعد. ومنها ما روي أن نيل مصر كان في الجاهلية يقف في كل سنة مرة واحدة وكان لا يجري حتى يلقى فيه جارية حسناء. فلما جاء الإسلام كتب عمرو بن العاص بهذه الحالة إلى عمر. فكتب عمر على الخزف: من عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر أما بعد فإن كنت تجري بأمرك فلا حاجة لنا فيك، وإن كنت تجري بأمر الله فاجر على بركة الله. وأمر أن يلقى الخزف في النيل فجرى ولم يقف بعد ذلك. ووقعت الزلزلة بالمدينة فضرب عمر الدّرة على الأرض وقال: اسكني بإذن الله فسكنت. ووقعت النار في بعض دورالمدينة فكتب عمر على خزفة: يا نار اسكني بإذن الله تعالى فألقوها في النار فانطفأت في الحال. ويروى أن رسول ملك الروم جاء إلى عمر وطلب داره فظن أن داره مثل قصور الملوك فقالوا: ليس له ذلك إنما هو في الصحراء يضرب اللبن. فلما ذهب إلى الصحراء رأى عمر واضعاً درته تحت رأسه وهو نائم على التراب فتعجب الرسول من ذلك وقال في نفسه: أهل الشرق والغرب يخافون منه وهو على هذه الصفة فسل سيفه ليقتله فأخرج الله أسدين من الأرض فقصداه فخاف فألقى السيف فانتبه عمر وأسلم الرجل. قال أهل السير: لم يتفق لأحد من أول عهده إلى الآن ما تيسر له فإنه مع غاية بعده عن التكلفات كيف قدر على تلك السياسات، ولا شك أن هذا من أعظم الكرامات. وأما عثمان فعن أنس قال: مررت في طريق فوقعت عيني على امرأة ثم دخلت على عثمان فقال: ما لي أراكم تدخلون عليّ وآثار الزنا عليكم؟! فقلت: أوحي نزل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: لا ولكن فراسة صادقة. وقيل: لما طعن بالسيف فأول قطرة سقطت من دمه سقطت على المصحف على قوله:
{ فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم }

وأما علي عليه السلام فيروى أن واحداً من أصحابه سرق وكان عبداً أسود فأتي به إلى علي عليه السلام فقال: أسرقت؟ قال: نعم. فقطع يده فانصرف من عند علي رضي الله عنه فلقيه سلمان الفارسي وابن الكواء فقال ابن الكواء: من قطع يدك؟ قال: أمير المؤمنين ويعسوب المسلمين وختن الرسول وزوج البتول. فقال: قطع يدك وتمدحه. قال: ولم لا أمدحه وقد قطع يدي بحق وخلصني من النار. فسمع سلمان ذلك فأخبر به علياً رضي الله عنه فدعا الأسود

ووضع يده على ساعده وغطاه بمنديل ودعا بدعوات، فسمعنا صوتاً من السماء ارفع الرداء عن اليد فرفعنا الرداء فإذا اليد كما كانت بإذن الله تعالى. وأما سائر الصحابة فعن محمد بن المنذر أنه قال: ركبت البحر فانكسرت السفينة التي كنت فيها فركبت لوحاً من ألواحها فطرحني اللوح في أجمة فيها أسد، فخرج إليّ أسد فقلت: يا أبا الحرث أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فتقدم ودلني على الطريق ثم همهم فظننت أنه يودعني ورجع. وروى ثابت عن أنس أن أسيد بن حضير ورجلاً آخر من الأنصار خرجاً من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذهب من الليل قطع، وكانت ليلة مظلمة وفي يد كل واحد منهما عصاه فأضاءت عصا أحدهما حتى مشيا في ضوئها، فلما افترقا أضاءت لكل واحد منهما عصاه حتى مشى في ضوئها وبلغ منزله. وقيل لخالد بن الوليد إن في عسكرك من يشرب الخمر فركب فرسه ليلاً فطاف في العسكر فرأى رجلاً على فرس ومعه زق من خمر فقال: ما هذا؟ فقال: خل. فقال خالد: اللَّهم اجعله خلاً. فذهب الرجل إلى أصحابه وقال: أتيتكم بخمر ما شربت العرب مثلها. فلما فتحوا فإذا هي خل. فقالوا: والله ما جئتنا إلا بخل. فقال: هذه والله دعوة خالد. ومن الوقائع المشهورة أن خالد بن الوليد أكل كفاً من السم على اسم الله وما ضره. وعن ابن عمر أنه كان في بعض أسفاره فلقي جماعة على طريق خائفين من السبع فطرد السبع عن طريقهم ثم قال: إنما يسلط على ابن آدم ما يخافه ولو أنه لم يخف غير الله لما سلط عليه شيء. وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمي في غزاة فحال بينه وبين المطلوب قطعة من البحر فدعا باسم الله الأعظم فمشوا على الماء.

١٨. (وإذ اعتزلتموهم): يشرع الفرار بالدين عند خوف الفتية لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (يوشك أن يكون مال الرجل غنماً يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن.

١٩.(وتحسبهم أيقاظاً): لم تنطبق عيونهم عندما ضرب الله على آذانهم بالنوم. وقد ذكر أن الذئب ينام فيطبق عيناً ويفتح أخرى وهكذا وهو راقد كما قال الشاعر:

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي بأخرى الرزايا فهو يقظان نائم

(ابن كثير في تفسير الآية صفحة ١٠٤ جزء ٣)

٢٠. (كنز لهما): وقال العوفي عن ابن عباس: كان تحته كنز علم، وكذا قال سعيد بن جبير، وقال مجاهد: صحف فيها علم، وقد ورد في حديث مرفوع ما يقوي ذلك. قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده المشهور: حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، حدثنا بشر بن المنذر، حدثنا الحارث بن عبد الله اليحصبي عن عياش بن عباس القتباني، عن ابن حجيرة عن أبي ذر رفعه قال: " إن الكنز الذي ذكره الله في كتابه لوح من ذهب مصمت، مكتوب فيه: عجبت لمن أيقن بالقدر لم نصب، وعجبت لمن ذكر النار لم ضحك،

وعجبت لمن ذكر الموت لم غفل، لا إله إلا الله محمد رسول الله " وبشر بن المنذر هذا يقال له: قاضي المصيصة قال الحافظ أبو جعفر العقيلي: في حديثه وَهْمٌ. وقد روي في هذا آثار عن السلف، فقال ابن جرير في تفسيره: حدثني يعقوب، حدثنا الحسن بن حبيب بن ندبة، حدثنا سلمة عن نعيم العنبري، وكان من جلساء الحسن، قال: سمعت الحسن، يعني: البصري يقول في قوله: { وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا } قال: لوح من ذهب مكتوب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن، وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، لا إله إلا الله محمد رسول الله. وحدثني يونس، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عبد الله بن عياش عن عمر مولى غفرة قال: إن الكنز الذي قال الله في السورة التي يذكر فيها الكهف { وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا } قال: كان لوحاً من ذهب مصمت، مكتوب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، عجبٌ لمن عرف النار ثم ضحك، عجبٌ لمن أيقن بالقدر ثم نصب، عجب لمن أيقن بالموت ثم أمن، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. وحدثني أحمد بن حازم الغفاري، حدثتنا هنادة بنت مالك الشيبانية قالت: سمعت صاحبي حماد بن الوليد الثقفي يقول: سمعت جعفر بن محمد يقول في قول الله تعالى: { وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا } قال: سطران ونصف، لم يتم الثالث: عجبت للموقن بالرزق كيف يتعب، وعجبت للمؤمن بالحساب كيف يغفل، وعجبت للمؤمن بالموت كيف يفرح؟

وقد قال الله:
{ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ } [الأنبياء: ٤٧] قالت: وذكر أنهما حفظا بصلاح أبيهما، ولم يذكر منهما صلاح، وكانت بينهما وبين الأب الذي حفظا به سبعة آباء، وكان نساجاً، وهذا الذي ذكره هؤلاء الأئمة وورد به الحديث المتقدم، وإن صح، لا ينافي قول عكرمة أنه كان مالاً؛ لأنهم ذكروا أنه كان لوحاً من ذهب، وفيه مال جزيل، أكثر ما زادوا أنه كان مودعاً فيه علم، وهو حكم ومواعظ، والله أعلم.

٢١. وترى الشمس إذا طلعت تزاور: انظر أخي المؤمن كيف سخر الله الشمس لخدمة وحماية هؤلاء الفتية خلافاً للعادة، وقيل أن الله لا يبالي أن ينطق الحجر لعبده المؤمن ولقد جاء في الحديث الشريف (يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه).ويتضح ذلك بمطالعة مايلي :

قصة قف للأسد- -حديث الغلام والساحر- الرسول في الغار – الصوت لعمر- الصالح وقاطع الطريق- العصا لموسى- الحوت ليونس- النار لابراهيم – زكريا لمريم –الشمس لذو القرنين- كن مع الله- إن الله معنا.

٢٢. لو اطلعت عليهم: قال القشيريّ أبو نصر عبد الرحيم: وهذا آخر قصة أصحاب الكهف. ولما غزا معاوية غزوة المضيق نحو الروم وكان معه ابن عباس فانتهى إلى الكهف الذي فيه

أصحاب الكهف؛ فقال معاوية: لو كشف لنا عن هؤلاء فننظر إليهم؛ فقال ابن عباس: قد منع الله من هو خير منك عن ذلك، فقال: { لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً } فقال: لا أنتهي حتى أعلم علمهم، وبعث قوماً لذلك، فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحاً فأخرجتهم؛ ذكره الثعلبي أيضاً. وذكر " أن النبيّ صلى الله عليه وسلم سأل الله أن يريه إياهم، فقال إنك لن تراهم في دار الدنيا ولكن ابعث إليهم أربعة من خيار أصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم إلى الإيمان، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام: كيف أبعثهم؟ فقال: أبسط كساءك وأجلس على طرف من أطرافه أبا بكر وعلى الطرف الآخر عمر وعلى الثالث عثمان وعلى الرابع عليّ بن أبي طالب، ثم ادع الريح الرُّخاء المسخرة لسليمان فإن الله تعالى يأمرها أن تطيعك؛ ففعل فحملتهم الريح إلى باب الكهف، فقلعوا منه حجراً، فحمل الكلب عليهم فلما رآهم حرك رأسه وبصبص بذنبه وأومأ برأسه أن ادخلوا فدخلوا الكهف فقالوا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ فردّ الله على الفتية أرواحهم فقاموا بأجمعهم وقالوا: عليكم السلام ورحمة الله وبركاته؛ فقالوا لهم: معشر الفتية، إن النبيّ محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليكم السلام؛ فقالوا: وعلى محمد رسول الله السلام ما دامت السموات والأرض، وعليكم بما أبلغتم، وقبلوا دينه وأسلموا، ثم قالوا: أقرئوا محمداً رسول الله منّا السلام، وأخذوا مضاجعهم وصاروا إلى رقدتهم إلى آخر الزمان عند خروج المهدي. فيقال: إن المهدي يسلم عليهم فيحييهم الله ثم يرجعون إلى رقدتهم فلا يقومون حتى تقوم الساعة، فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان منهم، ثم ردّتهم الريح فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «كيف وجدتموهم»؟ فأخبروه الخبر، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «اللهم لا تفرّق بيني وبين أصحابي وأصهاري واغفر لمن أحبّني وأحبّ أهل بيتي وخاصّتي وأصحابي» " وقيل: إن أصحاب الكهف دخلوا الكهف قبل المسيح؛ فأخبر الله تعالى المسيح بخبرهم ثم بعثوا في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم. وقيل: كانوا قبل موسى عليه السلام وأن موسى ذكرهم في التوراة؛ ولهذا سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقيل: دخلوا الكهف بعد المسيح؛ فالله أعلم أيّ ذلك كان. (مقتبس من تفسير القرطبي للآية).

قيل في أهل الكهف: أنهم كانوا قبل موسى ،وقد ورد ذكرهم في التوراة لذا طلبت اليهود من قريش سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم عنهم ،وقيل غير ذلك أنهم قبل المسيح ،وقيل بعده والله أعلم.

٦. الواقع

١- من توكل على الله كفاه.

٢- مقارنة بين الغار والكهف.

٣- الدعاء لله بعد الأخذ بالأسباب (أوى- قاموا- قالوا- ربنا).

٤- تأييد الله للمؤمنين وقيامهم بالدعوة للملك ولقومهم.

٥-القيام لله وثماره.

ماذا نأخذ من الآيات لواقعنا المعاصر:

-إنهم فتية:

١. كثيراً ما يلقى باللوم على شباب الأمة بأنهم سبب تخلفها ،والحقيقة غير ذلك، فلا يمكننا أن نضع شباب اليوم في قفص الإتهام لوحدهم لابد أن نضع معهم أولاً الساسة ثم الإعلام المغرض والمتناقض مع الحياة والذي ينشغل جل وقته في التطبيل والتزمير للحاكم الفاسد أو لدغدغة الغرائز الحيوانية بل وللدعوة إليها والحث عليها، اضافة إلى هؤلاء فإننا لابد أن نضع المعلمين والمربين تضاف إليهم الأمهات اللواتي هن المدرسة الأولى في التربية واللواتي هن سر إخفاق الشباب كما يقول الشاعر:

من لي بتربية النساء فإنها في الشرق علة ذلك الإخفاق.

وكما قال حافظ ابراهيم:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

والخلاصة:

أننا يمكن أن نشير بإصبع الإتهام إلى كل من في قفص الاتهام دون أن نحمل الشباب المسؤولية الأولى عن تخلف المجتمع الاسلامي،و دون أن نطلق المسميات عليهم فقط فنقول: (الشباب التافه الكسول، شباب التطنيش، الشباب الصايع، الشباب الخنفوس، شباب الهيبيز، شباب الملذات والتسكع في الطرقات وعلى أبواب الحانات، الشباب غير الواعي، الشباب الذي يترك مسؤولية حماية الوطن ورقيه ليرقى في عدوانه على أعراض الناس وقيم المجتمع، الشباب العجوز المتآكل، الشباب الذي لا يثور لكرامته ولا يحمي حدود وطنه، الشباب المنزوع الدسم أو المنزوع القيم والشهامة والنخوة). والحقيقة أنه لا يهمنا من سنحشد في قفص الاتهام إنما المهم الآن كيف نخرج شبابنا من قفص الإتهام؟ لا لنلقيهم في حقول الألغام بل لنأخذ بأيديهم إلى الأمن والأمان والحياة السعيدة البناءة الجادة ليفهموا دورهم في هذه الحياة. لابد أولاً من أن نؤمن لهم حاجاتهم الأساسية المادية والنفسية وأن نملأ أوقات فراغهم بمختلف النشاطات

والإبداعات في حيز الرياضة والترفيه وتنمية الهوايات الخيرة. لابد من تجميع بقع الضياء النيرة منهم وتزويدها بالمداد والوقود لتغدو شمسا مشرقة تتزاور شمسنا عنهم خجلاً واستحياء من شمس فتوتهم التي لا تثبت أمامها شمس الكون.

- إن حجر الأساس في الموضوع هو الإيمان -(ربنا رب السموات والأرض) - وغرسه ليس سهلاً في جو تعصف فيه رياح الفتن ،وتُرى كقطع الليل المظلم ،علماً بأن المودَّعين في قفص الإتهام لم يتركوا الشباب ليتجهوا نحو الصواب ؛لذا لا بد من استمرار الإبقاء على المتهمين في قفص الإتهام، وهذا يتعذر فعله بداية لذا لابد من الإعتزال (وإذ اعتزلتموهم). والاعتزال صعب في مجتمعات استبدادية تحرم المرء من أن يتنفس إلا كما يريد المستبد ،وتحجب عنه كل تيارات الإصلاح والنسيم العليل فهو في سجن كبير ، وسكانه لا يعرفون الليل من النهار إلا إذا أراد السجان البطش بهم وسوقهم إلى حفلات التعذيب والتنكيل والتوحش.

فكيف يستطيع أن يحقق الشباب الطموح أمنياته في الرقي بالوطن؟! إن مساحة الحرية التي كان يتمتع بها الشباب بل الناس في العصور الخالية الموغلة في القدم كانت أوسع بكثيرمن مساحات الحرية في أيامنا هذه في المجتمعات الاستبدادية، لقد اعتزل فتية الكهف جسديا ومعنويا، فهل يستطيع شبابنا اليوم أن يحققوا العزلة المادية في الأجواء الاستبدادية، أتوقع أن هذا شبه مستحيل . إذن لا بد من العزلة الروحية الايمانية وهذا من أصعب الصعاب ؛إذ كيف يمكن أن يعزل الشباب روحيا وهم يخالطون مجتمعا يحظر الحريات ويحاصر الدين ؛ لذا لابد من الربط على القلوب بالايمان الصادق ولابد من الضرب على الآذان حتى لا تخالط مسامع الشباب الاتهامات والافتراءات والكيل بمئة مكيال ؛لابد أن يصم الشباب المؤمن آذانهم عن عواء الكلاب والذئاب وفحيح الأفاعي اللئيمة وزئير الأسود المتوحشة والحاقدة ؛لابد أن يخلصوا سمعهم لله ويخلصوا توجههم لله فكم عاب الجاهلون على الأنبياء؟! وكم كالوا لرسولنا من التهم !فبعد أن كان الصادق الأمين عندهم غدا بعد الرسالة الكذاب الساحر عليه الصلاة والسلام ، وحاشاه من ذلك ،فإذا تم للشباب الاعتزال الروحي مع مخالطة المجتمع الموغل في الاستبداد والتخلف فلا بد من تزويد الشباب بمزيد من العناية والرحمة والتوجيه السديد وتكثيف تلك الجهود (فأووا إلى الكهف .....) إن باستطاعة كل أب أو كل أم أن يفعل ذلك بأن تضخ الأم من معين الرحمة عندها ومن معين الحب عندها كما يضخ الأب من معين حنانه وتضحيته وإيمانه وتوجيهه ما يجعل الشباب سليماً من الاضطراب والعقد النفسية سليماً من القلق معافى في نظرته إلى الحياة معافى في تفاعله مع المجتمع نشيطاً في سعيه للنهوض بالأمة دون أن يعلق به شيء من دنس المدنّسين ،حتى يغدو كشعاع الشمس يقع على كل الأرض ويطهر كل الأرض مهما كان فيها من قاذورات الحياة ونجاسات الأفكار، ليرتد بعد ذلك نقياً سليماً كما جاء.

هكذا نستطيع أن نعد شباباً كفتية الكهف ،فعناية الله ونشر رحمته وتهيئة المرافق والحماية ،مع الربط على القلوب والتحكم بالقلوب ليست مقصورة على فتية الكهف بل هي لخلّانه خاصة ولعبادة عامة.

إن فتية الكهف أدوا ما عليهم ،إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض أعلنوا التوحيد وقاموا به ودعوا قومهم ثم لاذوا بالفرار آخذين بالأسباب متوكلين على الله حق توكله، فكفاهم الله شر غيرهم وحفظهم وكلأهم وجعلهم آية. إن علينا أن نطلع شبابنا على سيرة الشباب المؤمن عبر التاريخ فهم القدوة للشباب وكذا للكبار فبهداهم اقتده، اقتد بفتية الكهف، اقتد بيحيى، اقتد بأصحاب رسول الله، اقتد أيتها الفتاة المؤمنة اقتدي بمريم العذارء بفاطمة الزهراء بالتي جاءت موسى تمشي على استحياء.

٢. تنوير عقلية الشباب بالمنهج العلمي في التفكير والاستدلال والبحث ومقارعة الحجة بالحجة. هؤلاء فتية الكهف ينطقون بالعقل ويطالبون من يحاربهم بالحجة والبرهان الساطع (لولا يأتون عليهم ....). عندما نبعد شبابنا عن السطحية والابتذال والسلبية وخلق الإمعة ونعمر عقولهم بالحقائق وبالنهج المنطقي ،عندها لن يكون من السهل افتراسهم بواسطة تيارات الزندقة والإلحاد أو تيارات الاستبداد والديكتاتورية، لقد استسلمت الأمة لكثيرمن الغوغائين ليقودونها بدون دليل وليسلخوها بدون سبب، لقد غدت الأمة لا تبحث عن السلطان المبين والحجة القاطعة ولا تطالب بها من يسرق ويبيع أرضها ومن يسيمها سوء العذاب، لم تجرؤ الضحية على مجرد الأنين فكيف تجرؤ على سؤال الجلاد عن السبب أو الوقوف أمام الجلاد؟!، لقد استخف المستبدون بالأمة فتبعتهم كقطيع غنم يساق إلى المقصلة إلا من رحم ربي، يجب أن نربي أبناءنا وبناتنا وأطفال الأمة على ضرورة طلب الدليل وأن ندربهم على أهمية ذلك سواء في حياتنا البيتية أو المدرسية أو في المستقبل.

٣. على الشباب أن لا ييأسوا من رحمة الله ففي الحديث الشريف (يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه) لقد خدمتهم الطبيعة بما فيها شمسها وهواؤها وحيوانها وزمانها ومكانها وقوانينها. كل ما في الطبيعة سخره الله لخدمة هولاء الفتية فمتى أوصدت أبواب رحمة الله عمن جاء إلى أعتاب جوده وكرمه ومن لاذ بحماه كيف يضام ؟ حاشا وكلا، قال الشاعر:

ومتى نُضَيّع مَنْ يُنيخُ ببابنا والمعرضون لهم نعيم وافر

٤. على الداعي إلى الله أن يتحلى بالصبر الجميل فهو سر النجاح ؛ولذا نجد في الصورة الدليل تلو الدليل على وحدانية الله وقدرته إلى أن نتوقف مع قصة أصحاب الكهف ونراهم كما رأتهم الأقوام من قبل نراهم يبعثون ويعثر عليهم بأمر الله؛ ليكون ذلك دليلا على قدرة الله على البعث والإحياء بعد الموت فمن باب أولى الإحياء بعد النوم ،فسبحان من لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ،يقول الله تعالى: (وكذلك أعثرنا عليهم ...) فكان هذا دليلا واقعيا يزيل الشكوك

والحيرة ،إذ كان الملك وقومه الذي عثروا عليهم رغم إسلامهم إلا أنهم كانوا في حيرة من أمر البعث.

٥.على فتية اليوم أن يلتزموا بقرناء الخير والصلاح حتى يتم لهم تمسكهم بإيمانهم، والقرين الصالح هو الذي تزيدك صحبته قرباً إلى الله والله تعالى يقول: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) لذا نجد روح الجماعة في الفتية متمثلة في واو الجماعة والفعل الجماعي كقوله تعالى: (قاموا – قالوا – ربنا – نتخذ – قومنا – اعتزلتموهم – فأووا – فابعثوا – ورقكم ...الخ) وهذا ما يؤكد أهمية تعاون الفتية واجتماعهم على الخير فسنشد عضدك بأخيك.

٦- يَدُ الله مع الجماعة ومن شذّ شذَّ في النار، وحتى ينمو شبابنا النمو الصالح علينا أن نؤكد فيهم روح الجماعة وروح الانتماء إلى الأمة وروح السعي للنهضة بها ،وهذا يتمثل في الحث على المشاعر الجماعية كالصلاة والحج والعيدين والتزاور والتراحم والاستفادة من المهارات والخبرات وتنمية الهوايات من خلال الرحلات والمشاركات في المنتديات الثقافية والخدمة الاجتماعية ،وعلى الشباب أن يقوموا بدور فعال في تثقيف المجتمع وخدمته والمساهمة في كل فعاليات الخدمة التطوعية والخيرية .

٥. (فلا تمار فيهم إلا مراءً ظاهراً ولا تستفت فيهم منهم أحداً ، ربهم أعلم بهم ....) (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم).

الآيات تثبت ضرورة ترك المراء والجدال وعدم الانشغال بما لا نفع منه ولا طائل، بل توجهنا الآيات إلى الاهتمام بالمستقبل: والرسول صلى الله عليه وسلم يحثنا على ترك الجدال حتى لو كنا محقين، ويبشرنا ببيت في ربض الجنة لمن ترك الجدال وهو محق، وللجدال آثاره الخطرة مما ينجم عن شقاق وخلاف وكره إضافة إلى التصلب والتعصب وإعجاب كل ذي رأي برأيه. لقد ساد في عصرنا الجدال حتى أصبح للأسف فاكهة المجالس والسمَار، والشافعي يقول

ما جادلت عالماً إلا غلبته وما جادلني جاهل إلا غلبني

وهو القائل: ما جادلت أحدا من أهل العلم إلا وددت أن يظهر الله الحق على يديه، وترك الجدال سمة تدل على الثقة في النفس والحيوية والإتزان وهي سمة يجب أن يتسم بها شبابنا وشيابنا وهي زينة للشباب خاصة وهذا ما اتسم به فتية الكهف.

٦. ما يجب أن يتسم به رجل الأمن: أن يكون حريصاً على تحقيق الأمن للأمة لا أن يكون معول هدم في كيانها أو سوط ظلم في يد المستبد يسخره كيف يشاء . على رجل الأمن أن تكون له دراية حقيقية بما يجب عليه أن يفعل ويطيع فيه ،وما لا يجب أن يفعل وما يجب أن لا يطيع فيه. رجل الأمن يستمد قوته واحترامه من خلال ما يحقق للأمة من أمن وحماية، إذ

أنه يقتات من أرزاق الأمة فراتبه منهاوهو مستأجر لخدمتها ، فالأولى أن يكون حريصا على مصالح الأمة ، عليه أن يكون لطيفاً في تعامله معها، وأن يكون اللطف خلقه حتى مع أعدائه ؛ ليأخذ منهم ما يريد أو ليخفف شرهم أو يتقيه ،كما عليه أن يكون أمينا على أسرار الجماعة (وليتلطف- ولينظر- ولا يشعرن بكم أحدا). فاللطف ودقة النظر والقدرة على البحث والاستقصاء والتخفي والحرص على الجماعة وحمايتها من الخطرمن أولى سماته ،وأدق مهامه، وكل ذلك وجدناه في الآية الكريمة (فلينظر أيها أزكى طعاما...أبدا)

- إن تحقيق الأمن في دولة الاستبداد ينحصر في المستبد وحاشيته ، فلهم الأمن والأمان وللشعب الظلم والقهر والتنكيل، فتحول رجل الأمن إلى رجل ظلم ومطية للمستبد. وترك واجبه وهو حماية المواطن والوطن ،فتركت الحدود للعدو يعيث فيها فساداً حتى غدت أوطاننا بلا حدود ،وغدونا كقطيع تنهشه الذئاب والكلاب. والمرجو من رجال الأمن أن لايخونون الأمانة ،أن لا يخونوا الناس الذين يدفعون لهم الرواتب لا ليذبحوهم بل ليحموهم.

٧. علينا أن نعتمد التخطيط الدقيق والرصين بأن نضع الأهداف والوسائل والأساليب، وأن نحدد نوعية الأنشطة، وأن نُقيّم كل مرحلة دون أن ننسى أن نضع تصويرا للعقبات التي ربما تصادفنا، ففتية أهل الكهف و للحصول على طعامهم فقط رسموا خطة و كان المنفذ لها أحدهم، وكانت وسائله للوصول إلى الهدف ١. النظر الدقيق (فلينظر) ٢. اللطف (وليتلطف) ٣. السّرّية (لا يشعرن بكم أحدا).

٨. إن المؤمنين يعانون اضطهاداً وظلماً وفتنة في كثير من بلدانهم، ويحاصرون نفسيا واجتماعيا ومادياً، ويحاربون بلقمة العيش وربما نفوا أو حوصروا أو قتلوا أو قتلت ذراريهم وهجرت، وربما نزل بهم العسف الشديد فحال بينهم وبين تطبيق شعائر دينهم لذا يشرع الفرار بالدين عند خوف الفتنة، فقد فر فتية الكهف بدينهم، كما لجأ الصحابة الكرام إلى الحبشة و المدينة، ومن ثم خرج الرسول عليه الصلاة والسلام إلى المدينة مهاجراً، عندما استعصت مكة على بذرة الخير وضاقت برسول الله الذي مكر به المشركون ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه، وعندها فليس أمام المستضعفين إلا قول الله تعالى :(قَالُوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا، النساء-٩٧)

المقطع الثالث: الآيات ٢٨-٣١

الموضوع: اصبر نفسك مع المؤمنين.

{ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً } * { وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقاً } إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً } * { أُوْلَـئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى ٱلأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً }

١.شرح المفردات: (من تفسير ابن كثير)

- الغداة: بكرة ،صباحاً

- لا تعد عيناك: لا تجاوزهم إلى غيرهم

- زينة: المال والبنون

- أغفلنا: شغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا

- فرطا: تفريط وضياع

- أعتدنا: أرصدنا وهيئنا

- سرادقها: سورها قال ابن عباس حائط من نار

- كالمهل: كالماء الغليظ مثل دردري الزيت، وقال مجاهد: هو كالدم والقيح، وقيل :هو كل شيء أذيب أسود منتن غليظ حار.

- بئس: فعل ذم

- مرتفقا: منزلاً ومقيلاً ومجتمعاً

- الظالمين: الكافرين بالله ورسوله وكتابه

- يشوي الوجوه: يشوي الوجوه من شدة حره وتقع فروة وجهه ورأسه

- ماكثين: مضطجعين

- الأرائك: جمع أريكة وهي السرير تحت الحجلة (الباشخانة ،الناموسية)

- جنات عدن: جنات اقامة والعادن الناقة المقيمة في المرعى وعدن بلد في اليمن.

٢. الأسئلة التمهيدية

س١. لخص التوجيهات الربانية من الله عز وجل لرسوله؟

س٢. لماذا قال تعالى: (واصبر نفسك) ولم يقل قلبك؟

س٣. غالبا ما يقترن ذكر النار بالجنة فلم؟ وما صلة ذلك بمطلع السورة وقصة أصحاب الكهف؟

٤- قارن بين أهل النار وأهل الجنة حسب الجدول:

	أهل النار	أهل الجنة
المكان	النار	جنات عدن
الحالة النفسية	يستغيثون	متكئون

الماء	كالمهل	
اللباس		
الحلي		
المدح		

٥. بم توحي لفظة متكئين؟

س٦. ما المقصود بالصالحات؟

س٧. المقصود بالمدح والمقصود بالذم واحد فماهو؟

س٨. كيف تحسن عملك؟

س٩. في الآية ٢٥ طباق اذكره وبين الغرض منه؟

س١٠. هات فعلين مبنيان للمجهول وبين لم؟

س١١. صف حال أهل الجنة؟

س١٢. صف نعيم المؤمنين في الجنة من حيث المكان واللباس والحلي والجلوس؟

س١٣. هات من الآيات مقابلة بين الإستواء والإتكاء؟

س١٣. ما الحكمة في قوله تعالى (واصبر نفسك) ولم يقل واصبر قلبك؟

٣. التفسير

٢٨. ((**وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً**))

الآية تفسيرها مقتبس من تفسير القرطبي

قوله تعالى: { وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ } هذا مثل قوله { وَلاَ تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ } في سورة «الأنعام» وقد مضى الكلام فيه. وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه: جاءت المؤلّفة قلوبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم:

عيينة بن حِصْن والأقرع بن حابس فقالوا: يا رسول الله؛ إنك لو جلست في صدر المجلس ونحيّت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم ـ يعنون سلمان وأبا ذرّ وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جباب الصوف لم يكن عليهم غيرها ـ جلسنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك، فأنزل الله تعالى: { وَٱتْلُ مَآ أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ } حتى بلغ ـ { إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا }. يتهددهم بالنار. فقام النبيّ صلى الله عليه وسلم يلتمسهم حتى إذا أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله قال: " الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي، معكم المحيا ومعكم الممات " { يُرِيدُونَ وَجْهَهُ } أي طاعته. وقرأ نصر بن عاصم ومالك بن دينار وأبو عبد الرحمن «ولا تطرد الذين يدعون ربّهم بالغدوة والعشيّ» وحجتهم أنها في السواد بالواو. وقال أبو جعفر النحاس: وهذا لا يلزم لكتبهم الحياة والصلاة بالواو، ولا تكاد العرب تقول الغدوة لأنها معروفة. وروي عن الحسن «ولا تعدّ عينيك عنهم» أي لا تتجاوز عيناك إلى غيرهم من أبناء الدنيا طلباً لزينتها؛ حكاه اليزيدي. وقيل: لا تحتقرهم عيناك؛ كما يقال فلان تنبو عنه العين؛ أي مستحقراً.

{ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا } أي تتزيّن بمجالسة هؤلاء الرؤساء الذين اقترحوا إبعاد الفقراء من مجلسك؛ ولم يرد النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يفعل ذلك، ولكنّ الله نهاه عن أن يفعله، وليس هذا بأكثر من قوله:{ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ } [الزمر: ٦٥]. وإن كان الله أعاذه من الشرك. و«تريد» فعل مضارع في موضع الحال؛ أي لا تعد عيناك مريداً؛ كقول امرىء القيس:

فقلتُ له لا تبْكِ عَيْنُك إنما نحاول مُلْكا أو نموتَ فنُعْذَرَا

قوله تعالى: { وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا } روى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى: { وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا } قال: نزلت في أميّة بن خلف الجُمَحِيّ، وذلك أنه دعا النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى أمر كرهه من تجرّد الفقراء عنه وتقريب صناديد أهل مكة؛ فأنزل الله تعالى: «ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا» يعني من ختمنا على قلبه عن التوحيد. { وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ } يعني الشرك. { وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً } قيل هو من التفريط الذي هو التقصير وتقديم العجز بترك الإيمان. وقيل: من الإفراط ومجاوزة الحدّ، وكان القوم قالوا: نحن أشراف مُضَرَ إن أسلمنا أسلم الناس؛ وكان هذا من التكبر والإفراط في القول.

٢٩. ((وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقاً))

قل يا محمد للناس هذا القرآن هو الحق، وما فيه من قصص أهل الكهف وغيرها قد جئتكم به من عند ربكم الذي رباكم على نعمه وهو حق لا ريب فيه ،(فمن شاء فليؤمن) أي أن كفرهم وايمانهم موكول إلى أنفسهم، وهذا تهديد ووعيد لمن أراد أن يسلك طريق الكفر، فقد أعد الله

له ورصد لأولئك الظالمين الكافرين ناراً أحاط بهم (سرادقها) أي سورها. قال صلى الله عليه وسلم:(لسرادق النار أربعة جدر كثافة كل جدار مسافة أربعين سنة) أخرجه الترمزي في صفة أهل النار.

(وإن يستغيثوا ... كالمهل) والمهل ماء غليظ مثل دردري الزيت، وقال مجاهد هو كالدم والقيح. والمهل يجمع كل الصفات الرديئة فهو أسود نتن غليظ حار (يشوي الوجوه) من شدة حره ،فإذا أراد الكافر شربه شوي وجهه وسقطت جلدة وجهه فيه. قال تعالى :(و يسقى من ماء صديد يتجرعه....).(بئس الشراب) أي بئس هذا الشراب وهو ذم لهذا الشراب النتن (وساءت مرتفقا) أي ساءت النار منزلاً ومقيلا.

٣٠. ((إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً)) +

٣١. ((أُوْلَـئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى ٱلأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً))

إن حرف توكيد ونصب، والذين اسم موصول يوصل إلى الذين آمنوا كرامة لهم ورفعة لدرجتهم وقلما يأتي ذكر الكافرين وما أعد الله لهم من جحيم إلا ويأتي ما أعد الله للمؤمنين من نعيم ورضوان.

فقلما يأتي الإيمان إلا ومقروناً بالعمل الصالح، وهو ما كان مخلصاً لله وما كان الله ليضيع أجر المحسنين، كما ذكرالله المؤمنين وما لهم من جنان دائمة خالدة غير ممنوعة، وأفضل الجنات ماكانت عامرة بالأنهار، لذا وصف الله هنا أهل الجنة بأنهم المؤمنون العاملون للصالحات، كما وصف مكان إقامتهم في جنات عدن أي دائمة، ثم وصف هذه الجنات بأنها ذات أنهار، كما وصف لباسهم وحليهم، فالألبسة خضراء اللون وخص اللباس باللون الأخضر لأنه أمتع للبصر، وهي من سندس رقيق ناعم، ومن استبرق وهو ما ثخن عن السندس، وقيل هو من الحريروهذا عن عكرمة وقال ابن بحر: الإستبرق المنسوج بالذهب (من تفسير القرطبي للآية). وقدم التحلي على اللباس لأنه أشهى وأمتع للنفس وأوقع في القلب وأحب وأغلى في القيمة، وفي العين أحلى.

إذن هناك تحلية وهناك لباس ستر، أما التحلية فبني الفعل فيها للمجهول دلالة على أن الله يحليهم، وقيل تحليهم الملائكة بأمر الله والله أعلم وحليتهم أساور ثلاث من فضة ومن ذهب ومن لؤلؤ، قال تعالى:(يحلون فيها من أساور من ذهب، الحج ٢٣) وقال جل من قائل (وحلوا أساورمن فضة)، سورة الإنسان. فاللهم حلنا جميعاً بحلية أهل الجنة.

وهكذا يلبس أهل الجنة أفخر الثياب، ويحلون بأجمل الحلي، وكأنهم الملوك، بل هم أعظم من ملوك الدنيا بكثير، إذ هم ناعموالثياب جميلو الحلي مطمئنون مرتاحون على الأرائك أي على السرر من ذهب مكللة بالجواهر وفي غاية الراحة والهناء. قال المفسرون لما كانت الملوك تلبس في الدنيا الأساور والتيجان جعل الله ذلك لأهل الجنة.

روى النسائيّ " عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله، أخبرنا عن ثياب الجنة، أَخَلْقٌ يُخلَق أم نسيج ينسج؟ فضحك بعض القوم. فقال لهم: «ممّ تضحكون من جاهل يسأل عالماً» فجلس يسيراً أو قليلاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أين السائل عن ثياب الجنة؟ فقال: ها هو ذا يا رسول الله؛ قال لا بل تشّقق عنها ثمر الجنة " قالها ثلاثاً. وقال أبو هريرة: دار المؤمن درّة مجوّفة في وسطها شجرة تنبت الحُلَل ويأخذ بأصبعه أو قال بأصبعيه سبعين حُلّة منظمة بالدرّ والمَرْجان. ذكره يحيى بن سلام في تفسيره وابن المبارك في رقائقه. وقد ذكرنا إسناده في كتاب التذكرة. وذُكر في الحديث أنه يكون على كل واحد منهم الحلة لها وجهان لكل وجه لون، يتكلمان بصوت يستحسنه سامعه، يقول أحد الوجهين للآخر: أنا أكرم على وَلِيّ الله منك، أنا ألِي جسده وأنت لا تلِي. ويقول الآخر: أنا أكرم على ولِيّ الله منك، أنا أبصر وجهه وأنت لا تبصر.

قوله تعالى: { مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى ٱلأَرَآئِكِ } «الأرائك» جمع أَرِيكة، وهي السرر في الحجال. وقيل الفرش في الحِجال؛ قاله الزجاج. ابن عباس: هي الأسرّة من ذهب، وهي مكلّلة بالدُّر والياقوت عليها الحِجال، الأريكة ما بين صنعاء إلى أيْلة وما بين عدن إلى الجابية. وأصل متكئين مُوْتَكئين، وكذلك أتكأ أصله أوتكأ، وأصل التُّكَأة وُكَأة؛ ومنه التوكّأ للتحامل على الشيء، فقلبت الواو تاء وأدغمت. ورجل وُكَأة كثير الاتّكاء. { نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً } يعني الجنات، عكس «وساءت مرتفقا». وقد تقدّم. ولو كان «نِعْمَتْ» لجاز لأنه ٱسم للجنة. وعلى هذا «وحسنت مرتفقا». وروى البَرَاء بن عازِب: أن أعرابيًّا قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، والنبيّ صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العَضْباء فقال: إني رجل مسلم فأخبرني عن هذه الآية { إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ } الآية؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما أنت منهم ببعيد ولا هم ببعيد منك هم هؤلاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ فأعْلِم قومك أن هذه الآية نزلت فيهم " ذكره الماورديّ.

(نعم الثواب): أي ما أحسن ذلك الثواب الذي وعدوا به، (وحسنت مرتفقا) أي حسنت الجنات أو الأرائك متكئا.

وبعد وصف حال أهل النار تحذيراً وتهديداً ووعيداً، وصف حال أهل الجنة ثواباً ورفقاً ورحمة ،ثم ضرب القرآن مثلاً لتلك الحالتين بحالة الرجلين (واضرب لهم مثلا رجلين ..)

٤. الأسئلة التقويمية:

س١. هناك أمران ونهيان في آية واحدة، أوضحهما؟

س٢. من المقصود بقوله تعالى: (من أغفلنا قلبه)؟

س٣. بم توحي لفظة أعتدنا؟

س٤. في الآيات مقابلة أوضحها؟ ثم بين الغرض البلاغي منها؟

ج٤. توحي بالسرعة والتهيؤ والأخذ السريع إلى النار المعدة لاستقبالهم

س٥. في الآيات مقابلة أوضحها؟ ثم بين الغرض البلاغي منها؟

س٦. المقصود بالمدح والمقصود بالذم واحد فماهو؟

س٧. لا إكراه في الدين أشر إلى الآية التي توافقها؟

س٨. لم خصت الغداة والعشي دون الليل في الدعاء؟

ج٨. المؤمنون الفقراء يدعون ربهم رغبة ورهبة ويؤدون صلواتهم كما يستفتحون صباحهم بالدعاء رغبة بالتوفيق ومساءهم بالدعاء رغبة بالغفران وخص النهار بذلك دون الليل لأنه إذا كان عمل النهار خالصاً لوجهه (يريدون وجهه). فمن باب أولى أن يكون عمل الليل خالصاً له سبحانه (مقتبس من تفسير النكت والعيون للماوردي في شرح آية (واصبر نفسك).

س٩. اجتمعت في آية أنواع الأفعال الثلاثة، أوضح ذلك مع الأمثلة؟

س١٠. ثمة أمر ونهيان حددهما من الآية ٢٨ ثم اعربهما؟

س١١. بم توحي لفظة (يغاثوا)؟

ج١١. بالتهكم والسخرية والمشاكلة فقط

س١٢. لم أسند فعل اللبس إلى أهل الجنة بينما بنى فعل التحلي للمجهول؟

ج١٢. لأنهم يمارسون لبسهم بأنفسهم أما التحلي فهو من فضل الله وإكراماً لهم؛ لأن المبالغة في الإكرام تكون بوجود من يحلي، وهو الذي يلبسهم.

٥. ملحق

١. وإن يستغيثوا يغاثوا: شاكل استغاثتهم بطلب الماء بغوثهم بالمهل وذلك على سبيل التهكم بهم.

٢. واصبر نفسك

٣. ولا تطع من أغفلنا قلبه

٤. أجر من أحسن عملا

{ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ } ولم يقل: " قلبك " لأن قلبه كان مع الحقّ، فأمره بصحته جَهْرَاً بجهر، واستخلص قلبه لنفسه سِرَّاً بِسرّ. ويقال { يُرِيدُونَ وَجْهَهُ }: معناها مريدين وجهه أي في معنى الحال، وذلك يشير إلى دوام دُعائِهم ربهم بالغداة والعشيّ وكون الإرادة على الدوام. ويقال: { يُرِيدُونَ وَجْهَهُ }: فآويناهم في دنياهم بعظائمنا، وفي عقباهم بكرائمنا. ويقال: { يُرِيدُونَ وَجْهَهُ }: فكشف قناعَهم، وأظهر صفَتهم، وشَهَرَهم بعدما كان قد سَتَرَهم، وأنشدوا: هتكنا لك الستار وكشفنا لكَ القناعَ وقلنا نعم.

ويقال لما زالت التُّهمُ سَلِمَتْ لهم هذه الإرادة، وتحرروا عن إرادةِ كلِّ مخلوقٍ وعن محبةِ كل مخلوق.

ويقال لمَّا تقاصَرَ لسانُهمِ عن سؤال هذه الجملة مراعاةً منهم لهيبة الرسول صلى الله عليه وسلم، وحُرْمَةِ باب الحقّ - سبحانه - أمَرَه بقوله: { وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ } وبقوله:{ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا }.أي لا ترفع بصَرَك عنهم، ولا تُقلِعْ عنهم نظرك.

ويقال لما نظروا بقلوبِهم إلى الله أَمَرَ رسولَه - عليه السلام - بألا يرفعَ بَصَرَه عنهم، وهذا جزاء في العاجل.

والإشارة فيه كأنه قال: جعلنا نظرك اليوم إليهم ذريعةً لهم إلينا، وخَلَفَاً عما يفوتهم اليوم من نظرهم إلينا، فلا تَقْطَعْ اليومَ عنهم نَظَرَكَ فإنا لا نمنع غداً نظرهم عنَّا.

قوله جلّ ذكره: { وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً }.

هم الذين سألوه - صلى الله عليه وسلم - أن يُخْلِيَ لهم مجلسَه من الفقراء، وأن يطردهَم يوم حضورهم من مجلسه - صلى الله عليه وسلم وعلى آله.

ومعنى قوله: { أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا }: أي شغلناهم بما لا يعنيهم. ويقال: { أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا } أي شغلناهم حتى اشتغلوا بالنعمة عن شهود المِنْعِم. ويقال هم الذين طوَّح قلوبَهم في

التفرقة، فهم في الخواطر الرَّدِيّة مُثْبَتُون، وعن شهود مولاهم محجوبون.

ويقال أغفلنا عن ذكرنا الذين ابْتُلُوا بنسيان الحقيقة لا يتأسَّفُون على ما مُنُوا به ولا على ما فَاتَهُم. ويقال الغفلةُ تزجيةُ الوقتِ في غيرِ قضاءِ فَرْضٍ أو أداء نَفْلٍ. قوله جلّ ذكره: { وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ }.قُلْ يا محمد: ما يأتيكم من ربِّكم فهو حقٌّ، وقوله صِدْقٌ { فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ }.. هذا غاية التهديد، أي إنْ آمنتم ففوائدُ إيمانكم عليكم مقصورة، وإنْ أَبَيْتُم فَعذَابُ الجحود موقوفٌ عليكم، والحقُّ - سبحانه - عزيز لا يعود إليه بإيمان الكافة -إذا وَحَّدُوا - زَيْنٌ، ولا مِنْ كُفْرِ الجميع - إنْ جحدوا - شَيْنٌ.

قوله جلّ ذكره: { إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقاً } العقوبة الكبرى لهم أن يشغلهم بالألم حتى لا يتفرغوا عنه إلى الحسرة على ما فاتهم من الحقِّ، ولو علموا ذلك لَعَلَّه كان يرحمهم. والحقُّ - سبحانه - أكرم من أن يعذبَ أحداً يُتَّهَمُ لأَجْلِه.

ويقال لو علموا مَنْ الذي يقول: { وَسَآءَتْ مُرْتَفَقاً } لعلَه كان لهم تَسَلَ ساعةً، ولكنهم لا يعرفون قَدْرَ مَنْ يقول هذا، وإلا فهذا شِبْهُ مرتبةٍ لهم، والعبارة عن هذا تدق.

أهلُ الجنة طابتْ لهم حدائقُها، وأهلُ النار أَحَاط بهم سُرادِقُها.

والحقُّ - سبحانه - مُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ يعودَ إليه من تعذيبِ هؤلاء عائدة ولا من تنعيم هؤلاء فائدةٌ... جَلَّتْ الأحديةُ، وتَقَدَّسَتْ الصمدية!

ومَنْ وقَعَتْ عليه غَبَرَةٌ في طريقنا لم تَقَعَ عليه قَتَرَةُ فراقنا، ومَنْ خطا خطوةً إلينا وَجَدَ حظوةً لدينا، ومَنْ نَقَلَ قَدَمَه نحونا غفرنا له ما قَدَّمَه، ومَنْ رَفَعَ إلينا يَداً أَجْزَلْنا له رَغَداً، ومَنْ التجأ إلى سُدَّةِ كَرَمِنا آويناه في ظِلِّ نِعَمِنا، ومن شكا فينا غليلاً مَهَّدْنا له - في دار فضلنا - مقيلاً.

{ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً }: العملُ أحسنُه ما كان مضبوطاً بشرائط الإخلاص. ويقال: { مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً } بأن غاب عن رؤية إحسانه، ويقال مَنْ جَرَّدّ قَصْدَه عن كلِّ حظٍّ ونصيب.

ويقال الإحسان في العمل ألا ترى قضاء حاجتك إلا في فَضلِه،إذا أخلصتَ في تَوسِلكَ إليه بفضله، وتوصُّلِكَ إلى ما مَوَّلَكَ من طَوْلِهِ بِتَبرّيكَ عن حَوْلِكَ وقُوَّتِك استوجبتَ حُسْنَ إقباله، وجزيل نواله.

قوله { أُوْلَـٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلأَنْهَارُ } أولئك هم أصحابُ الجنان، في رَغَدِ العيش وسعادة الجَد وكمال الرِّفد، يلبسون حُلَلَ الوُصلة، ويُتَوَّجُون بتاج القرُبة، ويُحْمَلون على المباسط، ويَتَّكِئون على الأرائك، ويشمون رياحينَ الأُنس، ويقيمون في مجال

الزُّلفة، ويُسْقَوْنَ شرابَ المحبة، ويأخَذُون بِيَدِ الزلفة ما يتحفهم الحقُّ به من غير واسطة، ويسقيهم شراباً طهوراً يُطَهِّر قلوبَهم عن محبة كلِّ مخلوقٍ.

{ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً } : نِعْم الثوابُ ثوابُهم، ونعم الربُّ ربُّهم، ونعم الدارُ دارُهم، ونعم الجارُ جارُهم، ونعم الحالُ حالُهم. آثرت هذه الإضافة للتفسير حتى يطلع السيد القارئ أو القارئة على لون من ألوان التفسير وهو لطائف الإشارات للإمام القشيري.

٥. نظروا إلى الله بقلوبهم ؛فأمر الله رسوله بأن لايرفع بصرهم عنهم ،وأن يوليهم من عنايته ومحبته ورعايتهم ما هم أهل له ،بناء على توصية الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ،وهذا ثوابهم في الدنيا حتى يلقوه جل وعلا بـ (وجوه يومئذ ناضرة لربها ناظرة)

٦.ماذا نأخذ من الآيات لواقعنا المعاصر

١. (واصبر): إن من يؤسس لقيادة أمة أو النهوض بمجتمع، لا بد له من أن يتسم بالصبر الذي هو مفتاح الفرج ومفتاح كل مستغلق، به تطيب النفوس وبه تنكشف الحقائق، فلا مجال للرعونة أو النزق أو الإنفعالات الآنية وردود الأفعال غير الحكيمة وقديما قال الشاعر:

إن الامور إذا انسدت مسالكها	فالصبريفتح منها كل ما ارتججا
أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته	ومدمن القرع للأبواب أن يلجا
لا تيأسن وإن طالت مطالبة	إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

والصبر أنواع: صبر على الطاعة وصبر عن المعصية وصبر على المكاره وأسماها الصبر الجميل.

إن النفس لتعشق الجمال وترنو إلى الأخذ بمتع الحياة من مال ونساء وولدان ونعيم، وإنها لتهفوإلى الثراء وأهله وتنفر من الفقر والجدب وأهله. رغم أن نفوس الأنبياء التي صقلتها رعاية الله وعمها نوره لتؤمر من قبل العزيز بالصبر مع الذين رهنوا حياتهم لله مرضاته وإن كانوا فقراء وضعفاء (وإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم)، فلا يجوز للقيادة أن تصرف نفسها للتطلع إلى إيمان الكبار وإلى ما أ وتوا من زينة الحياة الدنيا إذا كان ذلك على حساب صلتها بالأتقياء الأبرياء الأنقياء وإن الخير في الصبر معهم في حبهم في مجالستهم في رعايتهم في الإحسان إليهم، فالقائد يجب أن يكون محباً وواثقاً بجنده وأن لا ينصرف عنهم إلى من يصرفهم عنهم مهما أوتي من متاع الحياة الدنيا وهذا من نجاح القيادة. لذا لا نعجب من تتالي الأوامر الإلهية للتأكيد على أهمية الصبر مع المؤمنين يتصدرها فعل الأمر (واصبر) ثم يليه

النهي الجازم (ولا تعد) ثم يأتي النهي الجازم والأخير عن الصارف الذي يمكن أن يصرف المؤمن عن جماعة المؤمنين لقوله تعالى (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) ثم يأتي الإلتزام بالحق (وقل الحق من ربك).

١. (فمن شاء): على الداعي أن يدعو إلى الله على بصيرة وأن يراوح بين الإنذار والتبشير، وأن يعتمد المبدأ الإسلامي الرائع (لا اكراه في الدين) وأن لا يتواني عن استخدام الأدلة والبراهين والتشخيص والتصوير دعماً للفكرة وحثاً على اتباع النهج الصالح والطريق السليم الموصل إلى سعادة الدارين.
٢. إن الصورة الجميلة لتبعث على الإستبشار، وتثير في القلب أجواء السعادة وتبهج النفس وتحث الخطا نحوها ليمعن الإنسان في استجلاء مظاهر جمالها لتنقل العيون ما تهفو إليه القلوب، ولذا جاء وصف الجنان بهذا الوصف الرباني ليدفع الإنسان إلى تنسم روائحها واستحضار ملذاتها وكأنه يعيشها اللحظة لما في الرسم القرآني من بديع التصوير وعميق التأثير فيتحرك الإنسان ليسأل عن كيفية الوصول إليها.
٣. (تريد زينة الحياة الدنيا): اليوم تطلّع كثير من علماء الأمة إلى زينة الحياة الدنيا، وإلى ما في قصور السلاطين من نعيم وما بأيديهم من ثروات وطاقات وقدرات، فوقفوا على أبواب الملوك يستجدون الفتات من الحياة الدنيا كتعلية منصب أو زيادة في علاوة مادية أو ضمان الإستمرار في الخدمة، ولم يجدهم الوقوف على أبواب السلاطين دون أن تلهج ألسنتهم بالثناء عليهم إلا أن ذلك ما كان يكفي للولوج إلى ساحات زينة الحياة الدنيا لذا زين بعض العلماء للسلطان الباطل وأفتوا ففتنوا الناس عن دينهم وساهموا في الظلم، بل ومارسوا بأيديهم وفتاويهم حتى غدا عامة الناس لا يثقون ببعض العلماء الذين غدوا مضرب الأمثال وقدوة لجحافل المنافقين المطبلين المزمرين للطغاه وسفاكي دماء الشعوب ومهدري كرامتهم.
٤. إن من سمات القائد أن يكون تقياً ورعاً وأن لايشبع حتى تشبع الأمة. قال عمر بن الخطاب مخاطباً معدته التي غدت تقرقر من شدة الجوع "قرقري ما تقرقرين لن تذوقي اللحم حتى تشبعه أمة محمد". و كان يوسف عليه السلام و هو عزيز مصر لا يأكل إلا وجبة واحدة رغم أنه كان على خزائن الأرض فقيل له: "لم تجوع هكذاوأنت على خزائن الأرض؟" قال: "حتى لا أنسى الجياع". كما على القائد أن يتلقى الخطر أولا و أن يفدي بنفسه أمته و هكذا كان رسول الله صلى الله عليه و سلم كان إذا سمع هيعة طار إليها قبل الناس و كان إذا حمي الوطيس و احمرت الحدق برز إلى مقدمة الجيش و أثبت نفسه قائلاً: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب كما قال الإمام علي كلام الله وجهه: كنا إذا احمرت الحدق و حمي الوطيس و فر الأبطال لذنا برسول الله صلى الله عليه و سلم.

المقطع الرابع: الآيات ٣٢-٤٦

الموضوع: شتان بين المعتز بالله و المعتز بزينة الحياة الدنيا،ومآل كل منهما.

{ وَٱضْرِبْ لهُمْ مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً } * { كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَراً } * { وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً } * { وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِ أَبَداً } * { وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنْقَلَباً }{ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً } * { لَّكِنَّاْ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً } * { وَلَوْلآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَاْ أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً } * { فعسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً } * { أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً } * { وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَآ أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً } * { وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً } * { هُنَالِكَ ٱلْوَلاَيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ ٱلأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ ٱلرِّيَاحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً } * { ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَاقِيَاتُ ٱلصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً }

١. شرح المفردات:

اضرب: صَيِّرْ.
حففناهما: أحطناهما من جميع الجوانب.

آتت أكلها:أثمرت في غاية الجودة
لم تظلم: لم تنقص من ثمارها.
يحاوره: يراجعه الكلام و المحاورة المجاوبة.
نفراً: رهطاً و هو أقل من عشرة و المقصود به الخدم و الولد و قيل هو العشيرة الذين يدافعون عن الرجل و ينفرون معه.
تبيد: تهلك.
يقلب كفيه: كناية عن الندم.
منقلباً: مرجعاً و عاقبة.
حسبانا- قال ابن قتيبة: هو رمي من السماء مثل الصاعقة ،و قيل هو نار أو عذاباً أو ما يحاسب عليه فيجازي بحسبه.
صعيداً: أرض جرداء ملساء.
سواك: خلقك و صيَّرَكَ.
لكنا: أصلها لكن أنا.
أكفرت: استفهام تقريري.
لولا: حرف تحضيض غرضه التوبيخ.
غورا: غاض و ذهب في الأرض.
أحيط: أي أحاط العذاب بثمره فأهلك كله.
خاوية على عروشها: سقطت السقوف و الجدران و قيل سقطت عروش الكرم ثم تلاها سقوط الجدران.
الولية: قال الزمخشري: الولاية السلطان الملك.
النطفة: في الأصل القطرة من الماء الصافي و في الحديث (...فخرج و رأسه يقطر ...) و أطلق على المني نطفة تشبيهاً بذلك.
عقبا: أي في الآخرة أي خير عاقبة.

٢. <u>الأسئلة التمهيدية:</u>

س١. لخص الحوار الذي دار بين الرحلين.
س٢. أيهما كان أقوى صحة؟
س٣. بم نصح الرجل الصالح الرجل الآخر؟
س٤. حسد الغني نفسه أوضح ذلك.
س٥. من اعتز بغير الله ذل. أوضح ذلك على ضوء الآيات.
س٦. لا قوة للمرء إلا بالله. ما صلة الآية لا قوة إلا بالله بقصة الرجلين؟

٣. التفسير

٣٢. ((وَٱضْرِبْ لهُمْ مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً))

أي اضرب مثلا لفريق المؤمنين و فريق الكافرين برجلين أحدهما كافر يتقلب في نعيم الدنيا و الآخر مؤمن أنفق ماله في طاعة الله و يكابد الفقر، اضرب مثلا لهؤلاء بهذين الرجلين و كيف انتهيا في الدنيا و الآخرة.

لقد اختلف في اسم الرجلين فقال الكلبي: نزلت في أخوين من أهل مكة أحدهما مؤمن و هو أبو سلمة و الآخر أخوه و اسمه الأسود ابن عبد الأسد و هما المذكوران في سورة الصافات. و قيل نزلت في الرسول صلى الله عليه وسلم و أهل مكة. و قيل هي مثل لجميع المؤمنين و جميع الكافرين كما قيل هما شريكان اقتسما هذا المال و قدره ثمانية آلاف دينار.

وقيل: ورِثاه من أبيهما وكانا أخوين فٱقتسماها، فٱشترى أحدهما أرضا بألف دينار، فقال صاحبه: اللهم إن فلاناً قد اشترى أرضا بألف دينار وإني ٱشتريت منك أرضا في الجنة بألف دينار فتصدقَ بها، ثم إن صاحبه بنى داراً بألف دينار فقال: اللهم إن فلاناً بنى داراً بألف دينار وإني أشتري منك داراً في الجنة بألف دينار، فتصدَّق بألف دينار، ثم تزوج امرأة فأنفق عليها ألف دينار، فقال: اللهم إن فلاناً تزوج ٱمرأة بألف دينار وإني أخطب إليك من نساء الجنة بألف دينار، فتصدَّق بألف دينار. ثم اشترى خدماً ومتاعاً بألف دينار، وإني أشتري منك خَدَماً ومتاعاً من الجنة بألف دينار، فتصدَّق بألف دينار. ثم أصابته حاجة شديدة فقال: لعلّ صاحبي ينالُنِي معروفه فأتاه فقال: ما فعل مالُك؟ فأخبره قصته فقال: وإنك لمن المصدّقين بهذا الحديث! والله لا أعطيك شيئا ثم قال له: أنت تعبد إلٰه السماء، وأنا لا أعبد إلا صنماً؛ فقال صاحبه: والله لأعظَنّه، فوعظه وذكّره وخوّفه. فقال: سِرْ بنا نصطد السمك، فمن صاد أكثر فهو على حق؛ فقال له: يا أخي! إن الدنيا أحقر عند الله من أن يجعلها ثواباً لمحسن أو عقاباً لكافر. قال: فأكرهه على الخروج معه، فٱبتلاهما الله، فجعل الكافرُ يرمي شبكته ويسمِّي بٱسم صنمه، فتطلع متدفّقة سمكاً. وجعل المؤمن يرمي شبكته ويسمي باسم الله فلا يطلُع له فيها شيء؛ فقال له: كيف ترىٰ أنا أكثر منك في الدنيا نصيباً ومنزلة ونَفَراً، كذلك أكون أفضلَ منك في الآخرة إن كان ما تقول بزعمك حقًّا. قال: فضَجّ المَلَك الموَكَّل بهما، فأمر الله تعالى جبريلَ أن يأخذه فيذهب به إلى الجِنان فيريَه منازل المؤمن فيها، فلما رأى ما أعد الله له قال: وعزّتك لا يضرّه ما ناله من الدنيا بعد ما يكون مصيره إلى هذا؛ وأراه منازل الكافر في جهنم فقال: وعزّتك لا ينفعه ما أصابه من الدنيا بعد أن يكون مصيره إلى هذا. ثم إن الله تعالى تَوفّى المؤمن وأهلك الكافر بعذاب من عنده، فلما استقر المؤمن في

الجنة ورأى ما أعد الله له أقبل هو وأصحابه يتساءلون، فقال:
{ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ يقول أئنّك لمِن المصَدِّقين } [الصافات: ٥١-٥٢] » الآية؛ فنادى منادٍ: يأهل الجنة! هل أنتم مطَّلِعون فأطلع إلى جهنم فرآه في سواء الجحيم؛ فنزلت { وَٱضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلاً }.
بيّن الله تعالى حال الأخوين في الدنيا في هذه السورة، وبين حالهما في الآخرة في سورة «الصافات» في قوله «إني كان لي قرين. يقول أئنك لمِن المصدقِين ـ إلى قوله ـ لمثل هذا فليعمل العاملون». قال ابن عطية: وذكر إبراهيم بن القاسم الكاتب في كتابه في عجائب البلاد أن بحيرة تِنّيس كانت هاتين الجنتين، وكانتا لأخوين فباع أحدهما نصيبه من الآخر فأنفق في طاعة الله حتى عيّره الآخر، وجرت بينهما المحاورة فغرقها الله تعالى في ليلة، وإياها عنى بهذه الآية. (المصدر من تفسير القرطبي للآية من النت ص٢)

و قيل إن هذا مثل ضربه الله لهذه الأمة و ترغب في الآخرة و القصة أن الله جعل للكافر جنتين محفوفتين من أطرافهما بنخل محيط بالأعناب و وسط الأعناب الزرع و كلتا الجنتين أوفت بثمارهما و لم تظلم منه شيئا أي لم تنقص منه شيئا و جاء في ظلال القرآن للسيد في قصة الجنتين قوله: (ثم تجيء قصة الرجلين والجنتين تضرب مثلاً للقيم الزائلة والقيم الباقية، وترسم نموذجين واضحين للنفس المعتزة بزينة الحياة، والنفس المعتزة بالله. وكلاهما نموذج إنساني لطائفة من الناس: صاحب الجنتين نموذج للرجل الثري، تذهله الثروة، وتبطره النعمة، فينسى القوة الكبرى التي تسيطر على أقدار الناس والحياة. ويحسب هذه النعمة خالدة لا تفنى، فلن تخذله القوة ولا الجاه. وصاحبه نموذج للرجل المؤمن المعتز بإيمانه، الذاكر لربه، يرى النعمة دليلاً على المنعم. موجبة لحمده وذكره، لا لجحود وكفره.
وتبدأ القصة بمشهد الجنتين في ازدهار وفخامة:

٣٢-٤٥. وَٱضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً } * { كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا يءنَهَراً } * { وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً } * { وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِ أَبَداً } * { وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنْقَلَباً) { قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً } * { لَّكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً }

وَلَوْلآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَاْ أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً } * { فعسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً } * { أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً }{ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَآ أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً }

فهما جنتان مثمرتان من الكروم، محفوفتان بسياج من النخيل، تتوسطهما الزروع، ويتفجر بينهما نهر.. إنه المنظر البهيج والحيوية الدافقة والمتاع والمال: { كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً }.. ويختار التعبير كلمة { تظلم } في معنى تنقص وتمنع، لتقابل بين الجنتين وصاحبهما الذي ظلم نفسه فبطر ولم يشكر، وازدهى وتكبر.

وها هو ذا صاحب الجنتين تمتلئ نفسه بهما، ويزدهيه النظر إليهما، فيحس بالزهو، وينتفش كالديك، ويختال كالطاووس، ويتعالى على صاحبه الفقير: **{ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً**، ثم يخطو بصاحبه إلى إحدى الجنتين، وملء نفسه البطر، وملء جنبه الغرور؛ وقد نسي الله، ونسي أن يشكره على ما أعطاه؛ وظن أن هذه الجنان المثمرة لن تبيد أبداً، أنكر قيام الساعة أصلاً، وهبها قامت فسيجد هنالك الرعاية والإيثار! أليس من أصحاب الجنان في الدنيا فلا بد أن يكون جنابه ملحوظاً في الآخرة!

إنه الغرور يخيل لذوي الجاه والسلطان والمتاع والثراء، أن القيم التي يعاملهم بها أهل هذه الدنيا الفانية تظل محفوظة لهم حتى في الملأ الأعلى! فما داموا يستطيلون على أهل هذه الأرض فلا بد أن يكون لهم عند السماء مكان ملحوظ!

فأما صاحبه الذي لا مال له ولا نفر، ولا جنة عنده ولا ثمر.. فإنه معتز بما هو أبقى وأعلى. معتز بعقيدته وإيمانه. معتز بالله الذي تعنو له الجباه؛ فهو يجبه صاحبه المتبطر المغرور منكراً عليه بطره وكبره، يذكره بمنشئه المهين من ماء وطين، ويوجهه إلى الأدب الواجب في حق المنعم. وينذره عاقبة البطر والكبر. ويرجو عند ربه ما هو خير من الجنة والثمار. وهكذا تنتفض عزة الإيمان في النفس المؤمنة، فلا تبالي المال والنفر، ولا تداري الغنى والبطر، ولا تتلعثم في الحق، ولا تجامل فيه الأصحاب. وهكذا يستشعر المؤمن أنه عزيز أمام الجاه والمال. وأن ما عند الله خير من أعراض الحياة، وأن فضل الله عظيم وهو يطمع في فضل الله. وأن نقمة الله جبارة وأنها وشيكة أن تصيب الغافلين المتبطرين.

وفجأة ينقلنا السياق من مشهد النماء والإزدهار إلى مشهد الدمار والبوار. ومن هيئة البطر، والاستكبار إلى هيئة الندم والاستغفار. فلقد كان ما توقعه الرجل المؤمن: وهو مشهد شاخص كامل: الثمر كله مدمر كأنما أخذ من كل جانب فلم يسلم منه شيء. والجنة خاوية على عروشها مهشمة محطمة،وصاحبها يقلب كفيه أسفاً وحزناً على ماله الضائع وجهده الذاهب. وهو نادم على إشراكه بالله، يعترف الآن بربوبيته ووحدانيته. ومع أنه لم يصرح بكلمة الشرك، إلا أن اعتزازه بقيمة أخرى أرضية غير قيمة الإيمان كان شركاً ينكره الآن، ويندم عليه ويستعيذ منه بعد فوات الأوان.

هنا يتفرد الله بالولاية والقدرة: فلا قوة إلا قوته، ولا نصر إلا نصره. وثوابه هو خير الثواب،

وما يبقى عنده للمرء من خير فهو خير ما يتبقى.
ويسدل الستار على مشهد الجنة الخاوية على عروشها، وموقف صاحبها يقلب كفيه أسفاً وندماً وجلال الله يظلل الموقف، حيث تتوارى قدرة الإنسان..
وأمام هذا المشهد يضرب مثلاً للحياة الدنيا كلها. فإذا هي كتلك الجنة المضروبة مثلاً قصيرة قصيرة، لا بقاء لها ولا قرار:
٤٥. ((**وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ ٱلأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ ٱلرِّيَاحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً**))
هذا المشهد يعرض قصيراً خاطفاً ليلقي في النفس ظل الفناء والزوال. فالماء ينزل من السماء فلا يجري ولا يسيل ولكن يختلط به نبات الأرض. والنبات لا ينمو ولا ينضج، ولكنه يصبح هشيماً تذروه الرياح. وما بين ثلاث جمل قصار، ينتهي شريط الحياة.
ولقد استخدم النسق اللفظي في تقصير عرض المشاهد. بالتعقيب الذي تدل عليه الفاء:

{ كماء أنزلناه من السماء } فـ { اختلط به نبات الأرض } فـ { أصبح هشيماً تذروه الرياح } فما أقصرها حياة! وما أهونها حياة!

وبعد أن يلقي مشهد الحياة الذاهبة ظله في النفس يقرر السياق بميزان العقيدة قيم الحياة التي يتعبدها الناس في الأرض، والقيم الباقية التي تستحق الاهتمام.

يتتالى ضرب الله الأمثال للناس رحمة منه بنا جل و علا ،إذ يريد منا أن نبتعد عن التافه من الأمور، وأن نأخذ بما ينفعنا من الباقيات الصالحات، لذا جاءت قصة الرجلين مثلا للاعتبار و العظة إضافة لوجود الامتاع النفسي و من الحث على السلوك الواقعي الصحيح فعلى المرء أن يقيم سلوكه و يرتقي به إلى مستوى التبصر بالعواقب و العمل لما هو دائم و باق و هنا يأتي ملخصاً ما مضى من قصة أصحاب الكهف الذين عزفوا عن الدنيا و آثروا الآخرة بينما كان أهلهم يتقلبون في زينة الدنيا و نعيمها كما لخص هذا المثل قصة الرجلين الذي آثر أحدهما الآخرة عن الدنيا بينما اعتز الثاني بالمال و النفر فكانت عاقبته البوار. لقد شخصت الآيات لنا في عالم الإحساس و الشعور والواقع حياة أولئك الذين يريدون وجهه و ما ينتظرهم من نعيم و رضى أما أولئك الذين يغترون بما آتاهم الله من نعم فيتطاولون على عباد الله و يسترقونهم و يفرضون عليهم الوصاية في كل شيء حتى في معتقدهم كما حدث لفتية الكهف مع أهلهم الذين أرادوا قتل فتيتهم لأنهم ءامنوا و كما حدث مع المتكبرين من كفار مكة الذين كادوا لقتل الرسول صلى الله عليه وسلم فكانت نتيجتهم البوار. أما الذي دخل جنته و هو ظالم لنفسه فما نال من هذه الدنيا إلا الندم و الخسران و في الآخرة في سواء الجحيم ((فاطلع فرآه في سواء الجحيم)). وهكذا تبدو الحياة الدنيا كماء، فلم شبهت بالماء؟ و ما الغرض من ذلك و ما وجه الشبه؟

الحياة الدنيا مشبه و المشبه به هو الماء و أداة الشبه الكاف و في الماء حياة و نماء.،وطهر وبركة وصفاء ، وكذلك الحياة الدنيا إذا اتخذها المرؤ مطية للآخرة ومزرعة لها كان فيها الخير والبركة والنماء والعمران وأثمرت في الآخرة جنات ذات ظلال، كذلك إذا سخرت الدنيا للآخرة عاش الإنسان في هناء دنيا وأخرى، جاء في الحديث الشريف: يادنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه.

هذا الماء الذي ينزل من السماء مباركاً يختلط به نبات الأرض، فنبات الأرض هو الفاعل وهو الذي يتجه بمفرده نحو الماء وهذه نظرية حديثة في علم النبات، إذ تقوم الجذور بالتوجه نحوالماء فتختلط به وتقوم بعمل اصطفائي امتصاصي اعتماداً على فروق الضغط و ظاهرة الإدمصاص الإنتقائي، فالجذور تصطفي مما حولها من الأملاح والمواد العضوية والمعدنية ماينا سب الثمار التي ستتشكل على الأغصان، فما الذي يجعل البذور والجذور تدري بحاجة الأوراق والثمار؟، وما هي الرسائل المتبادلة بينهما؟! فسبحان الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى، وكما تتجه الجذور نحو الماء فإن الأغصان تشرئب بالدعاء نحو منزل ماء السماء. وهكذا فإن الجذور تأخذ من الماء بقدر وبحكمة بالغة لتعقدالثمار على الأغصان، وكذلك المؤمن يأخذ من الدنيا بقدر ما يسمو به نحو الآخرة. إن المؤمن لا يبحث عن الماء ،ولا يبحث عن الحياة الدنيا إلا ليزداد سمواً نحو رب السماء، فتشرئب أغصان المعرفة ،وتنضج ثمارا ليقين ويطيب جنيها في جنان النعيم، أما قوله تعالى (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء)، فالتشابه واضح بين الحياة الدنيا وماء السماء. والصورة البلاغية رائعة الجمال ووجه الشبه بينهما لايكاد يحصى وإليك بعضه فيما يلي:

المشبه: الحياة الدنيا، المشبه به: الماء، أما وجه الشبه فمتعدد.

الحياة الدنيا	الماء
الدنيا لا استقرار فيها	لا قرار له
الدنيا لمن يمسكها بلية	إن أمسكته تغير وأنتن
الدنيا تأتي شيئاً فشيئاً وتذهب كلياً	ينزل قطرة قطرة ويذهب دفعة واحدة
المال ستر لعيوب الناس	الماء ستر للأرض
طبعها النقصان	الماء طبعه النقصان
بعض الناس غني وبعضهم فقير	يكون في مكان كثيرا وفي آخر شحيحا
لا أحد يرد الرزق	لا أحد يرد المطر

الدنيا قليلها خير وكثيرها بلاء العبد يفسد بالمال الكثير	الماء قليله ري وكثيره داء الزرع يفسد بالماء الكثير
المال فيه حلال وحرام وشُبْهَةَ	وكذا الماء فيه صاف وفيه كدر

وهكذا نجد تطابق واضحاً ومتعدداً بين الحياة الدنيا والماء، ووجه الشبه متعدد ومتنوع، وما إن يختلط نبات الأرض بالماء اختلاطاً كاملاً يبدأ بالجذور ثم يليها الساق فالأوراق فالأزهار فالثمار، فلا ثمار بلا ماء كذا المال أساسي للحياة الدنيا ولكن بقدر، فإذا زادت المياه عن حدها غرقت الأشجار، وكذا المال إذا زاد عن حاجة المرء فإنه يطغى لأنه استغنى، فإذا اهتزت الأرض وربت وأخذت زينتها وأنبتت من كل زوج بهيج عصفت بها حرارة الشمس الملتهبة صيفاً، فغدا الربيع الفاتن هشيما تتلاعب به الرياح. فالآية هنا أغفلت وصف الربيع ومناظره الخلابة؛ لتدلنا على أن ساعات الدنيا قصيرة تكاد لا تذكر فليس الربيع بدائم، فلكل أجل كتاب وهكذا تبدوقدرة الله في الماء النازل من السماء، وفي الجذور التي تختلط به وتمتص ما يفيدها منه بآليه اصطفائية عجيبة ليكون الإختلاط بعد ذلك شاملا لكل النبات. إن الذي يقدر على ذلك قادر على تهشيم هذا الربيع وهو ذاته جل وعلى قادر على البعث والإحياء كما هو قادر على الإماته (وكان الله على كل شيء مقتدرا).

٤٦. . { ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَاقِيَاتُ ٱلصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً }

المال والبنون زينة الحياة؛ والإسلام لا ينهى عن المتاع بالزينة في حدود الطيبات. ولكنه يعطيهما القيمة التي تستحقها الزينة في ميزان الخلود ولا يزيد. إنهما زينة ولكنهما ليسا قيمة. وهكذا إن الدنيا هينة على الله فلم يجعلها عقابا للكافر و لا ثوابا للمؤمن .

وهكذا تعقب الآيات على مصير المغترين بالدنيا ؛لتؤكد بأن المال و البنون زينة الحياة الدنيا وليس حقيقتها، فحقيقة الحياة الدنيا أنها دار اختبار و عمل و امتحان و بلاء، و الآخرة دار جزاء، فالدنيا مزرعة الآخرة ومطية إليها.

المال والبنون زينة الحياة الدنيا؛ لما فيه من نفع وجمال وتجمل، والبنون كذلك لما فيهم من الدفع عن الإنسان والتقوي بهم. وكلاهما زينة وفتنة كما قال تعالى: (إنما أولادكم وأموالكم فتنة.

ولذا قيل: لا تعقد قلبك مع المال فهو ذاهب ولا مع النساء فإنهن اليوم معك وغدا عليك ... ولا مع السلطان لأنه اليوم لك وغداً لغيرك قال تعالى (إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم)

فالمال يطغي والأولاد فتنة فقد طغى صاحب الجنتين كما في السورة لكثرة ماله وعزة أنفاره، كذلك فإن الأولاد مجبنة مبخلة وقد يكونون سبب هلاك الوالدين إلا إذا حماهما الله، قال تعالى :(أما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفرا)، وهكذا شبه الله المال و البنون بزينة الحياة الدنيا إذ الزينة لا دوام لها و لا ثبات و هي إلى انقطاع و إلى أجل قال تعالى: (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) و قال جل من قائل ((زين للناس حب الشهوات)). كما جاء في الحديث الشريف الصحيح (الدنيا خضرة حلوة) فلابد للمؤمن أن يعمرها بتقوى الله و يحقق فيها معنى قوله تعالى (إني جاعل في الأرض خليفة).

فالاستخلاف يكون بالإعمار الخالص لوجه الله تعالى، وليس بالدمار و الإهمال، كما أنه ليس بجعل الدنيا مبلغ همنا وغاية حلمنا و شغلنا الشاغل مهملين ما أراده الله منا ،قال تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) لذا فإن (الباقيات الصالحات خير) فما هي الباقيات الصالحات؟ قال ابن عباس هي الصلوات الخمس و سئل سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه عنها فقال: هي لا إله إلا الله، و سبحان الله، و الحمدلله و الله أكبر و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم. رواه الإمام أحمد مقتبس من تفسير ابن كثير للآية جزء٣ ص ١١.

حدث أبو أيوب الأنصاري: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: عُرجَ بي إلى السماء، فأُريت إبراهيم عليه السلام، فقال: يا جبريل من هذا الذي معك؟ فقال: محمد، فرحب بي وسهل، ثم قال: مر أمتك فلتكثر من غراس الجنة، فإن تربتها طيبة، وأرضها واسعة، فقلت: وما غراس الجنة؟ فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله ". و قيل أنها تشمل العمل الصالح كله قولاً و فعلا و جاء في الحديث الشريف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ عوداً فخرطه حتى لا يُبْق به ورق ثم قال: إن المسلم إذا قال سبحان الله، و الحمدلله و لا إله إلا الله و الله أكبر تحاتت خطاياه ... فإنهن من كنوز الجنة. و قيل هن البنات الصالحات و هن خير لأبائهن كما جاء في الحديث الشريف: لقد رأيت رجلاً من أمتي أمر به إلى النار فتعلقت به بناته و قلن يا رب: إنه كان يحسن إلينا في الدنيا فرحمه الله بهنَّ. مقتبس من تفسير القرطبي للآية.

و كلمة (خير) ليس على باب المفاضلة و إنما هي على مبدأ (أصحاب الجنة) يومئذ خير مستقرا. فاسم التفضيل هنا لا يعني أن في مستقر الكفرة خير.و هكذا فإن الحياة الدنيا شبهت في الآيات مرة بالماء (مثل الحياة الدنيا كماء) في سرعة زوالها ،و ثانية شبهت بزينة.

٤٧. فما أقصر الحياة الدنيا و ما أشد فتنة زينتها ،لذا فإن الآيات تستمر في وعظنا عارضة بعض المشاهد التي تؤكد زوال الدنيا ،و أن المرجع إليه تعالى، قال تعالى (و يوم نسير الجبال ...)

الأسئلة التقويمية

س١. بم شبه الله تعالى الحياة الدنيا؟
س٢. ما وجه الشبه بين الحياة الدنيا و الماء؟ بإمكانك الإستعانة بما كتبه السيوطي في الكنز المدفون و الفلك المشحون ص١٢١ حول هذا السؤال.
س٣. بم شبه سرعة انقضاء الحياة الدنيا؟
س٤. ما صلة الآية ٤٩ بقصة الرجلين؟
س٥. ما المقصود بالباقيات الصالحات؟
س٦. ما الإيحاء الذي تولده كلمة (زينة) و كلمة (الدنيا)؟ قارن بين زينة الحياة و زينة الآخرة حسب ما مر معك من الآيات.

	زينة الحياة الدنيا	حقيقة الحياة الأخرى و نعيمها
المكان	الأرض بزينتها	الجنة
الزمان	الفصول الأربعة و الزمان محدود.	خالدين في النعيم أبدا
النوعية		
تامة		
ناقصة		
مستمرة		
زائلة		
اللباس		
الشراب		
الأثاث		
الحدائق		

المال		
البنون		

١٣. علام يدل تتالي حرف الفاء ((فاختلط به نبات الأرض فأصبح.....))؟
س١٤. أليس قول الكافر (و لئن رددت إلى ربي) اعتراف بالربوبية؟ ناقش حقيقة ذلك.
ج١٤. الحقيقة غير ذلك لأن الكافر قال ذلك اعتماداً على ما قاله المؤمن.
س١٥. لم قال (يا ليتني لم أشرك بربي أحدا) فقدم الندم على الشرك فوجب بذلك أن يكون مؤمنا فهل وجب بذلك؟
ج١٥. لأن رغبته بتوحيد الله كانت طلباً للدنيا و ندما على ما فات من خسارة دنيوية ،و لذا لم يقبل له توحيده.

الملحق

منْ وَطَّنَ النَّفْسَ على الدنيا وبهجتها غَرّتْه بأمانيها، وخدعته بالأطماع فيها. ثم إنها تُخْفى الصَّابَ في شرابها، والحنظل في عَسَلها، والسرابَ في مآربها؛ تَعِدُ ولا تفي بِعِدَاتِها، وتُوفِي آفاتُها على خيراتها.. نِعمُها مشوبةً بِنِقَمِها، وبؤسُها مصحوبٌ بمأنوسها، وبلاؤها في ضمن عطائها. المغرورُ مَنْ اغترَّ بها، والمغبونُ مَنْ انخدع فيها.

- قوله جلّ ذكره: { ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا }.

مَنْ اعتضد بعتاده، واغترَّ بأولاده، ونَسِيَ مولاه في أوان غَفَلاَتِهِ.. خَسِرَ في حاله، ونَدِم على ما فاته في مآله.

ويقال زينةُ أهل الغفلة في الدنيا بالمال والبنين، وزينة أهل الوصلة بالأعمال واليقين.. فهؤلاء رُتَبُهم لظواهرهم... وهؤلاء زينتهم لعبوديته، وافتخارهم بمعرفة ربوبيته.

ويقال ما كان للنَّفْس فيه حُظٌّ فهو من زينة الحياة الدنيا، ويدخل في ذلك الجاهُ وقبول المدح، وكذلك تدخل فيه جميع المألوفات والمعهودات على اختلافها وتفاوتها.

فائدة: (من الكنز المدفون:للسيوطي). ص١٢٢
س- لم حجبنا الله عن النظر له في الدنيا؟

وقد ورد أنا نراه في الآخرة فلم لا كان في الدنيا أيضاً .قيل لوجوده أحدها لزيادة المحبة والشوق، كما قيل سرور الأوبة على قدر طول الغربة. الثاني لزيادة الخشية، الثالث ليكون فضلاً للمستدلين على غيرهم، الرابع لو كشف عنهم الحجاب حتى يشاهدوه في الدنيا لا شتغلوا بالنظر إلى جماله عن أنفسهم وعمارة الدنيا، ألا ترى أن امرأة العزيز أعطت النسوة كل واحدة سكيناً وأترجا وقالت اخرج عليهن وأمرتهن أن يقطعن الأترج ،فمن حسنه غبن عن أنفسهن حتى قطعن أيديهن بالسكاكين ولم يشعرن بالألم ،فإذا كان هذا حصل لهن من نظرهن إلى مخلوق فما ظنك بما يحصل من النظر إلى جمال الخالق؟!، الخامس أنه لا يُرى الباقي بالفاني ،واعلم أن الله تعالى ليس بالمحجوب ؛لأنه لو حجبه شيء لستره وهو تعالى ليس في جهة ولا مكان، وإنما المحجوب أنت.

٣- فائدة:

لم أنزل الله القرآن ليلاً؟

قيل لوجوه أحدهما إن أكثر الكرامات تنزل بالليل ،وأيضاً أن الأحباب يتناجون ليلاً، وأيضاً ليكون أهيب لقلوب سامعية وأيضاً ليكون أحفظ للقلوب لأن القلب بالليل أفرغ، وأيضاً أهل الليل يتلذذون بالمناجاة مالم يتلذذوا بها في النهار.

ماذا نأخذ من الآيات لواقعنا المعاصر؟

١- التكبر كما جاء في الحديث غمط الحق وبطر الناس (أليس في جهنم مثوى للمتكبرين)، ولقد أودى التكبر بإبليس إلى أسفل سافلين يوم قال :(أنا خير منه)، فقد اعتز بالأصل المادي دون أن يعتز بمن خلق الأصل والفرع ،وما تتهدم بنية الأمة -من أصغر بنية وهي الأسرة إلى قمة الهرم- إلا بسلطان التكبر الذي يمزق عُرا الأمة ويقطع أوصالها ويفسد أي تجمع خير. فإذا ساد الإعتزاز بالنفس ظهرت الدكتاتورية ودفنت الشورى، وصار للقطيع رائد بلا عيون مبصرة ،ولا قلوب بصيرة بل بعصا غليظة. هذا التكبر ودكتاتورية المتنفذ وقهره لأصحاب الرأي وإلغائه للشورى التي أمر الله بها: (وشاورهم في الأمر)، كل ذلك مما يعزز قوى الهدم ويؤكد الهزيمة لكل جمع، وإذا كان الله جل وعلا قد أمر رسوله بالشورى وهو على ما هو عليه من جلال القدر وسمو الفكر والعقل والقلب، فما بال أولئك الذين يشخصون أنفسهم كأفقه من رسول الله ؟بل ينصبون أنفسهم آلهة تعبد من دون الله، أليس المصير الأسود هو الذي ينتظر ذلك الراعي المتعجرف الأعمى ؟!وذلك القطيع الأبله من البشر الذين يسلمون قيادتهم للذئاب؟!.

٢- ضرب الله مثلا رجلين هما في النعمة سواء ولكنهما في العاقبة غير سواء. أحدهما أخذه التكبر والإعتزاز بالمال والولد فكان مآله في الدنيا (يقلب كفيه) وفي الآخرة **{ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ } * { يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ } * { أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَءِنَّا لَمَدِينُونَ } * { قَالَ هَلْ أَنتُمْ مُّطَّلِعُونَ } * { فَٱطَّلَعَ فَرَآهُ فِي**

سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ } * { قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ } * { وَلَوْلاَ نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ } * { أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ } * { إِلاَّ مَوْتَتَنَا ٱلأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ } * { إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ } { لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَامِلُونَ }

إن أكبر داء قتّال للمسلمين جماعات وأفراد هو داء التكبر والإعتزاز بغير الله، فمنا من يعتز بنسبه، وثان بماله وثالث بجاهه وسلطانه، فما مآل هؤلاء إلا كَمآل صاحب الجنتين.

٣- (لولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله...)، المؤمن لا يكون إلا ناصحا حياً أو ميتاً، فلم يدخر هذا المؤمن النصح والإرشاد ،ولم يقصر في اللين والرفق بصاحبه علّه يؤوب إلى رشده (لولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله...)

٤- الولاية لله أي القدرة لله والنصرة لله. فأين نذهب شرقاً وغرباً؟ وكيف نترك من يدعونا إليه ويعدنا بنصرته ، ونطرق باب من تبدو البغضاء على فمه ،وما يخفى صدره من العداوة أشد. إن القدير هو الله وإن الناصر هو الله، فمتى أدركنا ذلك قولاً وقلباً وعملاً جاءنا النصر المبين قال تعالى: (**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ،غافر-٥١**)

٥- المال والبنون زينة: وعلى الدعاة إلى الله أن لا يصرفهم جمع المال وحب البنين عن العمل الدعوي الحقيقي، عليهم أن يخصصوا وقتاً للدعوة إلى الله بمقدار حاجاتهم إلى رضى الله، بمقدار حاجاتهم إلى الباقيات الصالحات. وعلى المسلمين أن يكون أملهم بالله أكثر من أملهم بزينة زائلة غير دائمة، عليهم أن يبنوا آمالاً على الثوابت لا على زينة طارئة زائلة.

٦- الكبر كفر أو يوصل إلى الكفر، والكبر عدم اعتراف بالحق وإنتقاص من قدر الناس بالكلمة والفعل والقول. الكبر تعبير عن عقد ذاتية دفينة وتعويض عن احساس بالنقص أو هو جهل بالحقائق والأسباب، والكبر داء يفتك في جسد الأمة اليوم، ويغذى الأطفال به منذنعومة أظفارهم ،ويشبون على ذلك ويستوي في ذلك تغذية الفقير والغني، فكلاهما يشحن الذرّية بهذا المصل المضاد للتواضع المضاد للتآخي المضاد لنهضة المجتمع؛ فتظهر الصراعات بكل أشكالها الإجتماعية والإقتصادية والسياسية والعسكرية وتتراكب الأزمات وتشتغل الأمة بالكيد لذاتها بذاتهاوفيما بينها.

٧- الحسد: داء فتاك ناجم عن ضعف يقين بالله وعدم ثقة بأقداره جل وعلا، والرغبة في مشاركته جل وعلا في توزيع رحمته جل وعلا (**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ، الزخرف- ٣٢**) وقد يغفل الإنسان عن المنعم والخالق، ويحدوه الكبر أن يزعم أن ما أوتي إنما كان على علم منه ومقدرة شخصية عنده (إنما أوتيته على علم عندي، القصص -٧٨) ، وعندما تغمض العيون عن رؤية آثار المنعم ،وعندما يبلغ السفه بالإنسان أن يدعي ما ليس له، فيفتن بالنعم

دون أن يشكر المنعم، وعندما يحسد الإنسان نفسه كما حدث لصاحب الجنة الذي أوصله التكبر إلى أن يحسد نفسه، فزعم الإطلاع على الغيب كما افترى على الله بقوله :(ما أظن أن تبيد هذه أبدا) و(ماأظن الساعة قائمة...). ولذا كره العلماء قول المرء (لي) كقول فرعون أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من حولي، فكان غرقه بما اعتز به من دون الله. كما كرهوا أن يقول المرء :عندي(إنما أوتيته على علم عندي) ؟؟ كما قال قارون، فكان المال مفخرة له وبه هلك (فخسفنا به وبداره الأرض). كما كرهوا الأنانية والإعتداد بالذات (أنا)كما قال إبليس (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين)، فكان الطرد واللعن جزاءه الدنيوي ،والنار مآله الآخروي، قال الشاعر:

لله در الحسد ما أعدله ! بدأ بصاحبه فقتله

ودواء الحسد قوله تعالى: (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله).

المقطع الخامس: الآيات من ٤٧-٥٩

الموضوع: إنذار وتخويف:١- بمشاهد من القيامة ٢. و بمآل إبليس.

{ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً } { وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّاً لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُمْ مَّوْعِداً } { وَوُضِعَ ٱلْكِتَابُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً } { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لأَدَمَ فَسَجَدُوَاْ إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً }{ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُداً } * { وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآئِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقاً } * { وَرَأَى ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوَاْ أَنَّهُمْ مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفاً }

١. شرح المفردات: (من تفسير القرطبي)

عضدا: معينين – زعمتم: كذبتم، وقيل في المثل زعموا مطية الكذب – صرفنا: بيّنا- هزوا: لعباً وباطلاً – الهدى: القرآن والإسلام ومحمد صلى الله عليه وسلم – موبقا: واد من قيح ودم في جهنم، مهلكاً قاله أنس بن مالك – جدلاً: خصوما بالباطل – قبلا: عياناً، قال مقاتل فجأة – ليدحضوا: ليزيلوا و يبطلوا – أكنة :أغطية وأغشية؟ - وقرا: صمماً معنوياً - موئلا: مناصراً وحامياً- فظنوا: أيقنوا – مصدقاً: مهرباً لإحاطتها بهم من كل جانب – من كل مثل: من العبر والدلائل – منذرين: مخوفين بالعذاب.

٢. الأسئلة التمهيدية

١. عرضت الآيات مشاهد من يوم القيامة فما الغرض من ذلك؟
٢. بم توحي لفظة بارزاً؟
٣. فزعوا من الصغيرة قبل الكبيرة، أوضح الآية التي تدل على ذلك؟
٤. التخويف بالآيات غرضه الإصلاح عامة، أوضح ذلك؟
٥. الدنيا أقل من أن تكون جزاء للمؤمن أو عقاباً للكافر، ناقش ذلك؟

٦. قيل عدو جدّك لا يودّك، أوضح ذلك على ضوء الآيات؟
٧. افتخر ابليس بما لم يكن من كده فكان فاسد القياس مختل الموازنة، أوضح ذلك؟
٨. الله يحاكم الكفار بالعدل والمؤمنين بالفضل، اشرح ذلك وأشر إلى الآية التي توضح ذلك؟

٣. التفسير

٤٧. { وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً }
أوضحت الآيات السابقة أن متاع الدنيا إلى زوال، و أنها تفضي إما إلى عزة أوصغار ،و لقد عرض القرآن الكريم لنا مشهدا من مشاهد القيامة لانذار المغترين بالدنيا ،وذلك هو يوم الحشر فقال تعالى:(وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧) الكهف) أي اذكر لهم ذلك اليوم العظيم المخيف حيث لا قرار في الأرض، و حيث تسير الجبال و تتطاير كالعهن المنفوش وتغدو الدنيا كهشيم تذروه الرياح ،(و ترى الأرض) وهذه الأرض التي كان يلوذ بها أهلها و يخلدون إليها و يستقرون على ظهرها يدكها الله دكاً يوم القيامة، وتغدو بارزة لا ترى فيها عوجاً و لا أمتا، فلا كهف و لا غار و لا جبال و لا وديان، الكل ظاهر باد لله، لا اختباء من هذا اليوم فإلى أين يفر أولئك المغرورون؟ وهل سينجون من صيحة الحشر القاهرة التي لا ملاذ منها؟ حيث ينكشف المخبأ و تظهر الفضائح ولا يغيب عن ذلك أحد قال تعالى:(و حشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) أي لم نترك منهم أحداَ.

٤٨. { وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّاً لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُمْ مَّوْعِداً }
بعد الحشر يأتي العرض، حيث يعرضون على ربك صفاً يا محمد (ربك): الذي رباهم على نعمه فلا تخفى منهم خافية (لقد جئتمونا) قال للناس جميعا لقد جئتمونا حفاة عراة غرلاً (كما خلقناكم أول مرة) و ليس معكم ما جمعتموه من زينة الدنيا و ما تفاخرتم به (بل زعمتم) أي ادعيتم كذبا أن الله لن يجمعكم للحساب، ولن يجعل لكم موعداً محدداً.

٤٩.{ وَوُضِعَ ٱلْكِتَابُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً }
بعد مشهد العرض يؤتى بالكتاب أي بكتاب الأعمال ،و تبدأ المحاسبة على النقير و القطمير ،فيأخذ المؤمن كتابه بيمينه فرحا مسرورا قائلا لأصحابه :(هاؤم اقرأوا كتابيه * إني ظننت أني ملاق حسابيه * فهو في عيشة راضية * في جنة عالية * قطوفها

دانية *)الحاقة ٢٠. أما الكافر فيأخذ كتابه من وراء ظهره فيرى ما فيه من سيئات ؛فيدعو على نفسه قال تعالى: (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا وَيَصْلَى سَعِيرًا) الإنشقاق، وهكذا ينتاب المشركين خوف شديد من نتائج هذا الكتاب، فإذا رأوا صفحات أعمالهم؛ دعوا على أنفسهم بالهلاك قبل العذاب، فهذا الكتاب لم يترك صغيرة أو كبيرة من أعمالهم إلا أحصاها وسجلها، فيقول الكفار (يا ويلتنا) قال الفضيل: ضجوا إلى الله من الصغائر قبل الكبائر. قال قتادة: فإياكم و محقرات الذنوب؛ فإنها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه، وهكذا أحاط هذا الكتاب بكل أخطائهم عداً وإحصاءً (ووجدوا ما عملوا حاضراً) أي وجدوا كل ما عملوه محصياً أمامهم، و قيل وجدوا جزاء ما عملوا ولا يظلم ربك أحداً، فلا الكافر يظلم فيزاد في سيئاته، كما لا يأخذه بما لم يعمل، بل يعامله جل و علا بعدله أما المؤمن فيعامله الله برحمته..... فالله لا ينقص ثواب المطيع ولا يزيد عاصيا في عقابه سبحانه وتعالى، فلقد جاء في الحديث القدسي: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي و جعلته محرماً بينكم؛ فلا تظالموا) فالله لا يظلم أحدا أيا كان تقيا أو شقيا، و إذا استشعر المؤمن هذه المعاني و المشاهد يوم الفزع الأكبر، إذا استشعر أنه سيقف أمام ربه،و سيأخذ كتابه الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فإنه سيستعد لهذا اليوم و سيتزود بالطاعات لأن خير الزاد التقوى.

أما الكافر فلعله إن تمثل هذه المعاني و اتعظ بتلك المشاهد يرعوي عن غيه و كفره، وهكذا ما تزال الآيات تعرض الأمثال والقصص وتشخص الأحداث؛ عل المؤمن يزداد طاعة، ولعل الكافر يكف عن طغيانه و تستمر الآيات لتعرض لنا مشهداً سماوياً حيث الطهر و الصفاء و الطاعة لمن خلق الأرض و السماوات حيث الملائكة تفعل ما تؤمر، و هنا يقف المؤمن مستنكرا لمواقف الصدود و الإعراض و الاستعلاء التي مرت بالسورة، و إذ به أمام مشهد أعظم و أكبر فحشا من تلك التي مرت سابقاً من القصص و الأمثال ألا و هو موقف الاستكبار الذي وقفه إبليس أمام جبار السموات و الأرض.

٥٠. { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لأَدَمَ فَسَجَدُوَاْ إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً }

ذكر هنا قصة استكبار إبليس لتربط بينها وبين استكبار كفار قريش ولتوضيح المآل السيء لهم، إذ أمر الله الملائكة بالسجود لآدم سجود احترام وتقدير لمن يكون خليفة لله في الأرض، سجود للخالق العظيم الذي خلق هذا الإنسان بيده ونفخ فيه من روحه، فهذا أمر ممن يسجد له ما في السماوات والأرض، للملائكة العباد الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وإذ من بين هؤلاء الملائكة يتصدر إبليس موقف التعنت والتكبر والكفر والفسوق خارجا عن إجماع الملائكة في تعظيم أمر الله فكلهم سجد لآدم إلا إبليس هذا اللعين الذي تمرد على الله في السماء. هذا اللعين الذي افتخر بأصله

الناري وتكبره على من خلق الله من تراب بل على أمر الله. فقد أعلن إبليس العداوة للإنسان والعداوة لآدم وهو بين الطين والماء، أعلن العداوة له عندما كان يمر على جسد آدم الترابي مُسْجى في السموات؛ فيتعجب من هذا الخلق وتظهر غيرته وحسده، ويظهر حنقه عليه وعداوته وهو بعد لم ير شيئاً من أفعال هذا الإنسان. فكان إبليس كلما مر بجسد آدم قال: لِأَمرٍ مَا خلق الله هذا فلئن سلطني الله عليك لأهلكنه، ولئن سلطك علي لأعصينك، فلقد كان آدم جسداً حيناً من الدهر كما قال تعالى((هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (١) الإنسان))، ولما أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم راح إبليس رافضاً وموازناً بين التراب والنارمقيساً قياساً فاسداً إذ قال ((قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢) الأعراف)). هذا ابليس الذي أعلن العداوة لآدم وهو تراب ثم أعلنها -وهو الفاجر- يوم أمر بالسجود له فخرج عن الطاعة، (فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) هذا إبليس الذي تأصلت العداوة في نفسه وغرّه ما منّ الله عليه من نعم؛ فاستكبر وطغى ورفض السجود لآدم، فكيف يليق بأبناء آدم أن يتخذوا عدو أبيهم الأول وذريته أولياء لهم؟!، فمتى كان عدو جدك يودك؟!، وكما جاء في المثل (عدو جدك لا يودّك)، والعجب كل العجب من كثير من أبناء آدم الذين يتخذونه وذريته أولياء يؤدون لهم السمع والطاعة، وهو الذي أظهر العداوة لآدم بداية ونهاية ،وهو الذي أخرج أبانا آدم، وما أراد له ولا لذريته الخير أبداً، كيف يليق بنا أن نواليه ونترك موالاة الله جل وعلا الخالق الرازق الغفور الرحيم رب العالمين الذي نعمه تترى لنا ،والذي خلقنا ليربحنا لا ليربح علينا وليسعدنا لا ليشقينا قال تعالى ((طه (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢)، طه)) وقال تعالى ((بئس للظالمين بدلا)) فمن يترك موالاة الله ليوالي عدو الله وعدوه كالشيطان وككفار قريش وأمثالهم فقد ظلم نفسه، فهو ظالم لها فبئس ذلك الفعل وبئست موالاة الظالمين لإبليس عدوهم الأول والمبين.

٥١. { مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُداً }

والخطاب قيل للشركاء المزعومين ومعنى قوله تعالى إن الذين اتخذتموهم أولياء من دوني إنما هم مخلوقات وعبيد لا يملكون من الأمر شيء سواءاً كانوا أصناماً أو شياطين، فإن الله لم يستعن بأحد منهم في خلق السماوات والأرض ولم يشهدهم على ذلك، لا بل ولم يشهدوا كيف خلقهم الله. فكيف يفتري هؤلاء على الله ؟!ممن يدعو لله ولداً أو بنتاً أو شريكاً من صنم أو من يتخذ الشياطين أولياء له سبحانه جل وعلا لا شريك له في الملك، ولا وزير له يستعان به ولا مستشار ولا نظير له ((قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد..)).

وما كان الله بحاجة إلى أحد وهو الغني القوي الصمد؛ فكيف يتخذ الله من المضلين من أصنام وطغاة وشياطين وغيرهم، كيف يتخذ منهم معينا وناصرا، فلا منهم أي (من الضالين) ولا من غيرهم أي (من المؤمنين) له نصير أو معين أو شريك سبحانه وتعالى. وهؤلاء الذين يدعوهم الكفرة شركاء لله انظروا إليهم وإلى أنفسكم يوم القيامة.
{ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَآءَ } إن الله سبحانه عاتب مَنْ التَفَتَ إلى شئ سواه من العرش الى الثرى ،وعرّفنا مكان ألطاف ربوبيته وفردانية ذاته وصفاته وأعلمنا مقام تنزيه قِدَمه عن الأضداد والأنداد التى هى فانية تحت جبروته وخاضعة فى ميادين ملكوته وايّ شئ النور والظلمة ؟ومَنْ ابليس وذرّيته؟ وما الاصنام والاوثان فى ساحة كبريائه الازلى الذى يفنى بسطوة من سطواته كل ما بدأ من العدم الى الوجود؟! واى شناعة أشنع على من يعتمد على احد دون عزته ؟ قال يحيى بن معاذ لا يكون وليا لله ولا يبلغ مقام الولاية من نظر الى شئ دون الله او اعتمد سواه ولم يميز بين من يواليه ومن يعاديه وحال اقباله من حال ادباره قال الله { أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ } قال الحسين: خاطبك الحق تعالى أحسن خطاب ودعاك إلى نفسه باللطف دعاء بقوله أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني.
إن الله أخبر في الآية أنه الأول في ذاته وصفاته حيث لم يكن هناك حيث ولا ابن ولا رسم ؛فهو جل وعلا سرمدي منزه من نقائص الحدوثية.
أخرج الله الكون من العدم ،ثم خلق الخلق ،ولم يحتج إلى إعانة حادث من أجل إيجاد هذا الكون، ولو كان الخلق موجودين لانتفى عدم الكون ،وكان الخلق أسبق من الكون في الوجود، وهذا منقصة في كون الكون كان من عدم، وإذا وجد الناس قبل الكون كان الخلق في معية الله، والله منزه عن المعية مع الخلق ،قال أبو سعيد الخراز: لقد عجزت الخليقة أن تدرك بعض صفات ذاتها أو أن تدري كنهه أنفسها، فكيف تدرك شيئاً من صفات خالقها. (مقتبس بتصرف من تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن للبقلي في شرح الآية).

٥٢. { وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآئِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقاً }

يقول الله للمشركين متهكماً بهم (نادوا شركائي) أي ادعوا شركائي الذين زعمتم لينجدوكم؛ فينادونهم ويستغيثون بهم فلا يجيبونهم استهانة بهم وانشغالاً بأنفسهم (وجعلنا بينهم موبقاً) أي جعل الله العظيم بينهم أي بين الشركاء والمشركين فاصلاً مهلكاً ثابتاً ،وهو النار.

٥٣. { وَرَأَى ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوۤاْ أَنَّهُمْ مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفاً }

رأى أولئك الذين تمرسوا بالإجرام النار فأيقنوا أنهم يقعون بها ، وأنه لا خلاص و لا مهرب منها ؛إذ أنها تحيط بهم من كل جانب، و لقد كان لهم مصرفاً عنها في الدنيا.

٥٤. وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً
لو كانوا- أي المجرمون - صرفوا قلوبهم للقرآن الذي كان فيه حياتهم و سعادتهم و تفصيل كل شيء و هدى و رحمة لكان نجوا من نار الآخرة ،و لكنهم كانوا أكثر الناس جدلاً في الله.فلقد كان الكافر أكثر جدلاً في هذه الحياة بل وحتى يوم القيامة، و الدليل على ذلك ما جاء في الأحاديث الشريفة ،و إليك ما يلي: روى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:**" يؤتى بالرجل يوم القيامة من الكفار فيقول الله له: ما صنعتَ فيما أرسلتُ إليك فيقول: رب آمنتُ بك وصدّقت برسلك وعملتُ بكتابك فيقول الله له: هذه صحيفتك ليس فيها شيء من ذلك فيقول: يا رب إني لا أقبل ما في هذه الصحيفة فيقال له هذه الملائكة الحفظة يشهدون عليك فيقول: ولا أقبلهم يا رب وكيف أقبلهم ولا هم من عندي ولا من جهتي فيقول الله تعالى: هذا اللوح المحفوظ أمّ الكتاب قد شهد بذلك فقال: يا رب ألم تُجرني من الظلم قال: بلى فقال: يا رب لا أقبل إلا شاهداً عليّ من نفسي فيقول الله تعالى الآن نبعث عليك شاهداً من نفسك فيتفكر من ذا الذي يشهد عليه من نفسه فيختم على فيه ثم تنطق جوارحه بالشرك ثم يُخلَّى بينه وبين الكلام فيدخل النار وإنّ بعضه ليلعن بعضاً يقول لأعضائه: لعنكنّ الله فعنكنّ كنتُ أناضل فتقول أعضاؤه: لعنك الله أفتعلم أن الله تعالى يُكْتَم حديثاً فذلك قوله تعالى: { وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً } "** أخرجه مسلم.
و إذا كان الجدال سمة الكافر في الدنيا و الآخرة، فكيف يليق بالمسلم أن يتسم بهذا الخلق السيء الذي لايولد إلا الكره و البغضاء بحيث تتشاحن القلوب و تتنافر الأرواح؟ لذا نهى الإسلام عن مجرد الجدال، و إذا كان لابد منه لإظهار حق أو دفع باطل أو ايجاب دعوة فليكن بالتي هي أحسن ،قال تعالى :(وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٤٦) العنكبوت) و قال أيضاً (فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) الكهف) ،وإنه لا خير في أمة أوتيت الجدال ؛حيث يهدر الوقت فيما لا طائل منه، و يظهر إعجاب كل ذي رأي برأيه ،و تتمزق الأمة بل يتمزق البيت الواحد و الصحب والأخلاء، و إذا تنافرت قلوب الناس فأنى يلتقون؟! لذا جاء في الحديث الشريف: عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة ومن تركه وهو محق بني له في وسطها ومن حسن خلقه بني له في أعلاها) رواه أبو داود والترمذي واللفظ له وابن ماجه والبيهقي وقال الترمذي حديث حسن. و(الإنسان) قيل المراد به النضر بن الحارث لجداله في القرآن. قال الزجاج: الكافر أكثر شيء جدلاً. وفي

صحيح مسلم **" عن عليّ أن النبي صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة ليلاً فقال: «ألا تصلّون»فقلت: يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا؛ فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت له ذلك، ثم سمعته وهو مدبر يضرب فخذه ويقول: { وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً } ".**

٥٥. { وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلاً }

أي ما منع الناس من الإيمان بالإسلام و بمحمد إلا طلبهم أن يحل بهم مثلما حل بالأولين من العذاب؛ فطلب المشركون العذاب و قالوا: (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون)، الأنفال ٣٣ ،أو يأتيهم عذاب الآخرة عياناً و فجأة.

٥٦. { وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنْذِرُواْ هُزُواً }

إن الله لا يرسل المرسلين للجدال و الخصومة، و إنما يرسلهم للتبشير بالجنة و الإنذار بالنار؛ حتى يترك الكفار كفرهم ولكنهم يجادلون و يخاصمون ليبطلوا أثر القرآن و حقائقه ،و لقد اتخذوا القرآن هزواً و لعباً كأبي جهل الذي قال في الزقوم: أتدرون ما الزقوم الذي يتوعدكم به محمد؟ إنه عجوة يثرب بالزبد و الله لنتزقمنها تزقماً ،و كما استهزؤا بالعدد ١٩ الوارد في قوله تعالى (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) المدثر) فقال طاغيتهم: ماذا يفعل هؤلاء التسعة عشر؟! لو دعوت جماعتي و ناديّ لأهلكناهم ،فنزل قوله تعالى (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) العلق)، و لقد استهزأ الكفار بالقرآن فقالوا : هو سحر و أضغاث أحلام و أساطير الأولين ،و قالوا في الرسول :إنه مجنون و شاعر و هل هذا إلا بشر مثلكم. ((وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) الزخرف)

٥٧.{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَٰتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَىٰ ٱلْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوٓاْ إِذاً أَبَداً }

أي لا أحد أظلم لنفسه ممن وعظ بآيات الله فأعرض عنها و كفر بها ،(و نسي ما قدمت يداه) و نسي ما فعلته يداه من كفر و ضلال فلم يتب منها .(إنا جعلنا على قلوبهم أكنة) أي على قلوب هؤلاء الكفار أغطية فهم لا يفقهونه ،أما آذانهم فإنهم يصمونها عن سماع الذكر ،(و إن تدعهم إلى الهدى ....) و إن دعوتهم يا محمد إلى الهدى و الحق و الإيمان

بالله (فلن يهتدوا إذاً أبدا) أي لن يقبلوا الهداية و الحق، و لن يؤمنوا بالله ؛لأنهم أغلقوا قلوبهم و صموا آذانهم ،فكانوا كمن لا قلب له و لا سمع و لا بصر.

٥٨. { وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِ مَوْئِلاً

و ربك يا محمد هو الغفور البليغ في المغفرة لذنوب عباده المؤمنين، و الموصوف بالرحمة الواسعة؛ فيعفوا عنهم، و يثيبهم و ينعم عليهم، ولو يؤاخذ الله العصاة و الكفرة في الدنيا على أعمالهم لعجل لهم العذاب، فالدنيا ليست ثوابا للمؤمن و ليست عقابا للكافر؛ لأنها أهون على الله من أن يجعلها كذلك، فهي دار امتحان ؛بل يؤجلهم ليومٍ تشخص فيه الأبصار(فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ(٢٦) الفجر)، ولكن لهم موعد لا يؤخر حيث يحاسبون و يجزون بما كانوا يعملون، (لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا (٥٨) الكهف) أي لا ملجأ و لا منجى لهم من دون الله.

٥٩. { وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً }

اغتر المشركون بتأخر العذاب عنهم، و ظنوا أنهم ناجون منه لذا بيّن الله لهم: أن هذا الإمهال من باب رحمة الله بخلقه ثم ضرب الله للمشركين مثلا؛ ليعتبروا بتلك القرى و أصحابها: كعاد و ثمود و مدين و قوم لوط و قوم فرعون أولئك أهلكهم الله لما وقعوا في الظلم، كما فعل مشركو قريش حيث ظلموا أنفسهم و ما انصاعوا للحق، و تلك القرى أهلكها الله، وجعل لهم موعداً ثابتا لا يستأخرون عنه و لا يستقدمون، و هو يوم القيامة، و الآية في الظاهر استشهاد على ما فعل الله بقريش يوم بدر، و ما أعدّ لهم من عذاب في الآخرة.(عد إلى الألوسي لتفسير اصبر..)

٤. الأسئلة التقويمية

١. عبر القرآن عن الإنسان بأنه شيء، فلم؟

ج- ليقلل من كبريائه وغروره ،وليشعره أنه مخلوق من المخلوقات فكيف يكون أكثرها جدلاً!.

٢.تتالت المشاهد مفزعة مرعبة منذرة ،فمن البروز إلى العرض إلى الحساب إلى الإنذار إلى البحث عن سبل النجاة إلى الإستخفاف بالعذاب، أوضح هذه المشاهد مؤيداذلك بالآيات؟

٣. لم قال (نادوا شركائي) ولم يقل نادوا شركاءنا؟

٤. ما مهمة الرسل؟

٥. الإمهال رحمة من الله ،أما المؤاخذة المباشرة فتعني تعجيل العذاب أوضح ذلك؟

٦. ما الغرض من تتالي النفي في الآية ٥١؟

٧. لم خص المضلين بالنفي ،وهل يعني غيرهم مثبتين إيجابيين، ناقش ذلك؟

٨. ما نوع الأسلوب في قوله :ياويلنا؟

٩. هات كناية عن الإحاطة الشاملة؟

١٠. ضج الكفار إلى الله من الصغائر قبل الكبائر، فما المحسن البديعي هنا وما الغرض منه؟

١١. عرف الجدل وبين أخطاره مع ذكر الأمثلة من الواقع (للمزيد عد إلى تفسير القرطبي لشرح الآية).

٥.الملحق اللغوي

من (تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسورللبقاعي) في شرح الآية نت ص٣.
- موبقاً: البوائق الشرور لأنها مهلكة، وباق جاء بالشر، والباقة الحزمة من البقل لاجتماعها، وباق القومَ سرقهم، والعامة تستخدم هذه الكلمة دون أن تدري أصل معناه، فيقال بالعامية - حاج تقول حُق بُق- ،والحاق والباق صوت الفرج عند الجماع لأنه من الجمع، ولأن الفرج وقبة والوقبة كوة عظيمة فيها ظل، ووقب القمر وقوباً أي دخل في الظل الذي يكسفه كأن حفرة ابتلعته ،ووقبت الشمس غابت، ووقب الظلام أي أقبل وابتلع الضياء، أي ابتلع ما في الكون، فحجبه عن الضياء قال تعالى :(ومن شر غاسق إذا وقب) ،وأوبقه حبسه أو أهلكه، وأبق العبد أي ذهب بلا خوف ولا عمل، أو استخفى ثم ذهب.

- شركائي: أضاف ياء المتكلم دون نون العظمة، والغرض التوبيخ على زعمهم، والمراد بها ما عبد من دون الله.

ماذا نأخذ من الآيات لواقعنا المعاصر؟

- يجب على المؤمن أن لا تغيب عنه مشاهد يوم القيامة، و أن لا يغيب عن إحساسه الأثر الذي تولده تلك المشاهد، فهذه القوة الهائلة التي تسيّر الجبال الشمّ الراسيات والتي تتضاءل

أمامها قوته ،فتجعله هذه المشاهد يسخر قوته لتكون عامل نجاة يوم القيامة، وإلى جانب هذه القوة الهائلة التي تقتلع الجبال وتسيرها نجد القدرة القادرةعلى تسوية الأرض بما فيها ،فلا ترى فيها عوجاً ولا أمتا، فالبروز للأرض ومن فيها واضح ،فلا تخفى على الله خافية، فعلى المؤمن أن يستذكر هذا الظهور وهذا البروز، وأمام من سيكون؟ قطعاً أمام علام الغيوب، فقوة تسير الجبال ،وقوة تدك الأرض وتبرزها ، وثمة قوة ثالثة جامعة لكل فرد فلا يخطر على بال أحد أنه ينجو أو يفر أو يُنسى من الحشر. يكفي هذا الإحساس حتى يستقيم المؤمن ،ويزداد قرباً، وكفى الكافر ذلك واعظاً. ثم يأتي مشهد عرض العراة من الحسنات ،عرض أولئك الذين زعموا أنه لا لقاء ولا عودة ولا بعث، وبعد العرض يأتي الحساب الدقيق الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، (وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩) الكهف). أما حساب الكفرة فيعاملهم الله بعدله أما المؤمن فيعامله الله برحمته ولطفه فليطمئن المؤمن إلى رحمة الله وليطمئن الكافر إلى عدل الله .

- على الدعاة بل على كل إنسان أن يضع هذه المشاهد نصب عينيه ،وأن يستعيذ بالله من عذاب أهل النار.
- على الدعاة أن يوضحوا عداوة الشيطان للإنسان بداية ونهاية، وأن يحذروا من مغبة اتباعه، ويوضحوا كيف أوصله تكبره واعتزازه بأصله إلى نار جهنم إذ قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين. وكذا مآل كل متكبر شواظ، فعلى الدعاة أن يوضحوا للناس لم هذه العداوة ؟ ما وسائلها؟ وما نتائجها؟.
- (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسم وما كنت متخذ المضلين عضدا)، لا يمكن للمسلم أن يتخذ المضلين عضدا له، يؤازرونه ويناصرونه من دون المؤمنين أو على المؤمنين، ومن أين لهم أن يناصروه؟! وهم أولياء الشيطان وقد بدت البغضاء في أفواههم، وما تخفي صدورهم أكبر، فكيف يتخذ المؤمنون المشركين أولياءَ لهم ؟! وكيف يتخذون المضلين عضدا لهم على الحق؟!

إن الذين يعاضدون المشركين قد أذاقوا أمتهم الويل من تلك المعاضدة، والله يقول: (وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢)طه) وحدّدَ الدائرة العامة لسمة المُؤَازِر والمعاضد وهي(من أهلي)، ثم انتقى من الدائرة الخاصة أخلصها(هارون)، ثم زاد الخاص تخصيصاً بقوله (أخي).وهكذا فإنّ موسى عليه السلام طلب المؤازرة من الله، وأفاض في شرح مواصفات هذا المُؤَازِر! وَ لِمَن؟ للعليم الخبيرالذي لايُؤازِر إلا بخير، فأجاب الله طلبه {**قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون، القصص-٣٥**}

فكيف نطلب من أعدائنا، أعداء الله أن يؤازرونا؟ ومتى كان الشيطان وأعوانه أولياء للمؤمنين؟! قال الله تعالى { لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة، ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير }آل عمران [٢٨)

كلمة أخيرة

١- ولنعلم جميعاً أن الله ما حفظ كتابه للأجيال ليكون تراثاً وتاريخاً، وإنما ليكون منهج حياة متكاملاً للبشرية التي تبحث عن السعادة ،وتتطلع إلى الأمن والأمان، فلن تجد ذلك إلا في ظلال الكتاب القيم الذي لا عوج فيه، الكتاب الذي جعله الله هدى ورحمة.
٢- إلى الذين يعتزون بألوانهم وبما لم يفعلوا ، إلى دعاة العنصرية والتمييز العرقي، علهم يرتدعوا عندما يعلمون ما آل إليه إبليس.
٣- إلى الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا ؛علهم ينتبهوا ويهتدوا إلى سواء السبيل.
٤- إلى الذين يركضون وراء الضُلّال من الأثرياء، متبعين من لم يزده ماله وولده إلا خسارا، علّهم يعتبروا بصاحب الجنتين المغرور وبما آل إليه دنيا وأخرى.
٥- إلى الذين يغترون ببهرج الدنيا وزينتها غافلين عن حقيقتها وعما يراد من خلقهم ليدركوا أنّ(مثل الحياة الدنيا كماءأنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا).

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

المقطع السادس: الآيات من ٦٠-٨٢

الموضوع: – دورة تربوية تعليمية في علم الغيب (المعلم: الخضر، الطالب:موسى عليهما السلام)

{ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لآ أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً } * { فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَباً } * { فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَباً } * { قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنْسَانِيهُ إِلاَّ ٱلشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَباً } * { قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصاً } * { فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَآ آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً } * { قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً } * { قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً } * { وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً } * { قَالَ سَتَجِدُنِيۤ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِراً وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْراً } * { قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي عَن شَيءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً } * { فَٱنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً } * { قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً } * { قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً } * { فَٱنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلاَماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً } * { قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً } * { قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْراً } * { فَٱنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً } * { قَالَ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً } * { أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً } * { وَأَمَّا ٱلْغُلاَمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً } * { فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَـاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً } * { وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً

١. شرح المفردات: (من تفسير القرطبي)

لا أبرح: لاأزال أسير، **فارتدا**: رجعا أدراجهما، **تحط**: تطلع على الحقيقة والأسرار
قصصا: تتبع لآثار قدميهما، **أحدث**: أخبر، **نصبا**: تعباً ومشقة وجوعاً
مجمع البحرين: ملتقى بحر فارس والروم، **كنزاً**: قال مدفون وقال ابن عباس كنز علم، **أتبعك:** أصاحبك وأرافقك،

فتاه: يوشع بن نون وهو خادمه وكان نبيا وهو ابن أخت موسى وسمي فتاه لملازمته إياه في العلم والخدمة وهو خليفة موسى على قومه من بعده،
حقبا: الدهر والحُقْبُ ثمانون سنة أو أكثر والجمع حقاب والحقبة زمان من الدهر،
سربا: مسلكاً قال قتادة جمد الماء حتى صار كالسرب
جاوزا: أي جاوزا المكان المحدد الذي نسيا فيه الحوت
سبيله: طريقه
نبغ فارتدا: نريد فرجعا
لدنا: ما يختص بنا من العلم وهو الإخبار عن الغيب
رشدا: ضد الضلال والرشد هو ما اهتدي به وأرشد في ديني
أحدث لك: أي أبدأك به قبل أن تسألني
خرقتها: نزع لوحا من السفينة
لاترهقني: لا تتعبني ويَسِّر عَليَّ متابعتك
زكية: طاهرة
استطعما: طلبا طعاما وحق الضيف لأنهما كانا جائعين
أن ينقض: أن يسقط ويسرع بالسقوط وقيل مائل
فأقامه: أقام بناءه وقيل مسحه بيده فقام
بتأويل: بتفسير وشرح
يرهقهما: حبهما له قد يحملهما على متابعته على الكفر
طغيانا: كفراً
زكوة: أبر بوالديه
رحما: أزكى من الولد وهما أرحم به منه
قرية: قيل هي أنطاكيا وقيل هي أيلة

٢. <u>الأسئلة التمهيدية</u>

١. ماذا قال موسى لفتاه؟
٢. ما اسم فتاه؟
٣. على من تطلق كلمة فتاه؟ هات من الحديث الشريف ما يؤيد ذلك؟
٤. علام تدل الآية الأولى رقم ٦٠ من سمات شخصية سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام؟
٥. ما المقصود بمجمع البحرين؟
٦. كان نسيان الحوت وسيلة وكان سبيله عجباً، أوضح ذلك؟
٧. مشى موسى من مصر لفلسطين ولم يطلب طعاماً ،ومشى إلى مجمع البحرين فلم يحس بألم الجوع إلا بعد تجاوز منطقة الهدف، ناقش علة ذلك؟

٨. لم أرجع النسيان إلى الشيطان ولم يرجعه إلى نفسه؟
٩. سبيل البحر كان سرباً مرة وثانية كان عجباً، أوضح المقصود من ذلك؟

١٠.ما معنى ارتدا على آثارهما قصصا؟

١١. ما الفرق بين كلمتين رجعا وارتدا؟ وأيهما أنسب للآية؟ ولم؟

١٢. وردت في الآية الكريمة رقم ٦٥ عبارتان الأولى من عندنا والثانية من لدنا، أوضح الفرق بينهما؟

١٣. بالغ موسى في التأدب مع معلمه، أشر إلى الآية والألفاظ التي توحي بذلك؟

١٤. ماذا توحي لك عبارة (هل أتبعك) من آداب تربوية؟

١٥. منذ البداية أوضح الخضر عليه السلام علة عدم الصبر عند موسى؟

١٦. أوضح المعلم بداية خطته التعليمية للمتعلم، وأبان له عن الصعوبات التي سيواجهها فماعناصر العملية التعليمية هنا؟

١٧. (ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً) صبر في الأولى وعصى في الثانية، فلم؟

١٨. تعليق الأنبياء للأفعال في المشيئة الإلهية يجعل الأفعال حاصلة، وتركها يعني عدم حصولها، ناقش ذلك على ضوء ما يلي (قصة موسى والخضر – قصة الرسول صلى الله عليه وسلم وكفار مكة – قصة ذبح اسماعيل عليه السلام)؟

١٩. من الأساليب التربوية الناجحة توضيح الأهداف للمتعلم وكذا تبيان الصعوبات وتوضيح أسبابها مما يترك المتعلم مرتاحاً لما سيصادفه، ناقش ذلك على ضوء مجالات الحياة السياسية والإجتماعية والإقتصادية؟

٢٠. عدم المقاطعة أثناء الدرس خلق تربوي رفيع أشر إلى الآية؟

٢١. كانت الأولى نسيانا والثانية شرطاً والثالثة عمداً، أوضح ذلك على ضوء الآيات؟

22. ثمة آيتان مترادفتان في اللفظ والمعنى إلا أن إحداهما تزيد الأخرى بشبه الجملة فما علة ذلك؟

٢٣. اعتذر موسى عن أفعاله وأعطى حكما على ذاته، أوضح ذلك؟

٢٤. بم يوحي تكرار الفعل (فانطلقا)؟

٢٥. عبر عن المكان الواحد الذي كان فيه اليتيمان مرة بالقرية ومرة بالمدينة فلم؟

٢٦. ماذا في ذلك الكنز؟

٢٧. حفظ الله الأبناء بصلاح الآباء أو الأجداد، أوضح أثر الصلاح على الذرية؟

٢٨. وردت الأفعال التالية في الآيات الكريمة: (أردت – أردنا – أراد ربك) علل سبب ذلك؟

٢٩. قارن بين اللفظتين تستطع وتسطع مبيناً علة مجيئهما بهذا الشكل؟

٣٠. قارن بين علم الحقيقة وعلم الشريعة على ضوء الآيات؟

٣١. كانت رحلة موسى في طلب العلم دورة تربوية في علم الغيب فلم خضع موسى لهذه الدورة؟

لأنه ادعى علم الغيب عندما قال أنا أعلم من في الأرض فعاتبه الله على ذلك.

٣٢. التعليم للحياتين ،فكيف ربط الخضر دروسه التعليمية بواقع موسى عليه السلام؟ وكيف استفاد من ماضي موسى عليه السلام في الربط بين الماضي والحاضر لتأصيل الفكرة وتثبيتها؟ أوضح ذلك:

٣٣. النسيان كان من الفتى بقوله نسيت، فلم نسب إليهما (نسيا)؟

للصحبة،و لم يحمل المكتال أي واحد منهما لذا نسيا

كما لم يعترف موسى بالنسيان، وإنما قال: ذلك ماكنا نبغي .أي هذا مقدر وقيل نسي يوشع أن يقدمه ونسي موسى أن يأمر فيه بشيء

٣٤. ماذا عطفت الواو في وإذ قال موسى؟

٣٥. كيف نسي يوشع ذلك؟رغم أن فقدان الحوت علامة هامة على لقاء الخضر، كما أن حياة الحوت معجزة وسربة في الماء معجزة أخرى ،ثم كيف استمر النسيان به كل هذا الزمن يوم وليلة؟

قيل شغلت يوشع وسواس الشيطان فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان. اضافة إلى أنه رضي بمشاهدة العجائب عند موسى كما استأنس بخلانه واخوانه فأعانته الألفة على قلة الإهتمام (مأخوذ من الكشاف للزمخشري في تفسير الآية نت ص١).

٣٦. ما الصفات التي اتصف بها الخضر في الآيات؟

٣٧. قدم قصة موسى على ذي القرنين رغم تأخرها زمانا فلم؟

٣٨. لم استثنى موسى في قوله ستجدني إن شاء الله صابراً ولم يستثن الخضر بقوله لموسى (إنك لن تستطيع معي صبراً)؟

لأن علم موسى علم تكليف ودليل وعلم الخضر علم لدني من غيب إلى غيب.

٣٩. قابل الخضر الأخف بالأخف والأثقل بالأثقل اشرح ذلك على ضوء الألفاظ والمعاني التالية :

تستطع – تسطع ، استطاعوا – اسطاعوا

٣.التفسير : قصة موسى والخضر رحلة تربوية تعليمية في علم الغيب

٦٠. وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا

مقدمة للآية وربط لها بما سبق- التفسير: هذه قصة أوردها الله تعالى لتعين على المقاصد السابقة مع كونها مستقلة في الإفادة، أما نفعها في قصة أصحاب الكهف فهو أن اليهود قالوا: إن أخبركم محمد عنها فهو نبي وإلا فلا، فذكر الله تعالى قصة موسى والخضر تنبيهاً على أن النبي لا يلزم أن يكون عالماً بجميع القصص والأخبار. وأما نفعها في الرد على كفار قريش حين افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة الأموال والأنصار، فهو أن موسى عليه السلام مع كثرة علمه وعلو منصبه واستجمام موجبات الشرف التام في حقه ذهب إلى الخضر وتواضع له لأجل طلب العلم فدل ذلك على أن التواضع خير من التكبر. وأكثر العلماء على أن موسى المذكور في الآية هو موسى بن عمران صاحب التوارة والمعجزات. وعن سعيد بن جبير أنه قال لابن عباس: إن نوفاً ابن امرأة كعب يزعم أن الخضر ليس بصاحب موسى بن عمران وإنما هو صاحب موسى بن ميشا بن يعقوب وهو قد كان نبياً قبل موسى بن عمران. فقال ابن عباس: كذب عدو الله. واحتج الأكثرون على صحة قولهم بأن موسى حيث أطلق في القرآن أريد به موسى بن عمران، فلو كان المراد ههنا شخصاً آخر لوجب تعريفه بحيث يتميز عن المشهور. حجة الأقلين - وإليه ذهب جمهور اليهود - أن موسى بن عمران بعد أن خصه الله تعالى بالمعجزات الظاهرة التي لم يتفق لمن قبله مثلها، يبعد أن يؤمر بالتعلم والاستفادة. وأجيب بأن العالم الكامل في أكثر العلوم قد يجهل بعض المسائل فيحتاج في تعلمها إلى من يختص بعلمها. أما فتى موسى فالأكثر على أنه يوشع بن نون، ويروى هذا القول عن سعد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم. وقيل: هو أخو يوشع وكان مصاحباً لموسى في السفر. وعن الحسن: إنه أراد عبده ويؤيده ما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: **" ليقل أحدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي**

وأمتي " قال أهل السير: إن موسى لما ظهر على مصر مع بني إسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط، أمره الله أن يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيباً فذكر نعمة الله فقال: إنه اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له: قد علمنا هذا فأيّ الناس أعلم؟ قال: أنا. فعتب عليه الله حين لم يردّ العلم إلى الله، فأوحى الله إليه بل أعلم منك عبد لي بمجمع البحرين وهو الخضر، وكان الخضر عليه السلام في أيام أفريدون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر وبقي إلى أيام موسى.

ويروى أن موسى سأل ربه أيّ عبادك أحب إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني. قال: فأيّ عبادك أقضى؟ قال: الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى. قال: فأي عبادك أعلم؟ قال الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على الهدى أو تردّه عن ردى. فقال: إن كان في عبادك من هو أعلم منى فدلني عليه. قال: أعلم منك الخضر. قال: فأين أطلبه؟ قال: على الساحل عند الصخرة. قال: يا رب كيف لي به؟ قال: تأخذ حوتاً في مكتل فحيث فقدته فهو هناك. فقال لفتاه: إذا فقدت الحوت فأخبرني، فذهبا يمشيان فرقد موسى عليه السلام فاضطرب الحوت ووقع في البحر، فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فأخبره فتاه بوقوعه في البحر فأتيا الصخرة فإذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى عليه السلام فقال: وأنى بأرضنا السلام فعرفه نفسه فقال: يا موسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا. فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع في حرفها فنقر في الماء فقال الخضر: ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما أخذ هذا العصفور من البحر. قلت: وهذا صحيح لأن علم الإنسان متناه وعلم الله غير متناه، ولا نسبة للمتناهي إلى غير المتناهي أصلاً.

ولنرجع إلى التفسير قال الزجاج وتبعه جار الله: { لا أبرح } بمعنى لا أزال، وقد حذف الخبر لدلالة حال السفر عليه ولأن قوله: { حتى أبلغ } غاية مضروبة فلا بد لها من ذي غاية. فالمعنى لا أزال أسير إلى أن أبلغ، وجوز أن يكون المعنى لا أبرح سيري حتى أبلغ على أن { حتى أبلغ } هو الخبر، وحذف المضاف وهو السير وأقيم المضاف إليه - وهو ياء المتكلم - مقامه فانقلب الفعل من لفظ الغائب إلى لفظ المتكلم وجوز أيضاً أن يكون لا أبرح، بمعنى لا أزول من برح المكان، والمعنى لا أبرح ما أنا عليه أي لا أترك المسير والطلب حتى أبلغ { مجمع البحرين } يعني ملتقى بحري فارس والروم .(مقتبس من تفسير النيسابوري للآية)،هذا وللمزيد ارجع إلى شرحه وضع البحار في سورة البقرة في تفسير قوله:{ **الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس(** ١٦٤).

إذ قال موسى لفتاه يوشع بن نون- وكان ابن أخته ملازمه كالخادم في التعلم والخدمة- لاأزال أمشي حتى أبلغ غايتي وهدفي، وهو لقاء ذلك العبد الصالح الذي أمرني ربي أن أتعلم منه وهو

الخضر، فلن أزال أمشي حتى أبلغ مجمع بحري الفرس والروم فإن لم أجده فسأظل أمشي سنيناً طويلة حتى ألقاه التزاما بأمر ربي ،وهذا يدل على عزم موسى عليه السلام على تنفيذ أمر الله ،والإصرار على طلب العلم ولو بعدت الشقة وزاد العناء ،وهذا يدل على شرف طلب العلم وأنه من أهم ما يطلب في هذه الدنيا ؛لذا ذهب موسى إلى الخضر للاستكثار منه ؛لذا كانت رحلته رحلة تربوية ورحلة احتمال ومشقة ؛ولذا أحس بالجوع ،وحين صام ٤٠ يوماً انتظاراً لسماع كلام الله لم يحس بالجوع ولا المشقة ؛لأن سفره كان إلى الله.

٦١. فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا

فلما بلغ موسى ويوشع مكان اجتماع والتقاء البحرين نسيا حوتهما الذي وضعاه في المكتل ونسب النسيان إليهما لأن يوشع نسي أن يقدم الحديث عما حل بالحوت من عودة الحياة إليه وجريانه في الماء تاركاً الماء وراءه كالوة كما نسي موسى أن يطلب منه إحضار الحوت وهنا حدثت معجزتان: الأولى عودة الحوت إلى الحياة والثانية جريان الحوت في البحر وإمساك الماء عن مجراه حتى بدا كالطريق السالك أو القناة.

٦٢. فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آَتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا

فلما جاوزا المكان المحدد للقاء الخضر أحس موسى بالجوع والتعب وطلب الغداء (آتنا غداءنا) ، وما أحس بذلك إلا بعد أن تجاوز الميقات المعلوم، ويوم صام أربعين يوما للقاء ربه لم يحث بالتعب أو الجوع لأنه كان مطلوباً للتجلي الرباني أما هاهنا فهو طالب في رحلة تعليمية تربوية تجاوز فيها ناسياً المكان المحدد للمعلم فأخذه الجوع والتعب وسفره هذا بعد الصخرة قيل أنه كان لمدة يوم وليلة باحثاً عن الخضر متجاوزاً المكان المحدد وذلك نتيجة نسيان يوشع للحوت.

٦٣. قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا

قال الخضر متعجباً أرأيت ما أدهشني ووقع لي فإني نسيت أن أحدثك عما حصل للحوت وما كان هذا النسيان إلا لوسوسة الشيطان لي بأمور أنستني أن أحدثك بما جرى للحوت من أمور عجيبة ومعجزات كعودته للحياة وهذا إشارة إلى أهمية الإيمان بالبعث كما سلك سبيله في البحر فكان طريقه عجباً كالكوة ولذا قال صلى الله عليه وسلم: (كان للحوت سرباً ولموسى وفتاه عجباً).

٦٤. قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا

أي إن اتخاذ الحوت سبيله إلى البحر ذلك الشيء الذي نطلبه ونبتغيه، لأنه علامة على أننا ظفرنا بالمطلوب وهو لقاء العبد الصالح الذي آتاه الله رحمة من عنده (فارتدا على آثارهما قصصا) أي عادا متتبعين آثارهما على الطريق الذي جاءا منه.

٦٥. فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا

قال القشيري: (إذا سمى الله إنساناً بأنه عبده جعله من جملة خواصه فإذا قال عبدي فهو من خاص الخواص). والعبد هنا هو الخضر والأكثرون على أنه كان نبياً واسمه (بليا ابن ملكان) ولقبه الخضر لاخضرار الأرض تحته في أي موقف يقفه. (آتيناه رحمة) آتيناه النبوة والوحي بدليل قوله تعالى: (أهم يقسمون رحمة ربك) إلا أنه ليس كل رحمة نبوة ولقوله تعالى: (وما فعلته عن أمري) وذلك مستلزم للوحي (مقتبس بتصرف من النيسابوري في شرح الآية) وروي أنه لما وصل موسى إلى الخضر سلم عليه قائلا: السلام عليك، فقال الخضر: وعليك السلام يا نبي بني إسرائيل، فقال موسى: من عرَّفك هذا – أي باسمي- ؟ قال الخضر: الذي بعثك إلي. (آتيناه رحمة) أي صار مرحوماً مخصوصاً بالرحمة وبها يصير راحماً للناس.

وبإضافة إلى الرحمة الممنوحة من الله للخضر فقد علمه الله علماً لدُنياً من علم الغيب (وعلمناه من لدنا علماً)، وقيل: العلم اللَّدُني هو ما يتحصل بطريق الإلهام دون التكلف بالطلب.

٦٦. قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا

قال موسى للخضر مراعياً أنواعاً من الأدب منها:

١. هل: توحي بأدب السؤال والإستئذان بدقة ولين.
٢. أتبعك: قال العلماء: إن موسى راعى مع الخضر في قوله: { هل أتبعك } أنواعاً من الأدب منها: أنه جعل نفسه تبعاً له مطلقاً، وفيه أن المتعلم يجب عليه الخدمة وتسليم النفس والإتيان بمثل أفعال الأستاذ وأقواله على جهة التبعية لا الاستقلال، فإن المتابعة هي الإتيان بمثل فعل الغير لأجل كونه فعلاً لذلك الغير، ولهذا لسنا متبعين لليهود في قولنا " لا إله إلا الله " لأنا نقول كلمة التوحيد لأجل أنهم قالوها بل لقيام الدليل على قولها، ولكنا متابعون في الصلوات الخمس للنبي صلى الله عليه وسلم لأنا نأتي بها لأجل أنه أتى بها. ومنها أنه استأذن في إثبات هذه التبعية. ومنها أنه قال: { على أن

تعلمني مما علمت } وفيه إقرار على أستاذه بالعلم، وفيه أنه لم يطلب منه إلا بعض علمه ولم يطلب. منه أن يجعله مساوياً له في العلم كما يطلب الفقير من الغني أن يدفع إليه جزءاً من أجزاء ماله لأكله، وفيه اعتراف بأن ذلك العلم علمه الله تعالى وإلا سمي فاعله، وفيه إشعار بأن إنعامه عليه في هذا التعليم شبيه بإنعام الله عليه فيه ومن هنا قيل: أن عبد من علمني حرفاً. ومنها أن الخضر عرف أنه نبي صاحب المعجزات المشهورة، ثم إنه مع هذه المناصب العلية والمراتب السنية لم يطلب منه المال والجاه وإنما طلب التعليم فقال: { على أن تعلمني } فدل ذلك على أنه لا كمال فوق كمال العلم، وأنه لا يحسن صرف الهمة إلا إلى تحصيله. وفيه أن كل من كانت إحاطته بالعلوم أكثر كان علمه بما فيها من البهجة والسعادة أكثر، فكان حرصه على زيادتها أوفر. ومنها أنه قال { رشداً } وهو يصلح أن يكون مفعولاً لـ { تعلمني } و { علمت } أي علماً ذا رشد أرشد به في ديني، وفيه تعظيم لما سيعلمه فإن الإرشاد هو الأمر الذي لو لم يحصل حصل الضلال. (من تفسير غرائب القرآن للنيسابوري للآية)، وهكذا بكل الأدب تواضع موسى عليه السلام لمعلمه الخضر طالباً مزيداً من العلم ولم تمنعه مكانته كونه كليم الله وكونه رسولاً من أولي العزم من استرضاء الخضر حتى يفوز منه بعلم لم يعلمه ، ولأجله طاف الشاطئ وتحمل مشاق الطريق وهذا ما يجب أن يكون عليه كل طالب علم.

٦٧. قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا

منذ البداية أوضح الخضر لموسى العقبات التي يمكن أن يلقاها في طريق تعلمه نظراً لاختلاف العلمين فهذا علمه علم لدني وموسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام علمه علم الشريعة والظاهر فكل منهما مبدع في نطاق علمه وأن الإنتقال إلى تعليم علم جديد يحتاج إلى صبر شديد وخاصة إذا كان هذا العلم مخفياً عن المتعلم ظاهراً بيناً للمعلم ولذا منذ البداية وضح له الطريق وصعوباته قائلاً: إن لدي علم لا تعلمه وعندك علم لا أعلمه فما الذي جاء بك ياموسى وعندك علم التوراة ألم يكفك ما فيها، فقال موسى: ولكن الله أمرني أن آتيك فأتعلم منك، ثم إن الخضر عليه السلام لم يترك موسى يواجه الصعوبات بمفرده بل علل له تلك الصعوبات بمفرده وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا. إنه من الطبيعي أن لا يصبر الإنسان على علم ليس لديه سابقة علم به ولم يحط بجوانبه وليس عنده أخبار عنه.

وأمام اصرار الخضر على صعوبة الصبر نجد موسى عليه السلام قد وطد العزم على بلوغ الغاية مهما تطلبت من جهد الصبر وبلاء الصبر على مالم يحط به خبرا؛ ولذا رد على الخضر عازماً ومؤكداً اصراره على الصبر وتحمل المشاق متوكلاً على الله.

واستطلاع المستقبل بالنسبة لسيدنا موسى في قوله (ستجدني) نوع من التفاؤل بالخير والأمل بالوصول إلى الغاية بمشيئة الله ورضوانه وقدره واستخدم السين هنا دلالة على سرعة وشدة تلهفه لتلقي هذا العلم ولم يستخدم سوف تجدني التي توحي بالبطء، فربط قدرته على الصبر بمشيئة الله ومع الصبر والرضى كان لا بد من الطاعة وهذه من شروط الإتباع. ألا وهي طاعة المتعلم للمعلم فيما يعلم في القول والفعل في الحاضر والمستقبل. قال العلماء لما ربط الصبر بالمشيئة صبر حتى وُجد صابراً، ولما لم يقرن الطاعة بالمشيئة عصى أمر الخضر فصبر بالأولى وعصى بالثانية.

وهكذا ما من نبي ربط قوله وعمله بالمشيئة إلا أنجز الله له ذلك كقول اسماعيل الذبيح عليه السلام (قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) الصافات) فصبر اسماعيل حتى جاءه الفداء .

ولما نسي الرسول صلى الله عليه وسلم أو نُسِّي أن يقول إن شاء الله تأخرت عنه الإجابة ١٤ يوماً كما ورد في مطلع السورة حيث نجد توجيه الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وللناس عامة (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله).

ويستطرد الخضر في إملاء شروطه وتوضيح نهجه التعليمي موضحاً لموسى أحسن السبل لتلقي العلم ألا وهو الإصغاء للمعلم وعدم مقاطعته أثناء الحديث وعدم اضاعة الوقت في أمورسيأتي ذكرها - في التالي من الأحداث وستوضح عللها - قبل استكمال الحدث ووضوحه وشرحه من قبل الخضر.

٧٠. قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا

هكذا أبدى موسى للخضر عزمه على الإتباع. فحزم الخضر لموسى أمر الإتباع بعدم إحداث شيء أو السؤال عن ظاهرة أو علتها قبل استكمال هذه الظاهرة لما في المقاطعة من التشويش وسبق الأحداث وإضاعة الوقت.

لا تسألني: (لا) ناهية جازمة، وياء المتكلم (ي) هنا للتخصيص، فهو لم يمنعه من سؤال غيره فيما لا يخصه، وإنما منعه من سؤاله عن أشياء ستبدى له في المستقبل، و سيشرحها ويفصلها له. ولما تمت الموافقة على خطة التعليم وأساليبها وتم توضيح الصعوبات التي قد تواجه المتعلم (وكيف تصبرعلى مالم تحط به خبرا)، كما تم الاتفاق على كيفية تذليلها بقول موسى (ستجدني ....) أي بالصبر والطاعة، وقول الخضر(...فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا)، وهكذا بدءا في تنفيذ الأنشطة التعليمية والتربوية، فقد كان الهدف منها إعطاء موسى دورة (كورسا) تربوية تعليمية، فليس لأَحد أن يدعي أنه لا أَحدَ

أعلم منه؛ ففوق كل ذي علم عليم، ولذا عاتب الله جل وعلا نبيه موسى عليه السلام لما سأله أحدهم بعد خطبته البليغة في قومه والتي نصها: قال ابن عباس: لما ظهر موسى وقومه على أرض مصر أنزل قومه مصر، فلما استقرت بهم الدار أمره الله أن ذكرّهم بأيام الله، فخطب قومه فذكّرهم ما آتاهم الله من الخير والنعمة إذ نجاهم من آل فرعون، وأهلك عدوّهم، واستخلفهم في الأرض، ثم قال: وكلم الله نبيكم تكليما، واصطفاه لنفسه، وألقى عليّ محبة منه، وآتاكم من كل ما سألتموه، فجعلكم أفضل أهل الأرض، ورزقكم العز بعد الذل، والغنى بعد الفقر، والتوراة بعد أن كنتم جهالا؛ فقال له رجل من بني إسرائيل: عَرَفنا الذي تقول، فهل على وجه الأرض أحد أعلم منك يا نبي الله؟ قال: لا؛ فعتب الله عليه حين لم يرد العلم إليه، فبعث إليه جبريل: أن يا موسى وما يدريك أين (أضع) علمي؟ بلىٰ إن لي عبداً بمجمع البحرين أعلم منك؛ وذكر الحديث.

عندها سأل أحدهم موسى قائلاً: هل تعلم ياموسى أحداً أعلم منك، فقال موسى لا أعلم، وفي هذا الجواب ما يشير إلى شيء من علم الغيب لم يطلع عليه موسى،ورغم ذلك تحدث فيه؛ لذا كانت رحلته في طلب الخضر رحلة في طلب العلم الغيبيّ وهذا شيءٌ رائعٌ، فعندما يقع أحدنا في الخطأ وتتاح له فرصة تصحيح هذا الخطأ وفرصة تزويده بعلم وافر عما ظن أنه صحيح إلا أنه في الحقيقة لم يكن صحيحا؛ فإنه سيشعر بمزيد من الراحة والنشوة فضلاً عن مزيد من الرحمة والرفق به، وهكذا لما ظن موسى أنه يعلم، وكان هذا الظن متداخلاً في علم الغيب فأحيل على تعلم علم الغيب.

قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا يعقوب عن هارون بن عنترة عن أبيه، عن ابن عباس قال: سأل موسى عليه السلام ربه عز وجل فقال: أي رب أي عبادك أحب إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني. قال: فأي عبادك أقضى؟ قال: الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى. قال: أي رب أي عبادك أعلم؟ قال: الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تهديه إلى هدى، أو ترده عن ردى، قال: أي رب هل في أرضك أحد أعلم مني؟ قال: نعم، قال: فمن هو؟ قال: الخضر. قال: وأين أطلبه؟ قال: على الساحل عند الصخرة التي ينفلت عندها الحوت. قال: فخرج موسى يطلبه، حتى كان ما ذكر الله، وانتهى موسى إليه عند الصخرة، فسلّم كلُ واحد منهما على صاحبه، فقال له موسى: إني أحبّ أن أصحبك، قال: إنك لن تطيق صحبتي قال: بلى. قال: فإن صحبتني { فَلاَ تَسْأَلْني عَن شَيءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً } قال: فسار به في البحر حتى انتهى إلى مجمع البحرين، وليس في الأرض مكان أكثر ماء منه، قال: وبعث الله الخطاف، فجعل يستقي منه بمنقاره، فقال لموسى: كم ترى هذا الخطاف رزأ من هذا الماء؟ قال: ما أقل ما رزأ قال: يا موسى، فإن علمي وعلمك في علم الله كقدر ما استقى هذا الخطاف من هذا الماء، وكان موسى قد حدث نفسه أنه ليس أحد أعلم منه، أو تكلم به، فمن ثم أمر أن يأتي الخضر، وذكر تمام الحديث في خرق السفينة، وقتل الغلام، وإصلاح الجدار، وتفسيره له ذلك.

٧١. فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا

نحن هنا أمام الدورة التربوية التعليمية الأولى التي سعى موسى ليستفيد منها وليتعلم منها بأمر من الله، فالله لا يطلع على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول؛ لذا ليس لأحد أن يدعي هذا العلم رسولاً كان أم نبياً أم ملكاً مقرباً إلا برضى الله، وإن أخذ موسى لهذه الدورة على يد الخضر كان تشريفاً لموسى ورقياً به في معارج الكمال الرسالي.

ونفاجأ هنا منذ بداية الدروس التطبيقية في علم الغيب، نفاجأ بكلمة فانطلقا.

فبماذا توحي لنا الفاء هنا؟ وبماذا توحي لنا كلمة فانطلقا؟ إن الإنطلاق يوحي لنا بسرعة الحركة والتحفز لبدئها. من كليهما المعلم والمتعلم وكأنهما كانا محبوسين كالفرس الجموح الأصيل المحبوسة في ميدان المعركة ما إن تتاح لها الفرصة إلا وتنطلق وبسرعة متشوقة لميدان المعركة وهكذا كان الخضر وموسى متشوقين لتنفيذ أمر الله. وإن التشوق للمعرفة عامل مهم في اكتسابها وكذلك عامل مهم للمعلم عندما يرى تلميذه متشوقاً إليها وكلاهما متشوق لتنفيذ أمر الله. مما مضى عرفنا لماذا انطلقا ولكن الآن لنا أن نسأل انطلقا إلى أين وكم المسافة وماذا قالا في الطريق؟ وماذا رأيا هذا ما لا نعلمه.

ولكن المهم أن نعلم أنهما أخيراً ركبا في السفينة بدون نوال - بدون أجر- لأن أصحاب السفينة قالوا عن الخضر هذا هو الرجل الصالح فلا نأخذ منه أجراً، وكانت تكرمة، بذلها المساكين لله فصان الله سفينتهم من أن يغتصبها الملك الظالم الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا. ولكن ما إن استقر في السفينة حتى بدأ الخضر بخرق السفينة ونزع ألواح منها فما كان من موسى إلا أن احتج على هذا الفعل قائلاً: أخرقتها لتغرق أهلها، أهذا أجر من حملنا في سفينته بدون أجر! وراح موسى عليه السلام يسد الخرق بثيابه، وهكذا عاد موسى إلى علم الشريعة، ألا لا ضرر ولا ضرار ونسي أنه في حيز التعليم والتدريب والتربية وأنه ليس له أن يعترض عل المعلم وخاصة أنه مكلف من قبل الله بالتعلم منه ولكنه النسيان وهول المفاجأة ،إنه الغرق، إنه جزاء سنمار؛ قوم حملونا في سفينتهم بغير أجر، هل نكافئهم بخرق سفينتهم والتسبب لهم بالغرق؟! واللام للعاقبة. (لقد جئت شيئاً إمرا) لقد جئت يا صاحبي يا خضر بأمر خطير فيه ازهاق لأرواح المساكين الذين تفاءلوا بنا خيراً، أنكافئهم بغير ذلك؟ هنا لقد نسي موسى شرطاً أخذه على نفسه وهو الاتباع للخضر كما نسي شرطاً ألزمه إياه الخضر المعلم وهو أن لا يسأله عن شيء حتى يحدث له منه خبرا. لقد نسي موسى أنه في حقل تربوي تعليمي يختلف تماماً عما تعلمه موسى من علم الحق والشرع والظاهر ، كما نسي موسى حالته وهو رضيع عندما ألقته أمه في التابوت في اليم فهل غرق موسى؟ ومتى كان الخرق يغرق؟ إلا بمشيئة الله.

وهكذا احتج موسى الرسول الكليم على فعل الخضر العبد الذي آتاه الله رحمة من عنده، وعلمه من لدنه علما. نسي موسى وقال مستنكراً فعل الخضر (أخرقتها لتغرق أهلها) ثم قيّم هذا العمل الغيبي بقوله لقد جئت شيئا امرا. وهنا تتابع الأفعال (انطلقا، ركبا، خرقها، أخرقتها، لقد جئت شيئاً امرا) تتسارع الأفعال بورودها لتوحي لنا بانتصار موسى الكليم الشديد للشريعة. هذه الشدة في الحق أنست موسى ما كان يجب عليه أن يكون ولذا ذكره بكل لطف وبكل رحمة، ذكره المعلم الخضر بما وضحه له بداية وبما نسيه لأول حادثة فقال الخضر عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام. قال:

٧٢. قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا

لأنك ستنكر علي ما أنت معذور فيه ؛لأنك لم تطلع على الحكمة من أفعالي والمصلحة التي اطلعت أنا عليها ولم تطلع أنت عليها .

قال الخضر لموسى معاتباً ومنبهاً ومذكراً ومقرراً إنك لن تستطيع معي صبراً.

هذه هي الحقيقة التي استشرفها الخضر بداية بما أوتي من علم الغيب وبما يوحيه له اختلاف العلمين، علم موسى وعلم الخضر عليهما السلام.

(إنك): تقرير وتوكيد ، (لن تستطيع): نفي للحاضر والمستقبل ، (معي): تخصيص بالخضر.

ومهما حاولت أن تطيعني، ومهما بذلت من جهد وطلبت من استطاعة، فلن تقدر على الصبر معي على ما أفعل وما أقول. وكأن في العبارة حث لموسى على الالتزام بالشروط والعهود. وفيها أيضاً وضوح قرارات الخضر وصوابها وظهور حقيقة ذلك من أول تطبيق عملي تعليمي تربوي لأن الخضر إنما أوتي علما لدنيا غيبياً أمام هذا العتاب التقريري والتذكيري ماذا قال موسى؟

٧٣. قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا

قال موسى عليه السلام لا تؤاخذني قدم الإعتذار أولا قبل أن يشير إلى السبب وهذا أسلوب تربوي رفيع المستوى . يوحي بمدى تأدب كليم الله مع معلمه. وهو ما يحب أن يكون عليه كل متعلم مع معلمه بل كل مخطأ مع من أخطأمعه. ثم عرض موسى للخضر سبب عدم التزامه بالشروط معللاً ذلك مبرراً فعله واحتجاجه على الخضر مرجعاً ذلك إلى عامل النسيان، والنسيان ظاهرة عامة في حياة البشر إذ لا يؤاخذ بعضهم بعضا به ، كما أنه وارد

جداً في حياة الطلبة وسعيهم في حفظ الدروس أو أداء الواجبات. وهكذا قبل الخضر عذر موسى لأن الله لا يؤاخذ عباده بالنسيان لقوله صلى الله عليه وسلم (رفع القلم عن أمتي فيما استكرهوا عليه، والناسي والنائم حتى يستيقظ) ومع تقديم العذر وبيان السبب قدّم موسى عليه السلام التماساً يطلب فيه من الخضر ألا يشدد عليه أو يرهقه أو يضيق عليه، ثم بدأ الكورس الثاني (أي الدرس الثاني) بنفس قوة النشاط والحيوية والشوق إلى أداء المهمة واشتركا (موسى والخضر) في سعيهما الحثيث لأداء المهمة التعلمية والتعليمية والتربوية الكمالية.

٧٤. فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا

أي بعد ذلك أي بعد قبول العذر خرجا من السفينة يمشيان على الساحل،و انطلقا فوجدا غلاما يلعب مع الغلمان في القرية وكان الغلام أحسنهم وأجملهم فقتله الخضر، فلما شاهد موسى عليه السلام ذلك أنكر ذلك إنكاراً أشد مما فعل أثناء احتجاجه على الخضر لخرقه السفينة، وسارع بالقول للخضر: (أقتلت نفساً ذكية بغير نفس) أي نفس طفل ما عمل إثماً بعد (بغير نفس) أي بلا دليل يوجب قتله، لقد جئت شيئاً واضح النكارة . كان في الظاهر على موسى أنه يجب عليه منعه ،ولكن بما أنه يعرف مكانة الخضر وعلمه اللدني؛ بل كان عليه أن يتوقف عن الإحتجاج والإنكار، وأن يتريث حتى يعلم لم فعل ذلك الخضر؟ وهل هذا محظور عليه أم مباح له ؟ولكنها حميّة الدين والشرع والغيرةعلى حدود الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولقد كان موسى عليه السلام صابراً عالماً.

وهنا ومرة ثانية عاد الخضر عليه السلام ليؤكد تذكير موسى عليه السلام بالشرط الأول قائلاً: ألم أقل لك إنك .....

٧٥. قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا

وهنا أيضاً أعاد العبارة الأولى التي أدلى بها الخضر لموسى بداية مذكراً إياه بالشرط ومضيفاً إليها (لك) لتخصيص المخاطب ولتأكيد الخصوصية ولفت الانتباه للتذكير السابق ولتقوية العتاب، وبعد التخصيص يأتي التوكيد بقوله: (إنك) ثم النفي (لن تستطيع معي صبراً) أي لن تستطيع أن تصبر على ما أفعل ؛لأنه من علم الغيب أو علم الباطن ،وعلمك يا موسى علم شريعة وظاهر.

٧٦. قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا

ندم موسى على مخالفته لشرط الاتباع وهو التريث والانتظار وعدم مقاطعة الخضر حتى يشرح له العلل والأسباب والحكم؛ لذا اعتذر عما بدر منه واستحيا من الخضر لكثرة مخالفته وأنصف الخضر، وأعطاه حكم المفارقة وترك صحبة موسى رغم شوقه لملازمته، والمسلمون عند شروطهم، وهي لازمة لهم وأحق من يوفي بالشروط من البشر الأنبياء.

فلقد بالغ الخضر في قبول اعتذاره ولم يعنفه ،وإنما ذكَّرَهُ بالشرط وهذا من أدب الأنبياء والعلماء، أي بلغ الخضر مبلغاً يُعذَر فيه في ترك مصاحبة موسى.

٧٧. فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا

جاءا إلى أهل قرية وقد أنهكهم الجوع؛ فاضطروا إلى مطالبتهم بحق الضيافة فأبوا، وكانوا قوماً لُؤَماء بخلاءَ ،واختلف في القرية فقيل :أنها أيلة وهي أبخل قرية :وقيل أنطاكية. وقال الثعلبي: هي ناصرة، وإليها ينسب النصارى. وفي الحديث الشريف :(كانوا أهل قرية لئاماً) ولما أقام الخضر الجدار ولم يطلب أجراً قال له موسى: (لو شئت لاتخذت عليه أجراً)، فاعترض عليه من أجل الأجر، وليس من أجل العمل، فالعمل كان خيراً. قال ابن عطا: رؤية العمل وطلب الثواب به يبطل العمل ،ألا ترى إلى الكليم لما قال للخضر: (لو شئت لاتخذت عليه أجراً) كيف فارقه ؟! وهنا لم يحتج موسى على الخضر لبنائه الجدار؛ فهذا عمل ظاهره وباطنه خير، بينما احتج في الأوليين لأن الظاهر كان غير حق، ولكن موسى طالب الخضر بأخذ الأجر وربما قال: إذا كنت راعيت حق الغلامين وراعيت نفسك، فلم تطلب حقاً لها فأين حق نفسي؟ فالخضر لم يفارقه فيما مضى لأنه كان يطلب الحق لغيره أما وقد طلب الأجر لنفسه عندها فارقه ،قال النصر أبادي: لما علم الخضر انتهاء علمه وبلوغ موسى منتهى التأدب قال: هذا فراق بيني وبينك وقيل غير ذلك والله اعلم.

مقتبس من تفسير عرائس البيان للبقلي فيما يخص الآية (نت ص١٥).

فوجدا جداراً يريد أن ينقض: صورة جمالية بالغة الروعة على سبيل الاستعارة المكنية.

٧٨. قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا

لقد كانت الأولى من موسى نسياناً والثانية شرطاً والثالثة عمداً؛ فكان لابد من المفارقة إلا أن الخضر لم يشأ أن يترك موسى بدون توضيح لأفعاله وبيان الحكم منها والأهداف السامية

التي كان يقصد بها الخضر مجتمعة من تقديم الخير والاصلاح للناس ودفع الضرر الأعلى بضرر أدنى، كما أن هذه الأحداث ذكرت موسى بأحداث مماثلة وقعت له ،ولم يعترض عليها وكان فيها خير له، فَالْيَمُ لم يغرق موسى، وموسى قتل رجلاً بوكزة غير مقصودة، وسقى للفتاتين، وكان جائعاً ولم يطلب أجراً منهما.

من وصية الخضر لموسى عند الوداع: قيل- إن الخضر لما ذهب يفارق موسى قال له موسى: أوصني؛ قال: كن بَسَّاماً ولا تكن ضَحَّاكاً، ودع اللَّجاجة، ولا تمش في غير حاجة، ولا تعب على الخطّائين خطاياهم، وابك على خطيئتك يا ابن عمران.

ماذا نأخذ من الآيات لواقعنا المعاصر؟

١. إنّ الذي دلّ موسى عليه السلام على الخضر هو الله تعالى؛ وكان الغرض من ذلك أن يزداد موسى علماً من علم الغيب، بعد أن عاتبه الله على ادعائه علم الغيب عندما سئل أأحد أعلم منك؟ ومن هنا ننطلق إلى الواقع حيث لا بد أن تنتشر لدينا الأدلة الإرشادية لمختلف أنواع العلوم والتربية حيث سأل موسى ربه أين أجد هذا المعلم؟ فَدَلّهُ عليه وسهل له لقاءه وأرشده إلى أمارات ذلك. أيضاً لا بد من وجود مراكز تربوية وتعليمية ولكل اختصاص، فاختصاص الخضر كان في علم الحقيقة أي الباطن أما علم موسى فكان حول علم الشريعة والظاهر وأمتنا تفتقر إلى الدليل وإلى المركز وطلاب جامعاتنا يعانون الكثير الكثير في هذا المضار. فلا أدلة ولا مراكز متخصصة ولا بحوث تنمي الثروة العلمية وتبني المجتمع وتطوره وهذا داء شمل الرقعة العربية لوجود اعاقات كثيرة في مجال تطوير العلوم والآداب والتربية بعض هذه العوائق يأتي من الداخل وبعضها خارجي. والعوائق الداخلية أشد وأخطر من الخارجية لأنها تأخذ دور المنافق والعميل وتتستر بشعارات براقة وتخفي تحتها السم الزعاف وعلاجها يتم بمبادرة أهل الخير والثروة بإنشاء البديل أو بإحداث الجديد الذي حقاً يكون مصدر إشعاع وإنارة كما أنار الخضر لموسى بعضاً من علم الغيب الذي آتاه الله.

٢. إن التربية والتعليم في الإسلام لها سمات خاصة ورفيعة المقام وما تزال النظم التربوية الحديثة تحبو باتجاهها وإن كنا نحن أصحابها قد أضعناها وبدأنا نلهث وراء من يقتات على فتات موائدنا الخالدة ومن هذه السمات ما يخص الطالب وأخرى المدرس وثالثة المنهج فإذا تناولناها على انفراد وجدنا سيدنا موسى عليه السلام وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام نجده:

- قد شد المئزر وعزم على تلقي العلم ولو طاف من أجله الأرض ولو لقي من أجله الوعثاء والنصب ولنستمع إلى موسى وهو يحدث فتاه عن اصراره وعزمه بلوغ نهاية المطاف (وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح ....) على طالب العلم أن يكون صادق العزيمة سديد الرؤية واضح

الهدف.

- على طالب العلم أن يتزود بما يكون معيناً له على الإستزادة من طلب العلم وحتى لا تكون الفاقة عائقاً منيعاً أمام طلب العلم وهنا أنوّه إلى أهمية تزويد طلابنا وطالباتنا بما يعينهم على التفرغ للتحصيل العلمي وهذا واجب الدولة الحريصة على تقدمها، كما هو واجب الآباءو رجال الأعمال الذين يجب أن يستثمروا أموالهم في صناعة العقل العربي والمسلم وتطويره كما أن ديننا الحنيف قد أسس لذلك فجعل مصرفاً من مصارف الزكاة لطالب العلم.

قال موسى لفتاه: (آتنا غداءنا) فقد تزود لرحلته وتفرغ لعلمه.

-(هل أتبعك) تأدب طالب العلم وملاطفته لمعلمه: لقد تواضع موسى لمعلمه وألان له القول وأوضح له (الدورة) التي يريد أن ينهل فيها من علم الخضر فجاء ب(هل) الاستفهامية المتأدبة رغم علو مقام موسى في الرسالة وكونه الكليم إلا أن هذا لم يمنعه من التأدب والتلطف مع الخضر الذي هو دونه في المنزلة وإن كان لديه علماً لا يعلمه موسى، ثم أردف ذلك الاستئذان بكلمة (أتبعك) التي توحي بالملازمة والاتباع والطاعة لكل ما يطلبه الخضر منه. إنه الاتباع والولاء والطاعة والتسليم والتقدير من موسى لمقام المعلم الخضر.

٣.أوضح موسى (كطالب علم) لمعلمه الهدف من متابعته والتتلمذ على يديه فهو يبغي علماً خاصاً من علم الغيب يرشده إلى الصواب في حياته (على أن تعلمني مما علمت رشداً).

٤.(قال ستجدني إن شاء الله صابراً) عزم وإصرار على تحمل المشاق والصبر على المكاره وما كان للذي يبتغي وصول المنى وتحقيق المكارم إلا أن يستسهل الصعب وهذه سمة بارزة يجب أن يتخلق بها كل طالب علم، قال الشاعر:

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر

وقيل: من جد وجد، ومن سار على الدرب وصل، ومن صبر ظفر

وقيل: من طلب العلا سهر الليالي وأفنى العمر في طلب المعالي.

وقيل: أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

ويقول الإمام علي: (لا بارك الله في يوم تطلع عليَّ فيه الشمس لم أزدد فيه علماً يقربني إلى الله.

٥.ومع الصبر والعزيمة والاصرار نجد التوكل الصادق على الله في طلب العون على وعثاء الطريق وتسديد الهدف وبلوغ المرام، فالعبد إذا امتلك عنان الصبر وكبح جماح الكسل والخذلان والخلود إلى سفاسف الأمور وجمع إلى ذلك كله صدق التوكل على الله ؛فقد نال ما تمنى ولن يخيب الله راجيه.

٦.(ولن أعصي لك أمراً) ومع الصبر في طلب العلم هناك التوكل الصادق على الله ولابد لهما من ثالث وهو عدم العصيان فماذا يستفيد الطالب إذا عصى مدرسه، فالعصيان والتمرد والاحتجاج على المدرس وعدم طاعته معاول هدم مدمرة لمسيرة التعليم، وقيل إن موسى استثنى بالصبر فصبر ونسي ان يستثني بالعصيان فعصى الخضر.

لما وقع موسى عليه السلام في المحظور والمحذور كان ذلك بداية النهاية ولكنه مرَّ خلالها بثلاث مراحل أو بثلاثة دروس تربوية تعليمية.

عصى موسى الخضر فيما التزم به أولاً ولكنه صبر على الخضر ولم يأخذ على يده إلا أنه وقع في المحظور عليه فما كان منه إلا أن قدم الاعتذار وبيان السبب قائلاً: (لا تؤاخذني بما نسيت) فالاعتذار (لا تؤاخذني) فقد أحس بالخطأ فقدم الاعتذار قبل أن يقدم الحديث عن خطئه لما في ذلك من استجلاب العطف واستدرار رحمة المعلم وكذلك قبل أن يقدم طلب العفو والصفح (فلا تؤاخذني – بما نسيت – ولا ترهقني من أمري عسرا). والنسيان عذر مقبول وطلب اللين والرفق بموسى دلالة على حرصه على طلب العلم واحترامه وحبه لمعلمه، ولما تكرر العصيان ثانياً بقوله: (أقتلت نفساً) كان لابد من توجيه الانذار والتذكير بما شرط موسى على نفسه.

٧.من شمائل طالب العلم الوفي والصادق في طلبه أن يتحلى بالحياء. ولذا استحيا موسى من الخضر وعذر الخضر في عدم مصاحبته إن وقع في الخطأ والنسيان ثالثة وهذا يدل على إنصاف موسى- كطالب علم - لمدرسه الخضر وأيضاً إنصافه لحاله وذلك عندما قال: (إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً).

وأوجز فيما يلي:

أ. أهم السمات التي يجب أن يتحلى بها طالب العلم اليوم:

١. الأدب في طلب العلم.

٢. وضوح هدفه.

٣. الصبر.

٤. طاعة المدرس وعدم عصيانه.

٥. الانصاف والمبادرة للاعتذار عن الخطأ.

٦. قدرته على استعطاف مدرسه لينال المزيد من علمه.

٧. الحياء.

وللأسف الشديد أننا لانجد توافر مثل هذه السمات إلّا في النخبة من الطلبة وقليلٌ ماهم،ولانحمّل الطلاب وحدهم مسؤولية ذلك،وإنما نضع معهم في قفص الإتهام:النظم التربوية والسياسية والإقتصادية ووسائل الإعلام المتخلفة وبعض الوعاظ الذين يغردون خارج السرب أو في بلاط السلاطين.

ب. أهم السمات التي يجب أن يتحلى بها المعلم المعاصر :

١.فهمه لسمات تلميذه وتقييمه تقييماً جيداً لتلك السمات .

٢. أن يفهم الهدف الذي يسعى إليه المتعلم.

٣. أن يحيط المعلم علما بالجو النفسي للطالب وبمدى قدراته على متابعة النهج التربوي والتعليمي.

٤. إلمام المعلم بسيرة حياة الطالب وبيئته.

لذا أدرك الخضر عليه السلام منذ البداية سمات موسى عليه السلام المتشدد في أمر الله والحازم في تطبيقه والمتعجل غضباً لله، فعلم الخضر مسبقاً أن موسى قد امتلكه الغضب لوجه الله حينما ألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه فكيف يمكن لمثل من هذه صفاته أن يصبر على ما لم يحط به علماُ ؟ وكيف يصبر على انتهاك الشريعة ظاهراً حتى ولو كان ذلك من الخضر؟ رغم ثقته به وبأمانته وبعلمه اللدني، ولقد أدرك الخضر صعوبة الصبر والدرجة الحرجة التي لا يمكن لموسى أن يتحمل ما بعدها؛ لذلك أوضح له منذ البداية صعوبة الصبر علماً بأن الخضر صبر على ما بدى من موسى عصياناً للشروط التي أخذها على نفسه وهكذا يتلطف الخضر بموسى مذكراً له بالشرط في كل مرة وهذا ما يجب أن يتخلق به معلمو اليوم وهو الصبر على الطلاب وعلى أخطائهم وعلى نسيانهم ثم العفو عنهم واللين في تذكيرهم ؛ليتجنبوا الوقوع في الخطأ ثانية؛ ومن هنا نجد أن الرحمة والصبر سمتان بارزتان يجب أن يتخلق بها المعلمون لما لهما من أهمية في استمرارية العمل

التربوي والتعليمي وبلوغه أهدافه.

٤. يقظة المعلم وتقييمه لتلميذه تقييماً مستمراً، وكذلك تقويمُهُ بالنصح والإرشاد فإذا ما أحس بخرق التلميذ المتكرر للنظم التربوية فإن عليه أن يتخذ القرار المناسب في الوقت المناسب دون أن يولد حزناً عند المتعلم أو عقداً نفسية، بل إن المعلم الناجح هو الذي يجعل الطالب يدين نفسه بنفسه ويكتشف نفسه ويبادر بالاعتذار عنها، وهذا ما فعله الخضر مع موسى، لذا لابد من الدقة والمتابعة المتكررة في تقييم الطالب مما يتيح للمعلم أن يتخذ قرارات صائبة ومفيدة للمعلم والمتعلم.

٥. لا يجوز للمعلم أن يترك طالب العلم في حيرة من أمره أو في استغلاق لفهمه فيتركه يعاني الحيرة والقلق ويعيش الغموض والخوف من النتائج والمستقبل.

على المعلم أن يوضح لطالبه كل وعثاء الطريق وكيفية التغلب عليها، وعليه أن يجيب عن كل تساؤلات واستفسارات تلاميذه لا أن يتركهم في جهل مطبق بما يدور من حولهم؛ لذا صبر الخضر على موسى وطمأنه في كل مرة وبعث فيه الأمل أن يجيب على أسئلته في الوقت المناسب.

٦. إن طرق التربية والتعليم يجب أن تؤسس على أسس ثابتة ومدروسة لا أن تكون لعبة بيد الحاكم أو حاشيته أو أصحاب الأفكار القاصرة أو النزوات المدمرة أو العنصريين.

إن النظم التربوية والتعليمية أساس نهضة الأمة وسعادتها فهي ترسم مستقبلها وتنهض يحاضرها، ولذلك يجب أن تكون بأيد أمينة على الأمة وأن تكون هذه النظم عصيَّة على التبديل والتغيير تبعاً لنزوات طارئة أو أهواء حزبية أو طائفية أو لاجتهادات فردية مستعجلة وهذا كله ما يفسر لنا تخلف الأمة المسلمة المعاصر إذ أننا نجد النظم التربوية والتعليمية لا تقف على أرض صلدة ولا تتطلع إلى مستقبل مشرق بقدر ما تتطلع إلى نزوات طائشة وتقوم على أسس خُلَّبِيَّة من تمجيد الحاكم الطاغي بل وتقديسه وتنزيهه والدوران في فلكه.

لقد وجدنا في سورة الكهف إصرار المعلم على نهجه وحرصه على أن يبلغ مع طالبه الأهداف التي قد اتفقا عليها ونجدهما (موسى والخضر) عليهما السلام قد انطلقا بهمة ونشاط لتحقيق أهدافهما كما نجد عدم تراجع الأستاذ عن المبادئ والأسس التي اتفق عليها مع تلميذه بداية، فالخضر ورغم احتجاج موسى عليه إلا أنه ظل ملتزماً بما اتفقا عليه، فلم يشرح له أية مسألة في حينها بل أرجأه إلى نهاية المطاف أي نهاية الدورة التربوية التعليمية، وعندها أراحه وأزال ظنونه وأوَّلَ (أي فسر وعلل) له أي لموسى مالم يستطع عليه صبراً.

٧.(كان أبوهما صالحاً) سخر الله رسولا من أولي العزم وهو موسى ونبياً على أرجح الأقوال وهو الخضر سخرهما في خدمة غلامين يتيمين إكراماً لأبيهما الصالح، فعلينا إن

أردنا أن يحفظ الله ذرارينا في دينهم ومعاشهم ومعادهم علينا أن نحفظ الله، جاء في الحديث الشريف: (.....احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده اتجاهك....). وصلاح المرء يعطي ولكنه في الدنيا قد يبطي إلا أنه في الآخرة يوفي ولا يبطي. كما أن الآية ترشدنا إلى أهمية الاعتناء باليتامى وبذرية الصالحين خاصة لما في ذلك من تعزيزٍ للصالحين وتشجيع لغيرهم حتى يسلكوا مسلكه وبالتالي يصلح المجتمع.

إن يتامى المسلمين في هذا العصر غدوا في أكثر بقاع المسلمين أشبه باليتامى على مائدة اللئام وإن المجتمع الذي لا يعتني بضعفائه مجتمع آيل للسقوط والخذلان، قال صلى الله عليه وسلم: (هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم) كما حثنا الاسلام على الاعتناء باليتيم فقال تعالى: (أما اليتيم فلا تقهر) وقال صلى الله عليه وسلم: (أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين) وأشار بإصبعيه.

٨.(لو اتخذت عليه أجراً) على المعلم أن يحتسب الأجر عند الله وأن يمتلك العفة في الطلب إن كان لديه ما يكفيه من مؤن، فعندما طلب موسى من الخضر أن يأخذ أجراً على عمل صالح أدّاه قال له الخضر: هذا فراق بيني وبينك.

٩. علينا أن نختار في حياتنا أخف الضررين وأن نقيس الأمور قياساً دقيقاً وأن نوازن بين الأخطار ونتبصر بالنتائج فالأمور بخواتيمها، ولذا وجدنا أن أعمال الخضر كانت في الإصلاح دائماً ودرء المضار الشديدة بمضار خفيفة.

١٠. تقديم العلم على الجهاد فلا جهاد بدون علم ولذا رغم تباعد قصة لقاء الخضر بموسى ورحلته في طلب العلم عن قصة ذي القرنين إذ أن قصة ذي القرنين ورحلته في الأرض مجاهداً كانت متقدمة زمناً عن قصة موسى والخضر عليهما السلام إلا أن السورة قدمت قصة رحلة موسى وطوافه من أجل العلم على قصة ذي القرنين، وذلك للدلالة على أهمية العلم وتقديمه عادة على الجهاد إلا في حالات خصها العلماء بغير ذلك والله أعلم.

١١. على الفقراء أن يكونوا كرماء وأن ينزلوا الناس الصالحين منازلهم اقتفاء لأثر المساكين أصحاب السفينة الذين أركبوا الخضر وموسى عليهما السلام بدون نوال أي بدون أجر.

١٢. صلاح الآباء داع للعناية بالأبناء لذا علينا أن نعتني بأبناء العلماء وأبناء الشهداء.

١٣. إن الله يرتفع بأنبيائه في معارج ومدارج الكمال النبوي؛ ولذا يعاتبهم ويسددهم ويصوبهم ليكونوا دائماً في قمة الكمال النبوي. أما غيرهم من البشر فيجب أن يوقنوا بأن حسنات الأبرار سيئات المقربين ومن أمثلة ذلك ما ورد في القرآن الكريم كقصة موسى والخضر ومثال ذلك قوله تعالى (عبس وتولى) (وغفر الله لك لم أذنت لهم) (لقد تاب الله على النبي) و (اصبر نفسك) والأمثلة كثيرة عن أنبياء الله وما علينا إلا أن نقتفي آثارهم قولاً

وعملاً.

١٤. علينا أن نميز بين التوكل والتواكل فالأول ثقة بالله والثاني عجز وسوء فهم.

١٥. جواز الإخبار بالجوع (آتنا غداءنا) لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا وجواز الإخبار غير قادح بالمرء لجواز طلب حق الضيافة.

١٦. اللين والرفق في معاملة الفتيان -الخدم- والرفق بالرفقة والأصدقاء ففي رحلة موسى الطويلة في طلب العلم لم يشق على فتاه بل قال لفتاه: اكفلني في أمر الحوت فقال له: يوشع عليه السلام (ما كلفتني ما يشق علي).

١٧. علينا أن نرحل في طلب العلم ولو كان في ذلك نصب وتعب وطول طريق ووعثاء. ويوم كانت الأمة تقرأ والأئمة يرحلون في طلب العلم ليتفقهوا في الدين وقت ذلك كان الخير يعم الأمة بل البشرية .وهذا الخلق -أي حب العلم- آمل أن يعود إلى شباب الأمة وعلمائها في كل مجالات الحياة بعد أن انحسر انحساراً شديدا وتقوقع في دوائر ضيقة كان في أغلبهاهادفا إلى الإرتزاق من وراء طلب العلم .

هذاولقد أخذت أوربا بهذا المبدأ؛ فرحل علماؤها في أصقاع الأرض وغاصوا في البحار، وعلوا الجبال وسبحوا في الأفلاك وحطوا أقدامهم على وجه القمر وتبصروا في الكون والإنسان، بينما أخلدت الأمة الإسلامية إلى اجترار فتات العلم، وما ذاك من خلقها وإنما أُطرت عليه أطرا ،إذ حوصرالعلم،وشرد العلماء ،بل وفتك بهم ،فتحولت المخابر إلى مخابز، والجامعات إلى مراقص ودورأزياء ومؤسسات تنتج موظفين غير مبدعين و تصدرالبطالة،وأقيم الحفل التأبيني الأخيرللعلم ، فجاع الشعب إلى رغيف الخبز،كما جاع العلماءإلى المعرفة، وكمت الأفواه فأصبح رغيف الخبز عندنا بدراً فعلام نصعد إلى الفضاءإلى القمر؟!وقمرنا القريب في المخابزولانصل اليه بعد الذل والاذلال؟فلنتسابق إلى المخابز إلى مراكزالقهر والإستجداء، فالبطون الجائعة قلما تفكر في غير قمرها القريب!لذا فطن المستبدون إلى ذلك فاعتمدوا مع الأمة مبدأ:جوع كلبك يلحقك.

- إن عدونا نحن الذين صنعناه بأيدينا ،وأقمناله التماثيل وخلدنا ذكراه العطرة ، واحتفلنا بعيد ميلاده الميمون ،وبعيد جلوسه على رقابنا وسلخ جلودنا ، فلهجت ألسنتنا بحمده وشكره والثناء عليه وعلى ذراريه الذين مازالوافي الأصلاب وغردنا له مع الطيور الطائرة،وعزفنا له سمفونية الخلود :بالروح بالدم نفديك ياحبيب الجماهير وقديما قيل :

دع المكارم لاترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

-إنه على النَّيِّرين من أبناء الأمة ألا يستسلموا للوهن ولا للوهم ولا للقيد ؛فهم مصابيح الدجى لهذه الأمة ولن تصدَّهم حلكة الليل ؛فالفجر قادم إن شاء الله.

الملحق

١. معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم وكرامات الأولياء.

وأما حياة الحوت المشوي :فهنالك ما هو أكبر من ذلك في قصة الشاة المشوية المسمومة، وهو أن ذراعها أخبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه مسموم فهو أعظم من عود الحياة من غير نطق، وكذا حنين الجذع، وسلام الحجر، وتسبيح الحصا، وتأمين أسكفة الباب وحوائط البيت ونحو ذلك أعظم من عود الحياة إلى ما كان حياً، فقد روى البيهقي في الدلائل عن عمرو بن سواد قال: قال لي الشافعي: ما أعطى الله نبياً ما أعطى محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقلت: أعطى عيسى عليه السلام إحياء الموتى؟ فقال: أعطى محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم الجذع - الذي كان يخطب إلى جنبه حتى هيىء له المنبر، فلما هيىء له المنبر حن الجذع حتى سمع صوته - فهذا أكبر من ذاك. انتهى- على أنه قد تقدم في آل عمران وفي آخر البقرة في قصة إبراهيم عليه السلام أشياء من إحياء الموتى له صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولبعض أمته.وللمزيد يرجى العودة إلى كتب التفسير.

وأما آية الماء فمرجعها إلى صلابته، ولا فرق بين جموده بعدم الالتئام بعد الانخراق وبين جموده وصلابته بالامتناع من الانخراق، وقد روى البيهقي في ذلك ما فيه آية من الإحياء بسند منقطع عن أنس رضي الله عنه قال: كنا في الصفة عند رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأتته امرأة مهاجرة ومعها ابن لها قد بلغ فأضاف المرأة إلى النساء وأضاف ابنها إلينا، فلم يلبث أن أصابه وباء المدينة فمرض أياماً ثم قبض فغمضه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأمر بجهازه، فلما أردنا أن نغسله قال: ائت أمه فأعلمها، فجاءت حتى جلست عند قدميه فأخذت بهما، ثم قالت: اللهم إني أسلمت لك طوعاً، وخلعت الأوثان زهداً، وهاجرت إليك رغبة، اللهم لا تشمت بي عبدة الأوثان، ولا تحملني من هذه المصيبة ما لا طاقة لي بحملها، قال: فوالله ما تقضي كلامها حتى حرك قدميه، وألقى الثوب عن وجهه، وعاش حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، و حتى هلكت أمه، ثم جهز عمر بن الخطاب رضي الله عنه - يعني جيشاً، واستعمل عليه العلاء بن الحضرمي، قال: وكنت في غزاته، فأتينا مغازينا فوجدنا القوم قد غدروا بنا، فعفوا آثار الماء، قال: وكان حر شديد، فجهدنا العطش ودوابنا، وذلك يوم الجمعة فلما مالت الشمس لغروبها صلى بنا ركعتين، ثم مد يده وما نرى في السماء شيئاً، فوالله ما حط يده حتى بعث الله ريحاً وأنشأ سحاباً فأفرغت حتى ملأت الغدر والشعاب، فشربنا وسقينا واستقينا ثم أتينا عدونا وقد جاوزوا خليجاً في البحر إلى جزيرة، فوقف على الخليج وقال: يا علي يا عظيم يا حليم يا كريم! ثم قال: أجيزوا باسم الله! فأجزنا ما يبل الماء حوافر دوابنا، فأصبنا العدو غيلة فقتلنا وأسرنا وسبينا ثم أتينا الخليج فقال مثل مقالته فأجزنا ما يبل الماء حوافر دوابنا. (من نظم الدرر في تناسب الآيات للبقاعي)

٢. وأخبرنا ابن نمير عن الأعمش عن بعض أصحابه، قال: انتهينا إلى دجلة وهي مادة، والأعاجم خلفها، فقال رجل من المسلمين: بسم الله، ثم أقحم فرسه فاندفع على الماء، فقال الناس: بسم الله بسم الله، ثم اقتحموا فارتفعوا على الماء، فلما نظر إليهم الأعاجم قالوا: ديوان ديوان، ثم ذهبوا على وجوههم، فما فقدوا إلا قدحاً كان معلقاً بعذبة سرج، فلما خرجوا أصابوا الغنائم فاقتسموها. أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي أنا أبو محمد عبد الله بن محمد السمذي ثنا أبو العباس السراج ثنا الفضل بن سهل وهارون بن عبد الله قالا: ثنا سليمان بن المغيرة أن أبا مسلم الخولاني جاء إلى الدجلة وهي ترمي بالخشب من مدها، فمشى على الماء والتفت إلى أصحابه وقال: هل تفقدون من متاعكم شيئاً فندعو الله - قال البيهقي: هذا إسناد صحيح.

٣. ألم أقل لك: زاد (لك) هنا عن الجملة المماثلة لها سابقاً ليدل على أن الإنكار أكثر وموجب العتاب أقوى للتأكيد.

٤. كان الخضر حازماً على موسى بينما كان موسى متواضعاً متبعاً للمعلم آخذاً نفسه على ذلك وهذا حال المعلم إذ يجوز له أن يكون حازماً مع متعلمه موضحاً له صعوبات الطريق حتى يسهل عليه اجتيازها فلا يعترض على المعلم حتى يحدث له ذكرا.

٥. سأل نجدة الحروري الخارجي ابن عباس: كيف يجوز قتل الغلام وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب إليه ابن عباس إن علمت من حال الغلام ما علمه معلم موسى فلك أن تقتل. وقيل إن الغلام كان بالغاً بدليل قوله تعالى (أقتلت نفساً بغير نفس)

٦. لم قال موسى في اغراق أهل السفينة أن عمل الخضر كان (امراً) بينما قال في قتل الغلام (نكراً). والجواب أن النكر أقل من الإمر. لأن قتل نفس واحدة أهون من اغراق أهل السفينة وقيل النكر أشد لأن خرق السفينة إذ تداركه موسى باغلاق الخرق بثيابه بينما قتل الغلام لا رجعة ولا انقاذ فيه.

٧. نهى موسى الخضر عن مصاحبته مع حرصه الشديد على التعلم منه وذلك استحياء من الخضر لأن موسى لم يلتزم بما وعد ولذا ندم ولجأ إلى الإعتراف والإنصاف قال صلى الله عليه وسلم (رحم الله أخي موسى استحيا فقال ذلك).

٨. قيل الإستطعام ليس من عادة الكرام فكيف أقبل موسى والخضر عليه؟ قيل إن الرجل إذا ضاع وضعف عن الطاعة وأشرف على الهلاك لزمه الإستطعام ووجبت اجابته.

٩. قيل الضيافة من المندوب إليه وتركه ليس بمنكر. فكيف جاز لموسى أن يغضب عليهم حتى ترك عهد صاحبه. والجواب لأنه بلغ بهم الجهد مبلغه بعد بناء الجدار. ولذا طلب موسى من الخضر أن يأخذ أجر ليشتريا طعاماً يدفعان به الضرورة ومسيس الحاجة.

١٠. قيل شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها، ولا يعرف لابن السبيل حق. وسمي الضيف ضيفاً لأنه يميل إلى مضيفة كالسهم إذا مال عن مجراه وهدفه فيقال له ضاف

١١. معجزات موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وخوارق أخر نتجدها في السيرة ؟

١٢. القرية أجدر بأن يكون فيها الكرم وحسن الضيافة إلا أن أهلها كانوا لئاماً بخلاء، وكان تركهم لضيافة موسى والخضر عليهما السلام أليق بهذا النعت وهو القرية. أما المدينة فلكثرة أهلها ولأنهم يقيمون فيها بيوتاغالباً ونظرا لاحتمال تعرض أبنيتها للتجديد وللهدم.

١٣. ينكشف هذا الكنز ويظهر قبل أوان بلوغ الغلامين الرشد وقدرتهما على تحصيله لذا سخر الله رسولاً من أولي العزم وهو موسى ونبيا على الراجح وهو الخضر سخرهما في خدمة يتيمين لصلاح أبيهما.

١٤. كل نبي استثنى في خبره فإن الله يصدقه كما وقع للذبيح:
(ستجدني إن شاء الله من الصابرين) فصبر موسى ولكنه عصى عليه الصلاة والسلام.

١٥. قال صلى الله عليه وسلم: رحم الله أخي موسى! وددنا لو أنه صبر حتى يقص علينا من أمرهما، ومعناه أنه صبر الا انه أذن للخضر بمفارقته لقوله (لا تصاحبني) وفي رواية لمسلم :رحمة الله على موسى لولا أنه عجل لرأى العجب ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة.

١٦. أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (موسى والخضر)عليهما السلام.

١٧. فلا تسألني: (إن حق المتابعة التسليم عند تصرف المعلم، قال الحصري علم الخضر قصور علمه عن محل سؤال موسى وأن موسى ألجأ إليه للتأديب لا للتعليم فقال له إن اتبعتني فلا تسألني عن شيء لأن علمك أعلى وأتم وإنما التجأت إلي للتأديب لا للتعليم في خاص حال من الأحوال) (مقتنبس من تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن للبقلي في تفسير الآية ٧٠).

١٨. الغلام يطلق على الصغير غير البالغ والعرب تطلقه على الكبير كما قال أبو سفيان عن خالد بعد أن أسلم وشارك في فتح مكة هذا هو الغلام وقد اختلف العلماء في الغلام هل كان بالغاً أم لا؟ واسمه شمعون وقيل أنه كان بالغا ويقطع الطريق وكان الخضر قد قتله لِما علم من سِره وأنه طُبع كافرا كما جاء في الحديث الصحيح والعرب تلقي على الشاب اسم الغلام ومنه قول ليلى الأخيلية:

شفاها من الداء العضال الذي بها غلام إذا هز القناة سقاها

وقال صفوان لحسان:

تلق ذباب السيف عني فإنني غلام إذا هوجيت لست بشاعر

(من تفسير القرطبي للآية). وفي الخبر إن الغلام كان يفسد في الأرض ويقسم لأبويه أنه ما فعل فيقسمن على قسمه ويحميانه.

١٩. يريد أن ينقض فأقامه: أي قال بيده هكذا فقام الجدار وهذا من كرامة الخضر إذا كان ولياً ومن معجزاته إذا كان نبياً.

٢٠. كرامات الأولياء: الرجاءالعودة الى تفسير القرطبي(قصة موسى والخضر) إن اردت المزيد.

المقطع السابع: الآيات من ٨٣-٩٩

الموضوع: سيرة ملك عادل رحيم طاف الأرض مجاهدا

وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (٨٧)

وَأَمَّا مَنْ آَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (٩٠) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آَتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩)

١. شرح المفردات:

يسألونك: أي يسألك كفار قريش ليحرجوك وليختبروا نبوتك فقل لهم ..

ذكرا: خبرا

مكنا: أعطيناه ملكاً عظيماً ممكناً بالجنود وآلات الحرب

سببا: علما – منازل الأرض وأعلامها - وعلم الألسن

عين حمئة: قيل عين حامية حارة كما روي عن ابن عباس وقيل طينة سوداء كما قال كعب الأحبار

نكرا: شديداً أليماً

يفسدون في الأرض: يأكلون لحوم البشر وكل أخضر ويابس ويعملون كل أشكال الفساد.

أحطنا: إطلعنا على جميع أحواله وأحوال جيشه

السدين: جبلان من قبل أرمينية وأزربيجان.

يفقهون: أي لا يعرفون إلا لغتهم ولا يفقهون فِقه غيرهم، فهم لا يَفهمون غيرهم ولا يُفهمون غيرهم ولا يَفهمونهم.

من دونهما: أي من ورائهما

الصدفين: جانبا الجبلين وسميا بذلك لأنهما يتقابلان أي يتصادفان وقيل هما من قبل أرمينيا وأزربيجان

خرجا: مالا كثيرا

ردما: حاجز حصين وهو أكبر من السد

قطرا: النحاس المذاب

يظهروه: يعلوه لارتفاعه وملاسته.

زبر الحديد: قطع الحديد

ذكري: آياتي

عرضنا جهنم: أبرزناها

دكاء: سواه بالأرض وجعله مدكوكا

٢. الأسئلة التمهيدية

١. من سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين ولماذا؟
٢. مرّ ذو القرنين على أقوام ثلاثة فماذا جرى معهم؟
٣. ماذا تعرف عن يأجوج ومأجوج؟
٤. استخلص سمات ذو القرنين من خلال تعامله مع الأقوام الثلاثة؟
٥. ما الصدفان؟
٦. ما الفرق بين السد والردم؟
٧. ما مكونات الردم؟
٨. في آية واحدة افترقت الكلمتان (اسطعوا واستطعوا) فما الفارق بينما وعلام يدل؟
٩. ما معنى (زبر الحديد- قطرا)؟

١٠. لماذا لم يكشف عن يأجوج ومأجوج؟ج- إن أهل الكهف لم يكشف عنهم رغم قربهم من اهلهم وكذلك يعقوب عليه السلام ماعرف مكان يوسف في البئر رغم قربه من سكنه

١١. ما معنى جاء وعد ربي؟

١٢. هناك كلمة حبيبة إلى القلب تكررت ثلاث مرات في آية واحدة فما الآية؟ وعلام يدل هذا التكرار؟

٣.التفسير

٨٣. وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا

لماذا جاء الفعل على صيغة المضارع عوضاً عن سألوك؟

الشرح: ويسألونك يا محمد عن أخبار ذي القرنين أي أن اليهود قالوا لكفار مكة سلوه عن رجل طاف الأرض، وإنما سألوه تعنتاً وإيقاعاً ظناً منهم أن الأنبياء يعلمون الغيب، ونسوا أن موسى عليه السلام لم يكن يعلم الغيب وأن الله عرضه لدورة تربوية تعليمية في علم الغيب على يد الخضر، فكيف يفرضون في الرسول صلى الله عليه وسلم علم الغيب؟ لذا أنزل الله سورة الكهف رداً على أسئلتهم وقيل في سبب تسميته ب(ذي القرنين) أشياء كثيرة أوجز أهمها:

١.كان ملكاً وصفحتا رأسه كانتا من نحاس.

٢. لأنه ملك فارس والروم.

٣. في رأسه شبه قرنين.

٤. (: سئل علي رضي الله عنه عن ذي القرنين. فقال: كان عبداً ناصحاً لله، فناصحه، دعا قومه إلى الله، فضربوه على قرنه، فمات، فأحياه الله، فدعا قومه إلى الله، فضربوه على قرنه فمات، فسمي ذا القرنين، وكذا رواه شعبة عن القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل سمع علياً يقول ذلك. ويقال: إنه إنما سمي ذا القرنين لأنه بلغ المشارق والمغارب من حيث يطلع قرن الشمس ويغرب)

سأتلوا عليكم منه ذكراً: أي سأخبركم بأخباره.

٨٤. إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا

أعطى الله ذو القرنين ملكاً عظيماً كما مكنه وأعطاه ما يلزم لذلك الملك من الجنود وآلات الحرب والحصار، فملك الشرق والغرب ودانت له الأمم عربها وعجمها (وآتيناه من كل شيء سبباً) أي آتاه الله (علم الألسن، أو علماً عاماً ويسر الله له الأسباب أي الطريق والوسائل إلى فتح البلدان) فقهر الأعداء وقد أوتي من كل شيء مما يحتاج إليه الملوك.

٨٥. فَأَتْبَعَ سَبَبًا

تابع طريقه في الأرض آخذاً بالأسباب.

٨٦. حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا(٨٧).

أي حتى وصل إلى مكان مغرب الأرض أما مغرب الشمس من السماء فمتعذر الوصول إليه. هناك وجد أمة من الأمم.

(قلنا يا ذا القرنين ..) معنى ذلك أن الله مكَّنه من هؤلاء القوم وحكّمه فيهم وخيَّره إن شاء قتل وسبى أو مَنَّ وفدى ،فظهر عدله إذ قال: أما الكافر المستمر على كفره فسوف نعذبه في الدنيا جزاء ظلمه وكفره، أما في الآخرة فإن الله سيعذبه عذاباً أليماً (ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً).

٨٨. وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا

أما المؤمن فسنعامله بالمعروف في الدنيا، وعند الله جزاؤه الجنة.

٨٩. ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا

يقال أنه اتبع طريقاً من مغرب الشمس إلى مطلعها ؛ليفتح البلدان ويحقق الأمن ،وليعامل الناس بالعدل والرحمة حتى دانت له الأرض.

٩٠. حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا

سار حتى بلغ مطلع الشمس، فوجد هناك قوماً ليس لهم ستر من دون الشمس فهم يعيشون في الكهوف فلا بناء ولا شجر ولا ساتر لهم من حر الشمس.

٩١. كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا

أي أن الله عالم بأحوال ذي القرنين وتحركاته وبجنده ولا تخفى عليه خافية، وقد أحاط الله بكل شيء ،ولو شاء جل وعلا لفصل الحديث عن ذي القرنين وعن موسى وعن أهل الكهف؛ لعلمه الواسع فهو الخبير العليم ،ولكن مشيئته شاءت الإكتفاء بهذا القدر كما يناسب الناس.

٩٢. ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا

أي ثم سلك طريقاً من مشرق الأرض حتى وصل إلى بين السدين أي الجبلين العظيمين المتقابلين إلا أن ثغرة وفجوة بينهما يخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد الترك؛ فيدمرون ويقتلون ويهلكون الحرث والنسل.

ويأجوج ومأجوج من سلالة آدم عليه السلام كما ثبت في " الصحيحين ": **" إن الله تعالى يقول: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك فيقول: ابعث بعث النار، فيقول: وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد إلى الجنة، فحينئذ يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، فقال: إن فيكم أمّتين، ما كانتا في شيء إلا كثرتاه: يأجوج ومأجوج "**

٩٣+٩٤: حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤)

انطلق ذو القرنين من مشرق الأرض حتى وصل بين جبلين عظيمين كأنهما السد فوجد خلفهما قوماً لا يفقهون لغة غيرهم ولا يفهمون غيرهم فلجأوا إلى الدموع، وشكوا إلى ذي القرنين مظلمتهم وطغيان يأجوج ومأجوج عليهم وضعفهم أمامهم ،وتعهدوا بجمع مال له إن فعل ذلك ،فقبل ذو القرنين بإقامة السد حماية للضعفاء ،ولم يأخذ من أموالهم شيئاً لأنه رأى أن من الواجب عليه حمايتهم، وقابل عرضهم المال عليه بالحديث عن فضل الله عليه (ما مكني فيه ربي خير) فنعمه وافرة علي ،وهي خير من أموالكم ولكن طلب منهم ان يساعدوه بقوة وهمة ونشاط في اليد العاملة وأدوات البناء.

٩٥+٩٦+٩٧: قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آَتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧)

استعان بهم بالذي احتاجه منهم واحتياجاته هي:

١.زبر الحديد أي قطع الحديد.

٢. القطر وهو النحاس المذاب أو الرصاص المذاب.

٣. الصخر والخشب.

٤. إيقاد النار والنفخ فيها.

٥. العمال.

٦. أدوات البناء والنقل.

كانت هندسة البناء عنده رائعة، فقد وفّر أولاً المال اللازم للبناء وجعله على عهدته أي ضمن تمويل البناء وهذا أساس هام، أما الأساس الثاني فهو اليد العاملة القوية النشطة صاحبة الخبرة بالأرض والأدوات والبيئة، فما مكّني فيه الله ربي الذي رباني على إحسانه وما أفاء عليّ من رجال وأموال وقدرات على فهم الأمور واتقان الأعمال خير مما آتاكم، كقول سليمان عليه السلام (فما آتاني الله خير مما آتاكم).

وكانت خطة حماية الضعفاء تعتمد على جعل ردم بينهم وبين الظلمة المعتدين عليهم وهم يأجوج ومأجوج ؛لذا عمد إلى جعل حاجز حصين متلاصق ومتلاحم مع الجبلين، فحفر الأساس حتى بلغ الماء وجعل في الأساس الصخر وطيَّنه بالنحاس المذاب ،فبدا كأنه عرق من جبل تحت الأرض ثم وضع فوق الأساس صفاً من حديد وآخر من خشب حتى وصل القمة وساوى بين الردم والجبلين طولاً وعرضاً فجعله بغاية القوة ،ثم أمر العمال بالنفخ في الأكوار، وأشعل النيران، واستمر بحرق الحديد حتى صار كأنه ناراً، ثم أمر بإفراغ النحاس المذاب أو الرصاص المصهور فوق الردم؛ فغدا البناء جبلاً قوياً صلداً أعلاه كأسفله في القوة لا يمكن الصعود عليه (فما اسطاعوا أن يظهروه) أي ما استطاعت يأجوج ومأجوج بالعلو فوقه وتسلقه، كما لم يستطيعوا له نقباً لثخنه وصلابته.

وهنا استخدم كلمة (اسطاعوا) بدون التاء؛ ليدل على التخفيف؛ فالصعود أخف من ثقب الردم ولذا زادت حروف الكلمة تاء، فاستخدم التخفيف في الفعل كما ثقل في بناء الكلمة ليدل على ثقل الفعل وشدته مثل (تسطع- تستطيع).

٩٨. قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا

قال ذو القرنين: إن هذا الردم القوي الذي يحمي الضعفاء ويدفع عنهم شرّ يأجوج ومأجوج هو من رحمة ربي الذي رباني على نعمه وأفضاله. وهنا أرجع العمل والجهد كله إلى رحمة الله جل وعلا ولم يزعم أنّ هذا من انجازاته ،أوهو منحة منحها للقوم، وتفضل بها عليهم،لأن هذا العمل بما فيه من حماية للضعفاء،وكبح لجماح الأشرار يعد واجباً على الحاكم المسلم،وهو مسؤول عنه يوم القيامة.

(فإذا جاء وعد ربي) أي إذا جاء يوم القيامة أي وقت خروجهم جعل الله هذا الردم العظيم دكاً مستوياً بالأرض.

وكان وعد ربي حقاً: أي أنّ وعده جل وعلا بثواب المحسن وعقاب المسيء وعد حق. لا خلاف فيه ولا يتخلف عن أحد ،وهذا آخر قول ذي القرنين.

٩٩. وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا

هذا من كلام الله جل وعلا بعد إنهاء كلام ذي القرنين. أي تركنا بعضهم يموج في بعض حيارى مضطربين، وقيل الضمير يعود إلى يأجوج ومأجوج وقيل أنه يعود إلى الخلق عامة من الجن والإنس.

(ونفخ في الصور) النفخة الثانية ؛(فجمعناهم جمعاً) أي جمعنا الخلائق بعد تلاشي أجسامهم وتطاير ذراتها وانتقالها في البلدان وتفرقها في أجسام المخلوقات جمعناهم جمعاً تاماً ،وجمعناهم فلم نغادر منهم أحداً.

وقال أبو حيان: الأظهر كون الضمير ليأجوج ومأجوج أي وتركنا بعض يأجوج ومأجوج يموج في بعض آخر منهم حين يخرجون من السد مزدحمين في البلاد وذلك بعد نزول عيسى عليه السلام، ففي «صحيح مسلم» من حديث النواس بن سمعان بعد ذكر الدجال وهلاكه بباب لد على يده عليه السلام **" ثم يأتي عيسى عليه السلام قوماً قد عصمهم الله تعالى من الدجال فيمسح وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هم كذلك إذ أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام أني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فَحَرِّزْ عبادي إلى الطور ويبعث الله تعالى يأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس فينشفون الماء ويتحصن الناس منهم في حصونهم ويضمون إليهم مواشيهم فيشربون مياه الأرض حتى أن بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يبساً حتى أن من يمر من بعدهم**

ليمر بذلك النهر فيقول قد كان هٰهنا ماء مرة ويحصر عيسى نبـي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور ورأس الحمار لأحدهم خيراً من مائة دينار " ؛ وفي رواية مسلم وغيره **" فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض هلم نقتل من في السماء فيرمون نشابهم إلى السماء فيردها الله تعالى عليهم مخضوبة دماً للبلاء والفتنة فيرغب نبـي الله وأصحابه إلى الله تعالى فيرسل عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى "** ، وفي رواية داود **" كالنغف في أعناقهم فيصبحون موتى كموت نفس واحدة لا يسمع لهم حس فيقول المسلمون: ألا رجل يشري لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو فيتجرد رجل منهم محتسباً نفسه قد وطنها على أنه مقتول فينزل فيجدهم موتى / بعضهم على بعض فينادي يا معشر المسلمين ألا أبشروا إن الله عز وجل قد كفاكم عدوكم فيخرجون من مداينهم وحصونهم فيسرحون مواشيهم فما يكون لها مرعى إلا لحومهم فتشكر أحسن ما شكرت عن شيء ويهبط نبـي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون فيها موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيستغيثون بالله تعالى فيبعث الله سبحانه ريحاً يمانية غبراء فتصير على الناس غماً ودخاناً ويقع عليهم الزكمة ويكشف ما بهم بعد ثلاثة أيام وقد قذفت الأرض جيفهم في البحر،** ، وفي رواية فيرغب نبـي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله عز وجل فيرسل طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله تعالى، وفي رواية فترميهم في البحر ـ وفي أخرى في النار ولا منافاة كما يظهر بأدنى تأمل ـ **" ثم يرسل الله عز وجل مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذٍ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرِّسْل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس ويوقد المسلمون من قسي يأجوج ومأجوج ونشابهم وأترستهم سبع سنين "** ، ولعل الله تعالى يحفظ ذلك في الأودية ومواضع السيول زيادة في سرور المسلمين أو يحفظها حيث هلكوا ولا يلقيها معهم حيث شاء ولا يعجز الله تعالى شيء، والحديث يدل على كثرتهم جداً، ويؤيد ذلك ما أخرجه ابن حبان في «صحيحه» عن ابن مسعود مرفوعاً **" أن يأجوج ومأجوج أقل ما يترك أحدهم من صلبه ألفاً من الذرية "** وحمله بعضهم على طول العمر(تفسير الألوسي روح المعاني)

<u>الأسئلة التقويمية:</u>

١. ما اسم (ذي القرنين)؟ ولم لقب بذلك؟
٢. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (الفُرسُ قرن أو قرنان .....والروم قرون.....) أوضح معنى الحديث وصلة المعنى بلقب ذي القرنين؟

٣. اشرح الآية رقم ٨٤ شرحاً مفصلاً. الآية (إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً).
٤. ذو القرنين مجاهد طاف الأرض لنشر العدل والرحمة. أوضح ذلك؟
٥. ماذا وجد عند مطلع الشمس وماذا وجد عند مغربها؟
٦. لِم بدأ بالاتجاه غرباً ؟
٧. تكررت جملة فأتبع سبباً. فعلام يدل هذا التكرار؟ كما تكررت كلمة فانطلقا في المقطع السابق. فعلام يدل ذلك؟
٨. علام يدل تكرار كلمة قوم؟
٩. تحدث عن بعض علامات الساعة الكبرى؟

١٠. ساد في هذا العصر حب كثير من الساسة للمدح بما لم يفعلوا. قارن هذا الموقف مع موقف (ذو القرنين) الملك؟

١١.مَلَكَ الدنيا اثنان مؤمنان واثنان كافران فمن هم؟

ج١١. المؤمنان هما ذو القرنين وسليمان الكافران النمرود وبختنصر.

١٢.ما الآية التي تدل على عفة ذو القرنين عن أموال الشعب ؟

١٣.هل تفلح يأجوج ومأجوج في وضع درج أو ردم من جهتهم حتى يصلوا إلى أعدائهم؟

ج١٣. لا؛لأن الجهة الثانية ملساء لا يمكنهم النزول عليها.

١٤. كان ذو القرنين محاوراً جيداً واقتصادياً بارعاً. اشرح ذلك مؤيداً كلامك بالأدلة؟

ملحق

١. الإسكندر الأول هو ذوالقرنين وقد طاف في البيت مع ابراهيم الخليل عليه السلام . أما الإسكندر الثاني فهو ابن فيلبس المقدوني اليوناني وكان قبل المسيح ب٣٠٠ سنة (من تفسير ابن كثير للآية ص١٣٧ الجزء ٣)ومن أراد الإستفادة والإستزادة فعليه بكتاب البداية والنهاية لإبن كثير أيضاً ففيه الكثير.
٢. نسبة أهل النار ٩٩% من الناس ونسبة أهل الجنة ١% وهذه تشبه نسب الأنتخابات في كثير من بلدان العالم الثالث، قال صلى الله عليه وسلم (اللهم قنا من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن شر فتنة المحيا والممات ،ومن شرفتنة المسيح الدجال)

٣. يأجوج ومأجوج من هم؟ والجواب روى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **لا يموت رجل منهم حتى يولد لصلبه ألف رجل "** يعني يأجوج ومأجوج. وقال أبو سعيد: هم خمس وعشرون قبيلة من وراء يأجوج ومأجوج لا يموت الرجل من هؤلاء ومن يأجوج ومأجوج حتى يخرج من صلبه ألف رجل، ذكره القشيري. وقال عبد الله بن مسعود: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن يأجوج ومأجوج، فقال عليه الصلاة والسلام: **" يأجوج ومأجوج أمتان كل أمة أربعمائة ألف (أمة) كل أمة لا يعلم عددها إلا الله لا يموت الرجل منهم حتى يولد له ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح» قيل: يا رسول الله صفهم لنا. قال: «هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأَرْز ـ شجر بالشام طول الشجرة عشرون ومائة ذراع ـ وصنف عرضه وطوله سواء نحواً من الذراع وصنف يفترش أذنه ويلتحف بالأخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه ويأكلون من مات منهم مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار الشرق وبحيرة طبرية فيمنعهم الله من مكة والمدينة وبيت المقدس "** وقال علي رضي الله تعالى عنه: وصنف منهم في طول شبر، لهم مخالب وأنياب السباع، وتداعي الحمام، وتسافد البهائم، وعواء الذئاب، وشعور تقيهم الحرّ والبرد، وآذان عظام إحداها وبرة يشتون فيها، والأخرى جلدة يصيفون فيها، يحفرون السدّ حتى كادوا ينقبونه فيعيده الله كما كان، حتى يقولوا: ننقبه غداً إن شاء الله تعالى فينقبونه ويخرجون، ويتحصن الناس بالحصون، فيرمون إلى السماء فيرد السهم عليهم ملطخاً بالدم، ثم يهلكهم الله تعالى بالنغف في رقابهم. ذكره الغزنوي. وقال عليّ عن النبي صلى الله عليه وسلم: **" يأجوج أمة لها أربعمائة أمير وكذا مأجوج لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف فارس من ولده ".** قلت: وقد جاء مرفوعاً من حديث أبي هريرة، خرجه ابن ماجه في السنن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **" إن يأجوج ومأجوج يحفران كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غداً فيعيده الله أشدّ ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله تعالى أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال: ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله تعالى فاستثنوا فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فيَنْشِفون الماء ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فيرجع عليها الدمُ الذي أحفظ فيقولون قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء فيبعث الله تعالى عليهم نغَفَاً في أقفائهم فيقتلهم بها» قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده إن دواب الأرض لتسمن وتَشْكَر شَكراً من لحومهم "** قال الجوهري: شَكِرت الناقةُ تَشكَر شَكَراً فهي شكِرة؛ وأشكر الضرع امتلأ لبناً.

٤. فهل نجعل لك خرجاً: أسلوب انشائي على سبيل الإستفهام وغرضه اظهار التأدب مع (ذو القرنين)، خرجاً: جعلا أي هدية ومكافأة. والخرج أخص من الخراج يقال (أو

خرج رأسك وخراج مدينتك). وقال الأزهري: الخراج يقع على الضريبة والغنيمة والجزية والغلة، والخراج اسم لما يخرج من الفرائض في الأموال (من تفسير القرطبي للكلمة خرج) ارجع إلى تفسير الآية.

٥. قال ما مكني فيه ربي خير: الأولى قوله تعالى: { قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ } المعنى قال لهم ذو القرنين: ما بسطه الله تعالى لي من القدرة والملك خير من خرجكم وأموالكم ولكن أعينوني بقوّة الأبدان؛ أي برجال وعمل منكم بالأبدان، والآلة التي أبني بها الردم وهو السدّ. وهذا تأييد من الله تعالى لذي القرنين في هذه المحاورة؛ فإن القوم لو جمعوا له خرجاً لم يعنه أحد ولوكلوه إلى البنيان، ومعونته بأنفسهم أجمل به وأسرع في انقضاء هذا العمل، وربما أربى ما ذكروه له على الخرج. وقرأ ابن كثير وحده «مَا مَكَّنَنِي» بنونين. وقرأ الباقون { مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي }.

الثانية: في هذه الآية دليل على أن المِلك فرض عليه أن يقوم بحماية الخلق في حفظ بيضتهم، وسدّ فرجتهم، وإصلاح ثغورهم، من أموالهم التي تفيء عليهم، وحقوقهم التي تجمعها خزانتهم تحت يده ونظره، حتى لو أكلتها الحقوق، وأنفذتها المؤن، لكان عليهم جبر ذلك من أموالهم، وعليه حسن النظر لهم؛ وذلك بثلاثة شروط: الأول: ألا يستأثر عليهم بشيء. الثاني: أن يبدأ بأهل الحاجة فيعينهم. الثالث: أن يسوّي في العطاء بينهم على قدر منازلهم، فإذا فنيت بعد هذا وبقيت صفراً فأطلعت الحوادث أمراً بذلوا أنفسهم قبل أموالهم، فإن لم يغن ذلك فأموالهم تؤخذ منهم على تقدير، وتُصْرَف بتدبير؛ فهذا ذو القرنين لما عرضوا عليه المال في أن يكفّ عنهم ما يحذرونه من عادية يأجوج ومأجوج؛ قال: لست أحتاج إليه وإنما أحتاج إليكم { فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ } أي اخدموا بأنفسكم معي، فإن الأموال عندي والرجال عندكم، ورأى أن الأموال لا تغني عنهم، فإنه إن أخذها أجرة نقص ذلك مما يحتاج إليه، فيعود بالأجر عليهم، فكان التطوّع بخدمة الأبدان أولى. وضابط الأمر أنه لا يحل مال أحد إلا لضرورة تعرض، فيؤخذ ذلك المال جهراً لا سراً، وينفق بالعدل لا بالاستئثار، وبرأي الجماعة لا بالاستبداد بالأمر. والله تعالى الموفق للصواب.

٦. زبر الحديد: قطع الحديد ومنه زبرة الأسد: ما اجتمع من الشعر على كاهله، وزبرت الكتاب كتبته وجمعت حروفه.

٧. صدفين: جانبا جبلين متصادفين ولا يقال صدف للواحد.

٨. يأجوج ومأجوج سموا بذلك لسرعتهم في الحركة وشدتهم وقيل هما اسمان مشتقان من أج الظليم في مشيه إذا هرول وتأججت النار إذ تلهبت.

٩. فتح اليوم من الردم مثل هذه: وقد ثبت في الصحيحين من حديث زينب بنت جحش قالت: استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من نومه وهو محمرّ وجهه وهو يقول:

" لا إلٰه إلا الله، ويل للعرب من شرّ قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق، قلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث

ماذا نأخذ من الآيات لواقعنا؟

١. ويسألونك: اعتاد الكفرة وأعداء الحق أن يطعنوا في الدين فهم لا يألون في المؤمنين إلّاً ولا ذمة وما يريدون بأسئلتهم إلا تعنتاً وارجافًا واحراجاً للمؤمنين وهذا ديدنهم، فغالباً ما يسألون عن المغيبات أو يحملون المؤمنين ذنوباً لم يأتوها أو يلصقون بهم تهماً ما أنزل الله بها من سلطان. أمام هذا الموقف لابد للمؤمن من أن يتسلح بسلاح الثقة بالله والصبر على بلواه وعليه أن لايحس بأن أسئلتهم تقدر على مطاردته ،وهزم الحق الذي يحمله ،وبالتالي اظهاره واظهار دعوته أمام الناس كالمنهزم، وما على المؤمن إلا أن تزيده هذه المواقف اصراراً وثباتاٍ. (قل) قل لهم يا محمد وقل لهم يا مؤمن سأخبركم بما تسألون وسأرد على شبهكم بالذي تعقلون وقل لهم بلا خوف ولا وجل سأستبصر الجواب وسيهدني ربي لأقرب من هذا رشدا.
٢. إنا مكنا له في الأرض: التمكين لا يأتي إلا بعد اليقين وتمكين الصلة بالله، وإذا أراد المؤمن اليوم التمكين في الأرض فلا بد من عمل الصالحات والإخلاص لله في ذلك (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون" النور:٥٥.) والتمكين في الأرض لا يكون من خلال التنظير فقط ثم استجلاب النصر ونحن قاعدون. التمكين يكون بالقول والعمل، بالإستفادة من الوقائع وأحداث التاريخ، بالسير على نهج سيد المرسلين، بداية ونهاية بالسير على صراط الذين أنعمت عليهم (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا" [النساء: ٦٩]) فبهداهم اقتده. دفعوا ثمن التمكين مقدما، مكنوا صلتهم بالله، دعوا إلى الله على بصيرة ، أخذوا بحسن التدبير والتخطيط كما أخذوا بسمة التوكل على الله، رسموا أهدافهم، قيموا سيرهم وسألوا الله السداد والتوفيق ، نذروا حياتهم (أموالهم –أولادهم-أوقاتهم) نذروها لله فرضي الله لهم أمرهم؛ فمكنهم في الأرض؛ ليمكنوا لعباده نهج الرحمة والحرية والعدالة، وليكون التمكين في الأرض باعثاً لهم ولغيرهم لمزيد من التمكين مع الله.
٣. فأتبع سببا: المسلمون اليوم يسألون الله النصر ولا نصر، يسألونه الفرج ولا فرج، يطلبون من الله تحرير البلاد والعباد وهم قاعدون وكأنهم أشبه بأولئك الذين قالوا

لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون). أي سبب يأخذبه المسلمون اليوم لتحقيق الأماني إلا التمني على الله والتواكل على الله، والتثاقل إلى الأرض والإشتغال بالملذات عن المكرمات. أما كان بإمكان الله أن ينصر عباده بدون حروب؟ فلم كان القتال في بدر وأحد؟ أما كان الله قادرا على أن يخفف على رسوله مكابدة مصاعب الهجرة من مكة إلى المدينة؟ أليس الله بقادر على ذلك بكلمة كن فيكون! لم كانت المصابرة والمجاهدة؟ لم كان التخطيط والسرية والحذر في الهجرة؟ أليس ذلك اتباعاً للأسباب .إذا كان أمر ناقة لم يترك للتوكل بل أمر الرسول بالعقل أولاً قائلاً للأعرابي: اعقل وتوكل.

فما الأسباب التي يأخذ بها المسلمون الآن للتمكين في الأرض أليس نهج الرسول صلى الله عليه وسلم كافياً لنا بداية ونهاية.

وعلام نتواكل وعلام نعجز وسيف الجزار ما زال يحز في رقابنا ألا تختلج الشاة وهي تذبح! ألا تأخذ الدجاجة بالأسباب فتفر من الجزار وتقاوم الذبح.

وإذا كانت الدجاجة تأخذ بالأسباب تمكينا لها ولصيصانها فمتى ندرك ذلك؟ متى ندرك أهمية التخطيط وحسن التدبير؟ وقديما قيل: اعرف عدوك معرفتك لنفسك واعرف أرض عدوك معرفتك لأرضك.

نحن نعلم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة، فهل تمطر نصرا للمتخاذلين وللقاعدين؟ وعلام قال الرسول صلى الله عليه وسلم :(المؤمن كيّس فطن حذر)، إن الأغلاط التي تعشش في مخنا وتفرخ في مخ أطفالنا لهي أغلاط قاتلة تنبع من فلسفة الإمعة ومن نظريات التطنيش وفلسفات الإنهزام وفلسفات المتقاعسين مثل قولهم بالعامية (خليها على الله- فخار يطربش بعضه-ألف عين تبكي ولا عين أمي تبكي- مالنا دخل - طنش وابتسم –إذا بدك تستريح كل شي قول عنه مليح.....).

٤. مغرب الشمس ومطلع الشمس: رجل طاف الأرض داعياً إلى الله مجاهداً في سبيله، ولم يكن طوافه لكسب المال أو الشهرة أو السياحة وإنما طافها ليرسي دعائم الحق في الأرض طافها ليؤسس لنهج الله في الأرض؛ فكان عادلا ذكيا مدركا لأهمية تنوع أساليب التعامل طبقاً لتنوع طبيعة البشر، فالكافرون يعاملهم بالعدل ويدعوهم إلى الحق فإن فاؤوا فذلك ما كان يبغي وإن عصوا فلهم منه عقاب ومن الله العذاب الأليم، ومن فاء إلى الله فله المعاملة الحسنة والرفق واللين، وهكذا يجب على القدوة القائدة أن تلين الجانب للمؤمنين وأن تحزم الأمر مع الكافرين والضالين بعد دعوتهم وامهالهم ثم الجزاء والثواب. وليحاسب كل واحد منا نفسه كم من أمتار طافها في هذه الأرض داعياً إلى الله ؟!وكم هي المشاق التي تحملها من أجل ذلك ؟!وهل استطاع أن يضبط نفسه عن شهوة الإنتقام بعد التمكين؟

٥. سمات الملك الصالح:

- العبودية الخالصة لله.
- الأخذ بالأسباب.
- ثم أتبع سببا، القدرة على متابعة خط الجهاد والكفاح والنضال والأخذ بالأسباب حتى يسود الحق وينهزم الباطل.
- أن يرهن نفسه وحياته لله.
- التعامل بالعدل مع الرعية وبالإحسان مع المحسنين.
- امتلاك القدرة على التمييز وتقييم الأمة واعتماد مبدأ الثواب والعقاب اعتمادا على حكم الله وليس على نزواته وشهواته وحاشيته.
- القدرة على فهم الشعوب وامتلاك زاد لغوي وافر ومتعددواتقان أشهراللغات العالمية.
- أن يكون قادراً على كف ولجم الطغاة وحماية الضعفاء والرفق والرحمة بهم
- الفهم الإقتصادي وحسن التدبير والتخطيط للقيام بمشاريع ضخمة
- العفة (ما آتاني الله خير) فالعفة عنصر أساسي في سياسة الملك ودوامه وإذا عف الملك عفت الأمة كما قيل للفاروق (عففت فعفوا ولو ولغت لولغوا). فلقد أوتي ذو القرنين من الحنكة الإقتصادية ما جعله يعف عن أموالهم ويطلب المساعدة من عمالهم ويشترط أن تكون المساعدة قوية لا تهاون فيهاولا تراخي .
- الضعيف هو الذي يمجد نفسه والمنافق هو الذي يحب أن يحمد بما لم يفعل والمؤمن الصادق هو الذي يرجع الأسباب إلى مسببها وما وفق فيه من أعمال فإنما مرده فضل الله. وفي أيامنا هذه وللأسف نجد سا سة يحبون أن يمدحوا بما لم يفعلوا، وهذه عقدة عظيمة خطيرة فكل مشروع يقوم في الدولة إنما هو من انجازات القائد الملهم ،وكل انتصار تحققه الجيوش فإنما يكون باسمه بل وكل شارع وكل مدرسة وكل بناء شامخ يجب أن يخلد على بوابته اسم القائد الأوحد والملك المبجل. حتى غدت شوارعنا بل و مدارسنا ومحطات تلفازنا واذاعاتنا وغلاف دفاتر أطفالنا غدت (ألبوم)مجمع صور لطلعته البهية وفي كافة الاوضاع السنية ،فتارة هو ملك جمال العالم واخرى هو طرزان العالم ،وثالثة هو عنتر بن شداد متقلدا سيفه منتبجا بانتصاراته الوهمية وسجل انجازاته الخلبية، وحتى في غرف نومنا يجب أن تؤنسنا صوره البهية وربما شاركنا فراشنا طوعا أوكراهية ،ولا حول ولا قوة إلا بالله – وهكذا حياتنا كلها مدينة للقائد الفذ، صوره في كل مكان تصادفك، في بوابة كل دائرة وفوق رأس كل موظف. فما غاب تمثاله المبجل عن كل غرفة. فلابد أن تكون صورته الأنيقة تتصدر جدران غرفنا ومكاتبنا، كلنا للقائد،اكراما لاجهزته الامنية حتى لاتشعر بالوحشة وهي تفتش غرف نومنا، فالدولة كلها للقائد ولأحفاد أحفاد القائد ولذريته من بعده بل ولذراريه وإلى الأبد. نحن عبيد القائد إن لم تلهج ألسنتنا بالثناء عليه صباح ومساءفنحن عملاء،

وإن لم تسبح بحمده أكثر من تسبيحك بحمد الله فستطرد من عملك بل ومن بلدك ،بل ومن جلدك، وستتابعك عيونه التجسسية الواسعة وما أكثرها ،وآذانه المرهفة الواسعة لتحصي عليك الأنفاس والنظرات ،بل ربما حاسبتك على الأحلام إن كنت تحلم حلماً ليس فيه صورة القائد المغواروهو على حصانه ينشد اشعار عنترة ويسل سيفه الذهبيي يطارد أوهامه أوهام الجبان، فأنت أنت ضد القائد ضد الدولة في نواياك وأحلامك، فالويل كل الويل لك إن رصدتك عيونه.

هكذا أصبحت الأمة أقل من قطيع غنم ترعاه ذئاب ضارية، أين هؤلاء من رحمة ملوك الإسلام؟ أين هؤلاء من ذي القرنين الذي هندس بناء السد وأقام صرحا قويا سدا منيعا عازلا للطغاة موهنا من قواهم التدميرية متيحا للضعفاء فرص الحياة الكريمة ،ولما تكامل الردم لم يدّع أن هذا من انجازاته العبقرية ،ولم يسم باسمه ولا باسم أولاده الذين لم يولدوا بعد أو باسم أجداده، بل أرجع الإنجاز الهائل إلى رحمة الله بعباده (قال هذا رحمة من ربي).

مما مضى نجد صفة العقل الهندسي الذي يجب أن يتمتع به الملك المسلم. وصفة التواضع لله ولعباد الله، والعفة عن أكل أموال الناس بالباطل بل الورع عن أموالهم حتى لو كانت بحق ،وأخيرا الإيمان الجم والثقة بالنفس ،والحكمة في تقييم الأمور (هذا رحمة من ربي).

والآن أوجز بعض سمات (ذو القرنين):

١.نشيط طواف ٢. عادل ٣.حكيم ٤. فقيه في اللغات ٥.فقيه في حاجات الناس ٦.إقتصادي بارع ٧.سياسي محنك (فأعينوني) ٨. رحيم ٩. عفيف ١٠. متواضع ١١. مراقب لله في نفسه قولا وعملا ١٢. متبصر بالأمور بداية ونهاية (فإذا جاء وعد ربي).

فهل لنا أن نتصف بهذه الصفات؟ فما منا من أحد إلا وهو راع ومسؤول عن رعيته، كما قال صلى الله عليه وسلم: كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.

٦. لكل مسافر عودة ونحن في هذه الدنيا سفّر ولا بد لنا أن نعود وعودتنا الأولى تكون إلى أمنا الأولى الأرض، وعودتنا الثانية تكون إلى ربنا (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لاترجعون...). وإذا كانت الأرض والجبال والسدود تدك دكا فأين نحن نكون يوم تدك؟ ما حالنا؟ ومن منقذنا؟و إلى أين المصير؟ إلى ربك يومئذ المساق وإنا لله وإنا إليه راجعون.

المقطع الثامن والأخير من ١٠٠-١١٠

الموضوع: عاقبة الأخسرين وثواب المحسنين

وَعَرَضْـــنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًـــا (١٠٠) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (١٠٢) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَـــرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ

ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (١٠٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨) قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)

١. شرح المفردات

- عرضنا: يظهر الله لهم جهنم ليروا ما فيها من العذاب ليحزنوا.
- ننبئكم: نخبركم
- تحسبون: تعتقدون
- أعتدنا: هيئنا
- نزلا: مكانا
- الأخسرين: هم كل من عبد الله عبادة فيها شرك يحسب أن عمله مصيب والحقيقة أن عمله مردود
- جمعا: أي جمعنا الجن والإنس
- ضل: بطل وضاع
- وزنا: أي لا حسنة عندهم فلا يزنون عند الله جناح بعوضة والمعنى لا ثواب لهم
- هزوا: استخفافا وسخرية
- الفردوس: هو البستان في الرومية قاله مجاهد والفراء قال هو عربي ، وفي الحديث (الفردوس ربوة الجنة أوسطها وأحسنها) والفراديس موضع في الشام يدعى الآن بالفردوس
- نزلا: ضيافة
- حولاً:تحويلاً وانتقالاً وبدلاً
- مدادا: سمي المداد مدادا لإمداده الكاتب وأصله من الزيادة وهو مجيء الشيء بعد الشيء والمداد اسم لما يمد به كالحبر

- مددا: زيادة على البحر عددا أو وزنا
- لقاء ربه: ثوابه وجزاوه
- عملا صالحا: عملا موافقا للشرع خالصاً لله
- لا يستطيعون سمعا: اي لا يطيقون سماع الله
- أيحسب: أي ظن عبادي عيسى والملائكة والعزير .....
- الأخسرون: اليهود الذين كذبوا محمدا ولم يؤمنوا به
- النصارى: الذين لم يؤمنوا بالجنة وقالوا لا طعام فيها ولا شراب وقيل هم مشركوا مكة
- نفد الشيء: إذا تم وفرغ
- كلمات ربي: مواعظ ربي وقيل الكلمات الكلام القديم الذي لا منتهى له
- يرجوا: يرجوا رؤية الله ويخشى عقابه
- لا يشرك: لا يرائي بعمله أحدا
- صح صح في١٢-٩-١٢

٢. الأسئلة التمهيدية

١. بعد النفخ في الصور كان العرض، أشر إلى الآيات التي توضح ذلك؟
٢. ماذا عرض الله للكافرين؟ ولم؟
٣. وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، أشر إلى الآية التي تدل على هذا المعنى؟
٤. قارن بين وزن الكافرين في الدنيا ووزنهم في الآخرة؟
٥. ماذا تعرف عن جنات الفردوس وبم تفرق عن غيرها؟
٦. علمنا محدود وعلم الله غير محدود، اذكر حديثاً شريفاً من خلال دراستك لسورة الكهف يؤيد ذلك؟
٧. بم وصل الكافرون إلى جهنم وبم نال المؤمنون الجنة؟
٨. (لا يستطيعون سمعا) كانوا صما قارن بينهما مبينا الجمال في اختيار التعبير الأول؟

ج٨. الأصم قد يستطيع السمع إذا صيح به وهؤلاء الكفرة لا استطاعة لهم بالكلية

٣. الأسئلة التقويمية

١. كيف عبر عن حال الكافرين بالدنيا؟
٢. من هم الذين اتخذهم الكافرون أولياء لهم؟
٣. من هم (الأخسرين أعمالا)؟
٤. (وضعتُ نسباً ووضعتم نسباً (أي في الدنيا)) ناقش هذا الحديث على ضوء مصير الكافرين؟
٥. قارن بين حال المؤمنين والكافرين في الآخرة؟
٦. ما المطلوب ممن يرجو لقاء ربه؟
٧. ما سمات العمل الصالح؟
٨. ختمت السورة بالحديث عن علم الله اللامتناهي كما بدأت بالحديث عن أولئك الذين يفترون على الله مالهم به من علم ولا لآبائهم، أوضح ذلك؟
٩. كان الحديث عن علم الغيب في مواقع كثيرة (أهل الكهف – رجلين – رحلة موسى في طلب العلم – طواف ذو القرنين في الأرض) في كل ما مضى كان ثمة حديث عن الغيب، أوضح ذلك مع الأمثلة؟
١٠.ماذا قال اليهود عندما قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم: وما أوتيتم من العلم إلا قليلا؟
ج١٠. قالوا: كيف؟ وقد أوتينا التوراة وفيها خير كثير فنزل قوله تعالى: قل لو كان البحر...

٤. <u>التفسير</u>

١٠٠. وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا

أبرز الله جهنم وأظهرها أمام الكافرين تخويفا لهم وإرعابا لهم ووعيدا.

١٠١. الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا

أولئك الكفار الذين عميت بصائرهم وأبصارهم عن آيات الله وقرآنه ودلائل قدرته ووحدانيته كما رفضوا الاستماع للحق من عند الله، فهم متعامون عن المشاهدة بالابصار ومعرضون عن سماع الحق.

١٠٢. أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا

أظن الكافرون أن عبادة الملائكة والمسيح والعزير والشياطين - وهم عباد الله- تنفعهم وتنجيهم؟ والاسلوب في (أفحسب الذين كفروا)إنشائي على سبيل الاستفهام غرضه التوبيخ والتقريع.

(إنا أعتدنا) إن الله قد هيأ لهم نزلا ومأوى، وكلمة أعتدنا توحي بالتمتع عند النزول في الضيافة، ولكنها جاءت هنا على سبيل التهكم والسخرية، كقوله تعالى(فبشرهم بعذاب أليم).

١٠٣. قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا

قل يا محمد لهؤلاء الكفرة الذين عبدوا غير الله، هل أدلكم وأخبركم عن الأخسرين أعمالا الذين خاب سعيهم وأملهم في حياتهم الدنيا والآخرة.

١٠٤. الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا

هؤلاء الكفرة الذين بطل سعيهم في الحياة الدنيا وضاع، فهم الأخسرون ، والذين يظنون أنهم يحسنون الأعمال وسينتفعون بها وبآثارها.

١٠٥. أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا

أي ليس لهم عندنا قدر ولا نعبأ بهم ولا يقام لهم ميزان توزن به أعمالهم، لأنهم لا حسنات لهم توزن وقد بطلت أعمالهم ولم تقبل.

١٠٦. ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا

أي ذلك الوعيد وذلك العذاب في جهنم هو جزاؤهم لأنهم كفروا بأيات الله الكونية والتنزيلية كما سخروا واستخفوا واستهزؤا برسل الله ، فلهم جهنم جزاءو لكل من اتصف بصفات الكفار.

١٠٧. إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا

بعد وعيد الله للكفار جاء وعده في هذه الآية للمؤمنين بالجنة،قرن الله سبحانه وتعالى الإيمان بعمل الصالحات وأن الذين تكون هذه صفاتهم فإن الله قد أعد لهم وهيأ لهم جنات الفردوس ضيافة لهم ونزلاً لهم حيث الإكرام

وحيث ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر،إنها جنات الفردوس وهي أعلى الجنان وأرفعها وأفضلها وسقفها عرش الرحمن. قال صلى الله عليه وسلم (.....فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى) فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة فهنيئا للمؤمنين العاملين بإخلاص خير النزل وهو جنة الفردوس، وشتان بين نزل أهل النار ونزل أهل الجنة.

و(كانت) أي فيما سبق من علم الله أن جنات الفردوس نزلاً.

١٠٨. خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا

لا يقلقهم انقضاء المدة أو قربهم من نهاية الاقامة فيها مما يفسد عليهم تمتعهم بنعيمها، ولذا قال تعالى مطمئنا لهم وباعثا لهم على استمرار الهناء والسرور بلا انقطاع ولا منع (خالدين فيها) خلودا بلا موت ولا طرد ولا انقطاع، خالدين في رحاب رضوان الله وكرمه وعطائه الذي ماله من نفاد.

(لا يبغون عنها حولا)المؤمنون في الجنة لا يشتاقون الا اليها ولا يبغون التحول عنها الى جنة اخرى، ومن عادة الانسان في الدنيا أنه ملول طماع فإنه يمل من دوام النعيم ويتمنى غيره ويأخذ ه الطمع، فلو كان له واد من ذهب لتمنى أن يكون له واديان،ولكنها جنة الرحمن، هنا جنة الرضوان فكيف يشتاق الإنسان الى غيرها؟ وهي أسمى ما في النعيم والله أعلم.

١٠٩. قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا

فرضا لو كتبت كلمات علم الله وحكمه، وكان البحر مدادا والشجر أقلاما لنفد مداد البحروما تنفد كلمات علم الله حتى وإن أُمِدّ هذا البحر بأبحر فإن الأبحر تجف ولا نهاية ولا حصر ولا حدود لعلم الله جل وعلا،قال تعالى (وما أوتيتم من العلم الا قليلا).والآية تذكرنا بما قال الخضر لموسى عليه السلام بالنسبة للعلم الذي أوتيناه. ومن الناس من يتوهم أن التعبير بنفاد كلمات الله يدل على أن كلمات الله قد تنفد وهذا غير صحيح لأن نفاد شئ قبل نفاد الشئ الآخر لايدل على نفاد الشئ الآخر، والمستفاد من الآية سعة علم الله الذي لا يحيط البشر منه الا بالقليل القليل، وما ورد من ذكر الفتية والخضر وذي القرنين إنما دقيقة وصحيحة وضبطه إنما من علم الله الذي لا يحده حد وهو الخبير العليم.أما علم البشر فمبلغهم منه لا يذكروما غاب عنهم أكثر، لذا أمر الله نبيه محمدا أن يتواضع لجلاله وعظمته وسعة علمه فهو ما يعدو أن يكون بشرا أوتي وحيا.

١١٠. قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا

هكذا قل لهم يا محمد، قل للذين أرادوا امتحانكم وتعجزيكم بسؤالهم عن مغيبات ما كنت تدريها -علما بأنه ليس المفروض في النبي أن يعلم علم ما غاب وما سيأتي إلا اذا علمه الله بعضها- قل لهم يا محمد: إنما أنا بشر لا أختلف عنكم في سمات البشرية إلا أنه يوحى إلي، ومن هو الموحي؟ إنما هو الله الإله الواحد وهذا يدل على صدق دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم فهو يدعوالى التوحيد الخالص وإلى إحسان العمل المخلص لوجه الله.

فمن كان يرجو لقاء ربه، من يرجو القرب من الله ولقائه بقلب سليم فليعمل عملا صالحا ولتكن أعماله في سرها وعلنها خالصة لوجه الله وابتغاء مرضاته بعيدة عن الشرك الخفي.

قال يحيى بن معاذ: العمل الصالح ما يصلح أن تلقى به الله .قال جعفر لا يرى في وقت وقوفه بين يدي الله غيره.

جاء في تفسير القرطبي: (وقد تقدّم في سورة «هود» حديث أبي هريرة الصحيح في الثلاثة الذين يقضى عليهم أوّل الناس. وقد تقدّم في سورة «النساء» الكلام على الرياء، وذكرنا من الأخبار هناك ما فيه كفاية. وقال الماوردي وقال جميع أهل التأويل: معنى قوله تعالى: { وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَا } إنه لا يرائي بعمله أحداً. وروى الترمذي الحكيم رحمه الله تعالى في «نوادر الأصول» قال: حدّثنا أبي رحمه الله تعالى قال: حدّثنا مكي بن إبراهيم قال: حدّثنا عبد الواحد بن زيد " **عن عبادة بن نُسَيّ قال: أتيت شداد بن أوس في مصلاه وهو يبكي، فقلت: ما الذي أبكاك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً، إذ رأيت بوجهه أمراً ساءني فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما الذي أرى بوجهك؟ قال: «أمراً أتخوفه على أمتي من بعدي» قلت: ما هو يا رسول الله؟ قال:«الشرك والشهوة الخفية» قلت: يا رسول الله! وتشرك أمتك من بعدك؟ قال: «يا شداد أما إنهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا حَجَراً ولا وَثَناً ولكنهم يراءون بأعمالهم» قلت: يا رسول الله والرياء شرك هو؟ قال: «نعم». قلت: فما الشهوة الخفية؟ قال:«يصبح أحدهم صائماً فتعرض له شهوات الدنيا فيفطر»** " قال عبد الواحد: فلقيت الحسن، فقلت: يا أبا سعيد! أخبرني عن الرياء أشرك هو؟ قال: نعم؛ أما تقرأ { فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَا }. وروى إسماعيل بن إسحاق قال: حدثنا محمد بن أبي بكر قال: حدثنا المعتمر بن سليمان عن ليث عن شهر بن حوشب قال: كان عبادة بن الصامت وشداد بن أوس جالسين، فقالا: إنا نتخوف على هذه الأمة من الشرك والشهوة الخفية، فأما الشهوة الخفية فمن قبل النساء. وقالا: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " **من صلى صلاة يرائي بها فقد أشرك ومن صام صياماً يرائي به فقد أشرك** " ثم تلا { فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَا }.

قلت: وقد جاء تفسير الشهوة الخفية بخلاف هذا، وقد ذكرناه في «النساء». وقال سهل بن عبد الله: وسئل الحسن عن الإخلاص والرياء فقال: من الإخلاص أن تحبّ أن تُكتَم حسناتك ولا تحب أن تُكتَم سيئاتك، فإن أظهر الله عليك حسناتك تقول هذا من فضلك وإحسانك، وليس هذا من فعلي ولا من صنيعي، وتذكر قوله تعالى: { فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَا }.

{ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ آتَواْ }

[المؤمنون: ٦٠] الآية؛ يؤتون الإخلاص، وهم يخافون ألا يقبل منهم؛ وأما الرياء فطلب حظ النفس من عملها في

الدنيا؛ قيل له: كيف يكون هذا؟ قال: من طلب بعمل بينه وبين الله تعالى سوى وجه الله تعالى والدار الآخرة فهو رياء.

وقال علماؤنا رضي الله تعالى عنهم: وقد يفضي الرياء بصاحبه إلى استهزاء الناس به؛ كما يحكى أن طاهر بن الحسين قال لأبي عبد الله المروزي: منذ كم صرت إلى العراق يا أبا عبد الله؟ قال: دخلت العراق منذ عشرين سنة وأنا منذ ثلاثين سنة صائم؛ فقال: يا أبا عبد الله سألناك عن مسألة فأجبتنا عن مسألتين. وحكى الأصمعي أن أعرابياً صلى فأطال وإلى جانبه قوم، فقالوا: ما أحسن صلاتك؟ فقال: وأنا مع ذلك صائم. أين هذا من قول الأشعث بن قيس وقد صلى فخفف، فقيل له إنك خففت؛ فقال: إنه لم يخالطها رياء؛ فخلص من تنقصهم بنفي الرياء عن نفسه، والتصنع من صلاته؛ وقد تقدّم في «النساء» دواء الرياء من قول لقمان؛ وأنه كتمان العمل. وروى الترمذي الحكيم حدّثنا أبي رحمه الله تعالى قال: أنبأنا الحِمَّاني قال: أنبأنا جرير عن ليث عن شيخ عن مَعْقِل بن يَسَار قال: قال أبو بكر وشهد به على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: **" ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك، قال: «هو فيكم أخفى من دبيب النمل وسأدلك على شيء إذا فعلته أذهب عنك صغار الشرك وكباره تقول اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم تقولها ثلاث مرات» "** وقال عمر بن قيس الكندي سمعت معاوية تلا هذه الآية على المنبر { فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَآءَ رَبِّهِ } فقال: إنها لآخر آية نزلت من السماء. وقال عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم: **" أوحي إلي أنه من قرأ { فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً } رفع له نور ما بين عدن إلى مكة حشوه الملائكة يصلون عليه ويستغفرون له "** وقال معاذ بن جبل قال النبي صلى الله عليه وسلم: **" من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نوراً من قرنه إلى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نوراً من الأرض إلى السماء "** وعن ابن عباس أنه قال له رجل: إني أضمر أن أقوم ساعة من الليل فيغلبني النوم، فقال: إذا أردت أن تقوم أي ساعة شئت من الليل فاقرأ إذا أخذت مضجعك { قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي } إلى آخر السورة فإن الله تعالى يوقظك متى شئت من الليل؛ ذكر هذه الفضائل الثعلبي رضي الله تعالى عنه. وفي مسند الدارمي أبي محمد أخبرنا محمد بن كثير عن الأوزاعي عن عبدة عن زرّ بن حبيش قال: من قرأ آخر سورة الكهف لساعة يريد أن يقوم من الليل قامها؛ قال عبدة فجربناه فوجدناه كذلك. قال ابن العربي: كان شيخنا الطُّرْطُوشيّ الأكبر يقول: لا تذهب بكم الأزمان في مصاولة الأقران، ومواصلة الإخوان؛ وقد ختم سبحانه وتعالى البيان بقوله: { فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَا }).

وفي الخبر أنه يقال لأهل الرياء : صمتم وصليتم وتصدقتم وجاهدتم وقرأتم ليقال ذلك فقد قيل ،ثم قال إن هؤلاء أول من تسعر بهم النار(من تفسير القرطبي سورة هود آية ٥٠).

٥. ماذا نأخذ من الآيات لواقعنا المعاصر؟

١- إن سلامة البدايات توحي بسلامة النهايات والمقدمات الصحيحة توصل الى نتائج مريحة، ومن كان في هذه الدنيا أعمى فسيكون في الآخرة أضل سبيلا.
٢- إن استكشاف المستقبل وتوضيح العواقب وتصوير النتائج له دور أساسي في تقويم السلوك وتطويره نحو الأفضل ولذا من رحمة الله سبحانه وتعالى أن يصور لنا المآل ويرسم لنا النتائج قبل وقوعها وكأنها واقعة لا محالة ليحذرمن يحذر وليتق الله من يبتغي مرضاته.
٣- إن شعوبنا العربية والإسلامية قلما تظفر بمن يوضح لها العواقب بل بمن يرصد لها الداء ومن يصف لها الدواء، وعلى نطاق الفرد والمجتمع وبدءا من البيت والمدرسة والعمل و....و.... وانتهاء بالقيادات ومع ذلك فقد نجد بعض من يسهم بشكل فعال وصحيح في كشف العلل وتبصير المرضى بواقعهم بداية ونهاية. إن تشخيص الداء والتعرف على مواطن العلل والآفات لهما الأساس في استقدام الدواء وحبذا لو تخيل كل منا بدايته ونهايته وقيّم كل ذلك بموضوعية وواقعية ومنطقية. لو فعلنا ذلك لصلح أمرنا واستقام عودنا ونلنا سعادة الدارين، ولكن أنى للنعامة أن تنجو من الخطر وهي تدفن رأسها في الرمال و تتعامى عن الخطروالخطر قادم لا محالة، وفي تعاميها البلاء والفناء.
٤- إن مما تحتاجه الأمة أن ينهض أطباء القلوب وأطباء العلل والأمراض المعدية ، وأن ينشطوا في تشخيص الداء وليس ذلك من التشاؤم والطيرة وإنما هو التفاؤل بعينه، التفاؤل الذي يضع المريض على المحجة البيضاء، يتطلع الى الدواء ويرجو الشفاء من مُنزّل الداء والدواء، وإذا رسمت الآيات لنا بدايات لكل من العمي والصمّ؛ أولئك الذين لا يرغبون حتى لمجرد سماع الحق والنصح فما كان ذلك الا تحذيرا لنا ولكل من لا يرعوي بأن يأخذ طريق الصلاح الموصل الى الجنات، وإذا كانت الآيات قد رسمت لنا صورة وضيئة شيقة تطفح بالبشر والسعادة وتشد الرائي اليها من قلبه وتملك عليه جوارحه، صورة أولئك العاملين الصالحين

السالكين الصراط المستقيم، صورتهم وهم في نهاية الطريق نزلاً ضيوفاً على الرحمن الرحيم في جنات وعيون فكيف لا يتجه أحدنا للسير مقتفيا آثار المهتدين (فبهداهم اقتده).؟

٥- إن واقع الحياة وطريق النهوض بالأمة يتطلب منا أن نكشف القناع عن الزيف الذي تعيشه الأمة وعن المضللين الذين ينتهكون مقدساتها ويدسون كرامتها ويسرقون قوت شعبها ويسلمونها لقمة سائغة للأعداء. علينا أن نشخص أمراضنا الإجتماعية وعللنا السياسية وكوارثنا الإقتصادية وتردينا في ديننا وتخلفنا عن ركب الحضارة والقيادة، إن هذا لا يتم إلا إذا أخذ كل واحد منا دوره في الحياة وأعتقد جازماً أن عليه أن يحرر النفس والهوى والأرض والثرى من كل الطغاة، وأن يقيم العدل وأن يتسم بالرحمة والتواضع في كل شؤون حياته ،وأن يرسم أمامه صورة النار الملتهبة تغير عليه كلما توانى في أداء الواجب الشرعي ،كما تبدوأمامه صورة الفردوس بشذاها العبق وجمالها الفتان وما فيها من النعيم الذي يتلألأ أمامه كلما سار على الصراط المستقيم؛ يشد من همته ويحثه على المضى قدماً إلى سعادة الدارين. إن الواقع يتطلب منا أن نرسم وبصدق وموضوعية بدايات ونهايات الطريقين كما صورهما القرآن الكريم.

إن واقعاً مريراً تعيشه الأمة الآن وما علينا إلا أن نبدأ بالخطوة الأولى، فالطريق الطويل أوله خطوة ومن سار على الدرب وصل ومن خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ،ومن ذاق عرف ومن عرف التزم ومن التزم فاز ونجا.

<u>والخلاصة:</u> لا بد من تشخيص كل العلل في بيوتنا ومدارسنا وفي وسائل إعلامنا وفي مساجدنا، لا بد من تكافل جهود الخيرين من أبناء الأمة معلمين ومربين إعلاميين وسياسين، قضاة ورجال أعمال ومزارعين، عمال وفلاحين. وإلا فإن الداء قاتل وإن خلاياه السرطانية لتنتشر في جسد الأمة وتُنمي هذه الخلايا وتزودها جيوش من الخونة والمرتزقة ومن لا خلاق لهم وممن لا يرقبون في هذه الأمة إلاّ ولا ذمة كما قال صلى الله عليه وسلم لسانهم لساننا وجلدتهم جلدتنا وقلوبهم ضدنا. اعرف عدوك معرفتك لنفسك واعد له ما تعد للذئب المفترس وللأسد المتوحش وللداء الوبيل.

إن ثقافة البدايات وثقافة النهايات يجب أن تسود مناحي حياتنا التربوية والعلمية والعسكرية والإقتصادية والتجارية. إن العبء لا شك ثقيل على الدعاة إلى الله والمهمة صعبة ولكنها تحتاج إلى يحيى وأمثال فتية الكهف (يا

يحيى خذ الكتاب بقوة) (وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ...)، تحتاج منا أن نسمع ونصغي لنداء الله لرسوله (يا أيها المدثر قم فأنذر) (يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً)، تحتاج منا إلى فهم صعوبات الطريق (إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلا) ولكنها تحتاج منا أيضاً أن نتسم رغم وعورة الطريق و وعثاء السفر علينا أن نتنسم روائح الجنة وأن نجعل غيرنا يتنسم تلك الروائح وعندها لا خوف ولا حزن. قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠)) فصلت.

٦. ساد الأمة في هذا العصر داء وبيل وشر مستطير ألا وهو داء التكبر، هذا الداء الذي مبعثه الإحساس بالنقص والدونية و بحب الدنيا وحب الظهور والتميز عن العباد ،والتكبر بما أفاء الله على هذا الإنسان من نعم، واتسعت رقعة هذا الداء إذ تجده عند الأطباء و بين المرضى أو عند المعلمين مع طلابهم والأب مع أسرته ،بل سرى الداء إلى النخبة التي يجب أن تكون حصينة محصنة أمامه ألا وهي نخبة علماء الدين. فتعالَوا على العباد في نصحهم وارشادهم وتعالوا فيما بينهم ويكاد الحسد يأكل قلوبهم إلا من رحم ربي، وظن هؤلاء جميعا أنهم أوتوا زمام العلم ولو عقلوا لأيقنوا أنهم (ما أوتيتم من العلم إلا قليلا) وأن ما يجهلونه أكثر مما يعلمونه، وأن موسى على جلال قدره رحل في طلب العلم وطاف الأرض يبتغي الإستزادة منه وأنه تواضع لمعلمه وتواضع لفتاه، وليعلموا أن الله قال لصفيه وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم: وقل رب زدني علما. فالنار النار لمن يتعلم العلم ليباهي به الجهال – النار النار لمن يتعلم العلم ليتصدر به المجالس – والنار النار لذاك الذي تعلم وعلم ابتغاء أن يقال عنه عالم وقد قيل.

- إن طلب العلم فريضة وقد طاف موسى الأرض طلبا للعلم، وأولى آيات القرآن الكريم كانت اقرأ باسم ربك الذي خلق، لم تكن جاهد أو زك أو صل على جلال ذلك وإنما لأهمية العلم وأنه كلما تبحر الإنسان بالعلم ازداد قرباً إلى الله وخشية منه قال تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) ويوم أخذت أمتنا بأسباب العلم وخاصة الديني منه سمت ورقت حتى غدت خير الأمم لما أفاء عليها العلم من مزيد من الإيمان وسعى في الإصلاح ونهي عن المنكر.

إن العالم الحقيقي هو من يخشى الله حق خشيته؛ واليوم أمتنا تنكبت طريق العلم وراحت تبحث عن المال فرجعت بالوبال وباءت بالفشل وذهب رقيها وتقاسمتها الأمم وأذاق الله بعضها بأسس بعض، وجعل كيدها في نحرها والمطلوب منا أن ننهل من معين العلم الرباني وأن نطيل التأمل والتفكر في آيات الله(في الكون والنفس – في النبات والحيوان – في الفلك الدوار – في عالم البحار – في الشمس والقمر- في الذرات المسبحة لله). علينا أن ننشط طلبة العلم ماديا وإعلامياً وأن نؤسس لمراكز بحوث كونية وأن نجل طالب العلم ونعطيه نصيبه الأوفى في الحياة من الإحترام والتقدير والتشجيع، وعلى العلماء أن يدركوا أن ما يجهلون من علم الحياة أكثر مما يعلمونه وكلما ازداد الإنسان علما ازداد تقربا من الله وخشية له وازداد تواضعا واتقانا لعمله واحسانا، ولنعلم أن كل مسلم على ثغرة من ثغور الإسلام فلا يؤتين الإسلام من قبله. إن على رجال الأعمال وأصحاب الأموال أن ينشطوا في فتح المدارس والمكتبات وابتعاث الطلاب النابغين لينهلوا العلم من مناهله، وعلى الدول التي تصرف أموال الأمة في أسلحة لا تجدي نفعا، عليهم أن يعلموا أن العلم حارس للمال وللوطن وللإنسان وكرامته وكما قال الشاعر:

العلم يبني بيوتا لا عماد لها والجهل يهدم بيوت العز والكرم

-(ولا يشرك) لئن يئس الشيطان أن يعبد في الأرض فقد رضي بما نحقر من الذنوب ورضي عن أتباعه الذين يجعلون أنفسهم آلهة يأمرون الناس أن يطيعوهم دون ربهم جل وعلا، وينصبون أنفسهم أوثانا من دم ولحم معتمدين مبدأ (لا أريكم إلا ما أرى) ويستخدمون كل وسائل الإرهاب والتعذيب وقطع الأعناق وقطع الأرزاق ترويضاً للعباد على طاعتهم فهم بين فرعون أو دجال أو نمرود، إن هذا ما لا يخفى على أحد ولكن الشرك الخفي هو ذاك الذي يدب إلى المرء أخفى من دبيب النمل (قال أبو بكر: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك فقال هو فيكم أخفى من دبيب النمل وسأدلك على شيء إذا فعلته أذهب الله عنك صغار الشرك وكباره تقول: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم تقولها ثلاث مرات) فكيف يرضى الله أن يكون له شريكا سبحانه؟ وكيف يرضى أن يشرك العبد مع ربه أحداً وهو الغني الحميد.

وقيل دواء الرياء كتمان العمل ونظراً لظروف الحياة القاهرة وسيادة مبدأ قانون الغاب فإن الناس لجأوا إلى مبدأ الرياء والنفاق ولم يكن هذا في الدين لأن أهل الدين في عصرنا قلما يرائيهم أحد لأنهم لا سلطان لهم ولا قوى اقتصادية أو سياسية يمتلكونها ،وإنما ساد النفاق والرياء المجتمعات و صار له مدارس ومدرسون ومدرسات وغدا أساساً في حياة الشعوب المقهورة والعياذ بالله إلا من رحم ربي، ولذا وجدنا من يرائي الحاكم ويزين له الباطل بل يتقرب إليه بفعل المنكرات واصدار الفتاوي المضللة وقلب الحقائق ولم يكن الأمر قاصراً على حاشية الحاكم وإنما غدا الرياء حلية يتحلى بها الناس؛ فيظهرون للفاجر والطاغي أنهم يأتون الفواحش ويحللونها ويفتخرون بها، وهذا النفاق والرياء قدم على موائد كل ذي سلطان مهما قل أو ضعف شأنه وقد استحكم هذا الداء وفشى في جسد الأمة وغداعلاجه عسيرا إلا على من يسره الله له فلا يأس مع الإيمان، وإن عظم الداء فالشفاء منه ليس بعزيز فلنبدأ والله الموفق.

٦. ملحق

١. تخويف المجرمين نوع من الرحمة
٢. مقارنة مجرمي الأمس مع مجرمي اليوم
٣. مقارنة بين النزلين في الدنيا وفي الآخرة
٤. الأخسرون قديماً وحديثاُ - الرابط بينهم
٥. ماهي الصالحات وأثرها في المجتمع
٦. مقارنة بين جهنم وجنات الفردوس
٧. تكبرالعلماء وخطورة ذلك
٨. الحث على الإستمرار في طلب العلم
٩. الفرق بين النبي والبشر
١٠. النفاق والرياء وخطورة ذلك على المجتمع الاسلامي المعاصر
١١. أهمية اقتران العمل الصالح مع التوحيد وخطورة افتراقهما

١٢. هل هنال أعمال صالحة على نطاق المجتمع بدءا من الرئيس إلى الفرد؟

١٣. أهمية القيادة

٧. مقارنة بين سورة الكهف ويوسف

آياتها	يوسف	الكهف
القتل	محاولة القتل: اقتلوا يوسف – أمر اجرامي	قتل: وجد غلاما فقتله-أمر رباني- أمر في ظاهره مخالف للشريعة
المكان	ألقوه أرضا وألقوه في غيابت الجب	الكهف
الوحي	يوسف في غيابت الجب ويأتيه الوحي بالنصر	الفتية في الكهف وتأتيهم رحمة الله
اليتيم	يوسف ذاق اليتم صغيرا وكذا التشرد عن الأحبة فرعاه الله	أما الجدار فكان الغلامين يتيمين ورعى الله هذين اليتيمين
نبي حزين	حزن يعقوب على يوسف (وابيضت عيناه)	حزن الرسول على عدم ايمان الكفار(فلعلك باخع)
الندم والتوبة	ندم الأخوة (يا أبانا استغفر لنا)	ندم الغني (ويقول ياليتني لم أشرك)
التكبر	تكبر اخوة يوسف- نحن عصبة	تكبر الغني- أنا أكثر منك مالاً
قصة رجلين	قصة سجينين أحدهما سيفنى – والآخرسيبقى	قصة رجلين أحدهماصالح بقيت له الصالحات والآخركافرهلك دنيا وأخرى

الفتن	فتنة النساء:أصب إليهن – فتنة المال- فتنة السلطان	عفة الشباب عن فتنة الدنيا وحياة القصور- وذو القرنين عن فتنة السلطان- والخضر عن فتنة العلم
الرحمة	رحم يوسف اخوته والعبد الأسود	رحم ذو القرنين المستضعفين (فبنى السد)
الاختيار	اختار يوسف أخف الضررين فدبر أمر أخيه بنيامين	الخضر اختار أخف الاضرار (القتل وخرق السفينة)
سياسة اقتصادية	دبر أمر التموين في السنين العجاف	دبر أمر بناء السد واستفاد من اليد العاملة
اعتراف بالفضل	رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويب الأحاديث	هذا رحمة من ربي
التمكين	وكذلك مكنا ليوسف	انا مكنا له في الأرض
آيات	لقد كان ... آيات للسائلين	أم حسبت ....آياتنا
العثور	وجاءت سيارة	وكذلك أعثرنا عليهم
العفة	العفة الجنسية ليوسف وامرأة العزيز- وكذلك الأمانة والعفة الغذائية	عفة الخضر عن أخذ الأجر
الإعتراف والإعتذار	الإعتراف بالخطأ- إنا كنا خاطئين	لا تؤاخذني بما نسييت
الخدمة	يوسف خدم في القصور	الفقير الصالح أراد الخدمة عند شريكه التاجر
القرآن	قرآن عربيا	لا عوج – قيما
عتاب الأنبياء	إني أخاف أن يأكله الذئب	عتاب الله لموسى على (لا أعلم)
الحيوانات	ذئب	كلب وفي
العمر	غلام – فتى	فتية

ملك	يوسف أصبح عزيز مصر	ذو القرنين ملك الأرض
التطواف في الأرض	طيف به في الأرض وانتقل من حضن والده إلى الجب	ذو القرنين طاف الشرق والغرب مجاهداً- موسى طاف الأرض طلباً للعلم

المراجع:

١. الجامع لأحكام القرآن / القرطبي (ت ٦٧١ هـ).
٢. تفسير القرآن الكريم/ ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ).
٣. تفسير القرآن/ ابن عبد السلام (ت ٦٦٠ هـ).
٤. تفسير غرائب القرآن و رغائب الفرقان/القمي النيسابوري (ت ٧٢٨ هـ).
٥. تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ البقاعي (ت ٨٨٥ هـ).
٦. تفسير مقاتل بن سليمان/ مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠ هـ).
٧. تفسير لطائف الإشارات / القشيري (ت ٤٦٥ هـ).
٨. تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن/ البقلي (ت ٤٠٤ هـ).
٩. تفسير روح البيان في تفسير القرآن/ اسماعيل حقي (ت ١١٢٧ هـ).
١٠. تفسير البحر المديد في تفسير القرآن المجيد/ ابن عجيبة (ت ١٢٢٤ هـ).
١١. تفسير روح المعاني/ الالوسي (ت ١٢٧٠ هـ).
١٢. تفسير في ظلال القرآن/ سيد قطب (ت ١٣٨٧ هـ)
١٣. تفسير التحرير والتنوير/ ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ).
١٤. تفسير الدر المصون/السمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ).
١٥. تفسير جامع البيان في تفسير القرآن/ الطبري (ت ٣١٠ هـ).

١٦. مفاتيح الغيب للرازي
١٧. رياض الصالحين
١٨. صحيح البخاري.
١٩. من السيرة النبوية: كتاب حياة الصحابة للكاندهولي
٢٠. السيرة النبوية لابن هشام .
٢١. فتح الباري على شرح صحيح البخاري.
٢٢. كتاب الجامع لفضائل القرآن لمؤسسة آل البيت، المملكة الأردنية.

تم بعون الله وحمده